

فتح الحبيب

في

نفسه القهار

تأليف

الإمام القاضى مجير الدين بن محمد العليمى المقدسى الحنبلى

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - وتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد السادس

إعتقابه

تحقيقاً وصحفاً وتعليقاً

نور الدين ظالبي

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر



فَتَحْرَجُ الْحَمِيمِ

حُقوق الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر
الطبعة الأولى / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

قامت بعملية التصديق الوطني والإخراج الفعلي للطباعة

دار النواذر
لصاحبها وصريها العام
توالد بن طاهر

سوريا - دمشق - ص. ب. : ٣٤٣٠٦

لبنان - بيروت - ص. ب. : ١٤/٥١٨٠

هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ ١١ ٩٦٣ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ ١١ ٩٦٣

www.daralnawader.com



مكية بإجماع من المفسرين ، وآيها : ثمان وثمانون آية ، وحروفها : ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفاً ، وكلمها : سبع مئة واثنان وثلاثون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾

[١] ﴿ صَّ ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت ، فيقف على ص ، والقراء العشرة متفقون على أن قراءة (صَاد) بسكون الدال^(١) ؛ لأنها لا تستحق حركة بناء ؛ لأن سكونها عارض ؛ لأنها لفظ محكي^(٢) كألفاظ الأعداد ، ولا إعراب ؛ لعدم مقتضيها ، والجمهور على أنه حرف المعجم المعروف ، ويدخله ما يدخل سائر السور من الأقوال .

واختلف في معناه على وجوه ، منها : أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صمد ، وصادق الوعد ، ومنها : أن معناه صدق الله ، ومنها : أنه إشارة

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤١٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٣) .

(٢) «لأنها لفظ محكي» زيادة من «ت» .

إلى صدود الكفار عن القرآن، وعن ابن عباس: معناه: «صدق محمد»^(١)،
وقيل غير ذلك.

﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: ذكر البيان، وهو قسم جوابه محذوف،
تقديره: إنه لكلام معجز. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرْآنَ) بالنقل، والباقون:
بالهمز^(٢).

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ﴾^(٣).

[٢] ثم قال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة.

﴿فِي عِزِّ﴾ تكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ عداوة للنبي ﷺ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٤).

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من الماضين ﴿فَنَادَوا﴾ استغاثة عند
حلول النعمة، ﴿وَلَاتْ﴾ بمعنى ليس، واسمها تقديره: ولاتَ الحين.

﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ والمناص: المفرد، ناص ينوص: إذا فات، المعنى: ليس
وقت فرار. ووقف الكسائي: (وَلَاةٌ) بالهاء^(٥).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٨٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٤٩١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/٢٥٤).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٤).

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ولما قال النبي ﷺ للكفار: إن إلهكم إله واحد، نفروا ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ فيما يقوله على الله .

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ كيف يسعُ الخلق كلهم إله واحد .

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ بليغ في العجب .

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِبُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ وهم أشراف قريش بعد اجتماعهم في مجلس أبي طالب، وشكواهم إليه: أن رسول الله ﷺ يسب آلهم، فبكتهم النبي ﷺ، وأمرهم بالتوحيد، فنفروا من ذلك، وانطلقوا من ذلك^(١) الجمع قائلين بعضهم لبعض:

﴿إِنْ آمَسُوا﴾ سيروا على طريقكم ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِكُمْ﴾ ولا تلتفتوا إلى قول محمد .

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ .

(١) «وانطلقوا من ذلك» زيادة من «ت» .

﴿لَشَيْءٍ يُرَادُ﴾ أي: لأمر يريد به الله، وقيل: يريدون: ظهور محمد ﷺ وعلوه بالنبوة؛ أي: يراد الانقياد منا إليه، وذلك أن عمر - رضي الله عنه - لما أسلم، وحصل للمسلمين قوة بمكانه، قالوا ذلك.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلَاقُ﴾.

[٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ التوحيد ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: دين قريش.

﴿إِنْ هَذَا﴾ القول بالتوحيد والبعث ﴿إِلَّا اخْلَاقُ﴾ كذب، اختلقه محمد من تلقاء نفسه.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾.

[٨] ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أَخَصَّ بالقرآن من دوننا؟ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَنْزَلَ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، واختلف عن أبي عمرو وقالون، وقرأ الباقر، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٢)، و«الكشف» لمكي (١/٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٦).

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي﴾ من القرآن، فلم يؤمنوا ﴿بَلْ لَّمَّا﴾ أي: بل^(١) لم. ﴿يَدُوقُوا عَذَابٍ﴾ فلذلك شكوا، فإذا عذبوا، زال شكهم، وآمنوا، فلا ينفعهم إيمانهم. قرأ يعقوب: (عَذَابِي) بإثبات الياء^(٢).

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾.

[٩] ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ المعنى: أيملكون مفاتيح

النبوة يعطونها من شاءوا؟!

﴿أَمْرٌ لَهُمْ مِّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾.

[١٠] ﴿أَمْرٌ لَهُمْ مِّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإن زعموا ذلك.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ أي: ليصعدوا في الطرق التي توصلهم إلى

السماء، وليأتوا منها بالوحي لمن يختارون.

﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾.

[١١] ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ (ما) زائدة بمعنى

النفى، و(هُنَالِكَ) إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر ومعاداة

(١) «أي: بل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٥/ ٢٥٦).

رسول الله ﷺ، المعنى: ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ مكسورٌ عن قريب، فمن أين لهم التدابير الإلهية؟! فلا يضيق صدرك، فإني ناصرك.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢﴾.

[١٢] ثم ذكر المتحزبين قبلهم فقال: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ أي: البناء المحكم، وكان أيضاً يعذب الناس بالأوتاد.

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٣﴾.

[١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب، وتقدم تفسير (الأيكة)، واختلاف القراء فيها في سورة الشعراء.

﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون ﴿الْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء.

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾.

[١٤] ﴿إِنْ كُلُّ﴾ أي: ما كل واحد من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدهم، فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة. ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ وجب عليهم عذاب. قرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء^(١).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٧/٥).

﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ وَمَا يَنْظُرُ ﴾ أي : ينتظر ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ أي : كفار مكة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ تحل بهم العذاب سريعاً ، وهي النفخة الأولى . واختلاف القراء في الهمزتين من (هَؤُلَاءِ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من (عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية : ٣٣] ﴿ مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي : ليس بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (فَوَاقٍ) بضم الفاء ، والباقون : بفتحها^(١) ، وهما لغتان ، فالفتح لغة قريش ، والضم لغة تميم .

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ولما نزل في الحاقة : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الآية : ٢٥] ، استهزأ المشركون ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ ﴾ كتابنا^(٢) في الدنيا .
﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ والقِطُ : الصحيفة التي أحصت كل شيء .

﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] قال الله تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ يا محمد فيك مما يؤذيك ، فإني ناصرک ، ولما أمر بالصبر ، أمر بذكر داود - عليه السلام - ، وما جرى

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٨٧) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٧٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٨-٢٥٧) .

(٢) «كتابنا» زيادة من «ت» .

له ؛ ليعلم الكفار أن داود وإن كان عظيماً عند الله تعالى ، لما صدرت عنه المعصية^(١) ، لم يزل مستغفراً إلى أن فارق الدنيا ، فلعلهم يؤمنون ؛ لأن كفرهم أعظم من ذنب داود ، فقال تعالى :

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة في الدين والعبادة .

قال ﷺ : «إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيَفْطُرُ يَوْمًا ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، وَيَقُومُ ثَلَاثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(٢) مع سياسته الملك ، وكان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يومًا : يقضي فيه بين الناس ، ويومًا يخلو في عبادة ربه ، ويومًا لنسائه وأشغاله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ .

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ .

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وقت العشاء .

﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ حين تشرق الشمس .

(١) انظر ما سيأتي من التعليق (ص ١٧-١٨) لتعلم أن الأخبار الواردة في شأن سيدنا داود - عليه السلام - غير ثابتة ، وليس لها من الصحة أدنى نصيب ، ومعلوم أن من أسباب وضعها واختلافها أن يبرّر واضعوها - وهم بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى - لأنفسهم المعاصي والآثام ، وأما الذي نصّ عليه القرآن في قصته : ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَوْفًا فَفَنَنَّهُ﴾ .

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٨) ، كتاب : الأنبياء ، باب : أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، ومسلم (١١٥٩) ، كتاب : الصيام ، باب : النهي عن صوم الدهر ، من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [١٩]

[١٩] ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾ عطف على الجبال .

﴿ مَحْشُورَةً ﴾ حال ؛ أي : مجموعة إليه .

﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ مطيع رجّاع بصوته ، فكان إذا سبّح ، سبّحت الجبال ، وجمعت له الطير ، فسبّحت معه .

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَءَايَتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ [٢٠]

[٢٠] ﴿ وَشَدَدْنَا ﴾ قوّينا ﴿ مُلْكَكُمْ ﴾ بالعدل والتأييد .

﴿ وَءَايَتْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ النبوة ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ علم القضاء ، والخطاب : قول يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [٢١]

[٢١] روي أن داود لما صار له ثمان وخمسون سنة ، وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه ، كانت قصته مع أوريا وزوجته ، وملخصها : أنه رأى في الكتب ما أعطي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء - صلوات الله عليهم - ، فقال : يا رب ! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأوحى الله إليهم أنهم ابتلوا فصبروا ، فقال : يا رب ! لو ابتليتني ، لصبرت ، فأوحى إليه أنك تبتلى في شهر كذا في يوم كذا ، فاحترس ، فلما جاء الموعد ، دخل محرابه ، وأغلق عليه بابه ، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، فوقعت بين رجله ، فأراد أخذها

ليري بني إسرائيل قدرة الله تعالى، فذهبت إلى كوة هناك، فأراد أخذها، فذهبت، فنظر في الكوة، فإذا بامرأة من أجمل النساء تغتسل، فعجب داود من حسننها، فالتفت فأبصرت ظله، فنقضت شعرها، فغطى جميع بدننها، فزاد عجباً، فسأل عنها، فقليل: هي تشارع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة في اللقاء مع أيوب بن سوريا ابن أخت داود، فكتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت^(١)، وكان من قدم على التابوت، لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه، أو يستشهد، فبعثه وقدمه، ففتح عليه [ثم أرسل إليه أن قدمه إلى جيش كذا، أعظم من الأول، فقدمه، ففتح عليه]^(٢)، فأمره أن يقدمه ثالثة إلى جيش أعظم من الأولين، ففعل، فقتل، وانقضت عدتها، فتزوجها داود، وهي أم سليمان - عليه السلام -، فلما دخل بها، لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، وهما جبريل وميكائيل، فطلبوا أن يدخلوا عليه، فمنعهما الحرس، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ مفرد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، والمراد: الملكان ﴿إِذْ سَوَّرُوا﴾ تصعدوا سور ﴿الْمِحْرَابِ﴾ صدر المسجد. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (الْمِحْرَابِ) بالإمالة^(٣)، والاستفهام هنا بمعنى الإخبار، المعنى: قد وصل إليك خبرهما.

(١) «التابوت» ساقطة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٥/٢٥٩).

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ بغتة من غير الباب .

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ حين هجما عليه بغير إذنه ، فقال : ما أدخلكما علي ؟
﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ نحن .

﴿خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ جئناك لتقضي بيننا ، فرضا ذلك فرضاً .

﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ لا تجز في حكمك .

﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أرشدنا إلى طريق الصواب .

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٢٣).

[٢٣] فقال داود : تكلما ، فقال أحدهما : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي : في

الدين .

﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ تمييز ، يعني : امرأة ﴿وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ والعرب

تكني بالنعجة عن المرأة . قرأ حفص عن عاصم (ولي) بفتح الياء ،
والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ ضمها إلي^(٢) ؛ أي : طلقها لأتزوجها

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ٣٧٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٢٦١) .

(٢) «ضمها إلي» زيادة من «ت» .

﴿وَعَزَّيْ﴾ غلبني ﴿فِي الْخُطَابِ﴾ أي: في القول، المعنى: له الغلبة علي بكل حال، وإن كان الحق لي؛ لضعفي، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود؛ حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، فضمَّها إلى نسائه.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤).

[٢٤] فبعد اعتراف المدعى عليه ﴿قَالَ﴾ داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَقَدْ ظَلَمَكَ) بإدغام الدال في الظاء، واختلف عن هشام في هذا الحرف، وقرأ الباقر: بالإظهار^(١).

﴿بِسُؤَالِ نَجْمِكَ﴾ أي: بسؤاله إياها ليضيفها.

﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء.

﴿لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يظلم بعضهم بعضاً^(٢).

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء من (بَعْضُهُمْ)؛ أي: لا يظلمون أحداً.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٢).

(٢) «يظلم بعضهم بعضاً» زيادة من «ت».

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليلاً، و(ما) زائدة، فلما قضى بينهما داود، تحولاً في صورتيهما، وصعداً إلى السماء وهو ينظر، ويقولان: قضى الرجل على نفسه.

﴿وَلَنْ أَيْ: أيقن.

﴿دَاوُدُ أَمَّا فَتَنَّتُهُ﴾ أنا ابتليناه بالذنوب، ونبهناه على خطئه بتلك الحكومة.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبِّي﴾ لذنبه ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾ [حال؛ أي: ساجداً، على تسمية السجود ركوعاً، لأنه مبدؤه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع^(١).

﴿وَأَنَابَ﴾ رجع عن جميع المخالفات، ثم مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ضرورية، أو لصلاة مكتوبة، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو يجهد نفسه بالبكاء الدائم، والتضرع والاستغفار حتى كاد يهلك^(٢)، وهذه السجدة من عزائم السجود

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/١٨٥-١٨٦)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٩٨-٦٩٩)، وحيثما وقعت هذه القصص وأمثالها، فعقيدة أهل السنة والجماعة تنزيه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عما يخلُ بعصمتهم.

قال العلامة الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/١٨٥): وللقصاص كلام مشهور، لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه - عليه السلام -، وقال أبو حيان: «الذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب، كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم؛ ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومة... فاستغفر من ذلك الظن وحرَّ ساجداً ورجع إلى الله، وأنه =

عند أبي حنيفة ومالك، وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة، ومالك يقول: هي فضيلة؛ كما تقدم ذكره عند سجدة مريم، وعند الشافعي وأحمد: هي سجدة شكر تستحب في غير الصلاة، فلو سجد بها في الصلاة، بطلت عندهما.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَابٍ﴾ ﴿٢٥﴾.

[٢٥] فلما مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، نودي: يا داود! أجاجع فتطعم، أو ظمآن فتسقى، أو عار فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب، فنحب نحلة هاج العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة، وأتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا رب! كيف وأنت^(١) لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا، فناده، وأنا أسمع نداءك، فتحلّل منه، فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى أوريا، فقال: لبيك، من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما حاجتك يا نبي الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عَرَضْتُكَ لِلْقَتْلِ، قال: عرضتني للجنة، فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود! ألم تعلم أنني حكم عدل، لا أقضي بالتعنت؟ ألا أعلمته أنك قد

= سبحانه غفر له ذلك الظن، فإنه - عز وجل - قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ ولم يتقدم سوى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، انظر: «البحر المحيط» (٣٧٧/٧).
وانظر: ما سيذكره المصنف قريباً بعد ذكره لهذه القصص المكذوبة.
(١) «وأنت» ساقطة من «ت».

تزوجت امرأته؟ فرجع إليه فناداه، فأجابه، فقال: من هذا الذي قطع علي لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله! أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك لمكان امرأتك، وتزوجتها، فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعاءك، وأقلت عثرتك، قال: يا رب! كيف وصاحبي لم يعف عني؟ قال: يا داود! أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه، وما لم تسمع أذناه، فأقول له: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! أنى لهذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي، قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ الذنب.

﴿وَإِنْ لَمْ عُنْدَنَا﴾ بعد المغفرة يوم القيامة ﴿لَزَلْنِي﴾ لقربى ومكانة.

﴿وَحُسْنِ مَعَابٍ﴾ حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة.

ولما تاب الله على داود، قال: يا رب! قد غفرت لي، فكيف لي ألا أنسى خطيئتي، فأستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع طعاماً ولا شرباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحته، فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته، واستغفر للخطائين قبل نفسه، وكان إذا ذكر عقاب الله، تخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله، تراجعت.

وقد أنكر القاضي عياض - رحمه الله - ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، ووهى قولهم فيها، ونقل عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا: «ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأكفلنيها»، فعاتبه الله على ذلك^(١)، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، قال: وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره، وحكى قولاً أنه خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، ونقل عن الداودي أنه ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، انتهى^(٢).

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَأْسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٢٦).

[٢٦] ﴿يَدَاوُدُ﴾ في الكلام حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: يا داود ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر العباد بأمرنا، والخليفة: من استخلف مكان من كان قبله، مأخوذ من أنه خلف لغيره،

(١) «ذلك» ساقطة من «ت».

(٢) قال الشيخ محمد أبو شهبه بعد ذكره لهذه الأقوال من أنه - عليه السلام - «خطبها أو أحب بقلبه أن يستشهد...»: وهذه الأقوال ونحوها لست منها على ثلج ولا اطمئنان؛ فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة، لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء... وقال الشيخ الساعاتي: بل لا يصح وقوعها من المتسمين بالصلاح فضلاً عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-: انظر: «الإسرائيليات» (ص: ٢٦٩-٢٧٠)، و«الأحاديث الصحيحة في أخبار الأنبياء» لإبراهيم العلي (ص: ١٨٠).

يقوم مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فأما الإمام، فمأخوذ من التقدم على غيره في سائر الأمور الشرعية، وعلى الرعية كلها أن يطيعوه في أمره، ويتدبروا بتدبيره، فهو المقدم عليهم إذا انعقد له ذلك بالحجة التي يجب على الجماعة التسليم لها، والانقياد لمن دعا إليها.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ بالعدل، والحكم لغة: الفصل، وشرعاً: أمر ونهي يتضمن إلزاماً ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ هوى النفس ﴿فِيضْلَكَ﴾ نصب جواب، أو جزم جواب النهي، وفتحت اللام للساكنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الدلائل الدالة على الوحدةانية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي: بتركهم الإيمان به، والإعداد له.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خلقاً.

﴿بَطْلًا﴾ إلا لغرض صحيح.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة، ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ
الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ولما قال الكفار (١) للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل أجركم،

نزل:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ ﴾ أي: لا نجعل الصالحين كالمالحين، ولا المتقين كالكافرين.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ كَتَبَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا كتاب.

﴿ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ ﴾ لينظروا في معانيها فيؤمنون. قرأ

أبو جعفر: (لِيَدَّبَّرُوا) بالخطاب بقاء واحدة مع تخفيف الدال، وقرأ الباقر:

بالغيب وتشديد الدال؛ أي: ليتدبروا، فأدغمت التاء (٢).

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ويتعظ ذوو العقول السليمة.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ ﴾ سليمان؛ لأنه المخصوص

بالمدهح.

(١) في «ت»: «ولما قال كفار قريش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٧٠٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٤).

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ عَنِ الْمَخَالَفَاتِ .

﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ﴾ (٣١) .

[٣١] ولفظة (أَوَّاب) هي العامل في : ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو ما بعد الزوال، وكان لسليمان ألف فرس، فصلى الظهر، وكان يريد جهاداً، فجلس على سريره، فأمر أن تُعرض عليه ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ جمع صافن من الخيل، وهو القائم على ثلاثة قوائم، ويشني الرابعة، والصفون يختص به عِتَاقُ الخيل.

﴿الْخِيَادُ﴾ جمع جواد، وهو الخيار، إن استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت.

﴿فَقَالَ إِنْ أَحَبَّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٣٢) .

[٣٢] فعرضت عليه تسع مئة، فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت، ولم يُعلم بذلك هيبةً له، فندم ﴿فَقَالَ﴾ اعترافاً بذنبه : ﴿إِنْ أَحَبَّتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: آثرت حبَّ الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام، وسميت بذلك؛ لأن الخير معقود بنواصيها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)، المعنى اشتغلت بنظري إلى الخيل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤) .

﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ عن صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ الشمس .
﴿بِالْحِجَابِ﴾ ظلّمة الليل .

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ثم قال : ﴿رُدُّوْهَا﴾ أي : الخيل ﴿عَلَيَّ﴾ فرّدوها .

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يقطع سوقها وأعناقها بالسيف ،
وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته ، فذبحها وتصدق بلحومها ،
فأبدله الله خيراً منها الريح .

روي أنه قتلها إلا مئة ، فجميع خيل الدنيا من تلك المئة . قرأ قبل عن
ابن كثير : (بِالسُّوقِ) بهمز الواو مضموماً ، وعنه وجه ثان بالهمز مجزوماً ،
وقرأ الباقر : بإسكان الواو بغير همز^(١) .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه^(٢) ، وسببه أنه

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٣) ، و«التيسير» للداني (ص :
١٦٨) ، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٦٠-١٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢٦٤/٥) .

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨١) : نقل المفسرون في هذه الفتنة
وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها ، وهي ممّا لا يحل نقلها ؛ وهي من
أوضاع اليهود والزنادقة ، ولم يبين الله الفتنة ما هي ، ولا الجسد الذي ألقاه على =

غزا مدينة حصينة في البحر يقال لها: صيدون، فقتل ملكها، وأخذ ابنته جرادة، فاصطفاها لنفسه لحسنها، فعملت تمثال أبيها في بيتها بإذن سليمان لتأنس به، فجعلت هي وجواريتها يسجدون له بكرة وعشياً أربعين يوماً، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً، وكان مقرباً عند سليمان، فقال: يا نبي الله! كبرت سني، ورق عظمي، ونفد عمري، ولقد حان مني ذهابه، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأُثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه^(١)، فذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأفضلك في صغرك^(٢)، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك! ثم انصرف، فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأه غيظاً، فلما دخل سليمان داره، أرسل إليه، فقال: يا آصف! ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثنت عليهم خيراً في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني، جعلت تثني علي بخير

= كرسى سليمان، وأقرب ما قيل فيه أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن بالحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة.. فلم تحمل إلا امرأة واحدة وجاءته بشق رجل»، فالفتنة هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شقَّ رجل اهـ، ولتمام الفائدة انظر التعليق في نهاية هذه القصة المختلقة.

(١) «بما فيه» زيادة من «ت».

(٢) «وأفضلك في صغرك» ساقطة من «ت».

في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهدم التمثال، وعاقب النساء، ثم أتى الخلاء ووضع خاتمه عند امرأته الأمانة، وكان ملكه في خاتمه، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، فأثاها الشيطان صاحب البحر، واسمه صخر، على صورة سليمان، فأعطته الخاتم، فلبسه، وجلس على كرسي سليمان يحكم بين الناس، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، فخرج سليمان فأتى الأمانة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمانة! خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت، فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج، فكان يقول لمن مر به: أنا سليمان بن داود، فيهرؤون منه، ويحثون التراب في وجهه، فعمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان^(١) لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى، باع إحدى سمكته بأرغفة، وشوى الأخرى فأكلها، فمكث كذلك أربعين صباحاً عِدَّة ما كان عبد الوثن في داره، فأنكر آصف بن برخيا وعظماء بني إسرائيل حكم^(٢) عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، ثم استخبر آصف نساء سليمان، فأخبرنه بأمور قبيحة يعتمدها ذلك الشيطان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل، وأخبرهم بالحال، فاجتمع القراء والعلماء، وأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة

(١) في «ت»: «الحيات».

(٢) «حكم» ساقطة من «ت».

فقرؤوها، فطار من بين أيديهم، وألقى الخاتم في البحر، فابتلعه حوت، فأخذه بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك، حتى إذا كان العشي، أعطاه سمكته، فباع إحداها بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فوجد الخاتم في جوفها، فلبسه، وخر ساجداً شكراً لله تعالى، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وعاد إلى حسنه وبهائه وملكه كحاله الأول، ثم جلس على كرسيه، وطلب صخرًا، فجيء به، فجعله في صخرة، وأطبق عليه أخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه، وألقاه في البحر، وكانت فتنته بعد عشرين سنة من ملكه، وملك بعدها عشرين سنة^(١).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩٧/٢١)، و«تفسير البغوي» (٣/٧٠٤-٧٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣٧/٤).

قال الإمام ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام -؛ فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء... وقد رويت القصة مطولة عن جماعة من السلف... وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ

يقول الشيخ محمد أبو شهبه - رحمه الله - ما ملخصه: قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مُسلمة أهل الكتاب؛ فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء... والحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله (سليمان)، فأَيُّ ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلطُ اللهُ الشيطان على نساء نبيه سليمان، وهو أكرم على الله من ذلك؟! وأيُّ ملك ونبوة يتوقف أمرهما على (خاتم) يدومان بدوامه ويزولان بزواله!!؟ وإذا =

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عفريتاً من الجن تفلّت البارحة ليقطع علي صلّاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾» فرددته خاسئاً^(١).

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهائه، وحامت عليه الطير، وعرف الناس أنه سليمان، قاموا يعتذرون إليه مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذرکم، ولا ألوّمکم على ما كان منکم، هذا أمر كان لا بد منه.

وأطاع سليمان جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر على ذلك حتى توفي، وتقدم ذكر وفاته في سورة سبأ، ومحل قبره في سورة البقرة، ومعنى الآية: اخترنا سليمان بن داود بزوال ملكه.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه، وجلس على كرسيه، وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل، وسمي جسداً؛ لأنه قد تمثل في جسد سليمان، وليس به.

= كان (خاتم سليمان) - عليه السلام - بهذه المثابة، فكيف يُعْفِلُ اللهُ شأنه في كتابه، فلم يذكره بكلمة! وهل غير الله خَلْقَةَ سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته؟! إذن آثار الكذب والاختلاق بادية على نسج القصة. انظر: «الإسرائيليات» (٢٧٠-٢٧٤).

(١) رواه البخاري (٣٢٤١)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمٰنَ﴾، ومسلم (٥٤١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وقد أنكر^(١) القاضي عياض - رحمه الله - هذه القصة، وقال: إن معنى ﴿فَتَسْلِمَنَّ﴾ ابتليناه، وابتلاؤه ما حكى عن النبي ﷺ: «أنه قال: لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين امرأة، كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فلم تحملُ منهن إلا امرأة واحدة جاءت بِشِقِّ رَجُلٍ»، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله»^(٢)، قال أصحاب المعاني: والشِقُّ: هو الجسد الذي أُلقي على كرسيه حين عرض عليه، وهي عقوبته ومحنته، قال القاضي عياض^(٣) - رحمه الله -: «وإن سئل: لِمَ لَمْ يقلُ سليمانُ في القصة المذكورة: إن شاء الله؟ فعنه أجوبة، أسدُّها ما روي في الحديث الصحيح: أنه نسي أن يقولها، وذلك لينفذ مراد الله، والثاني: أنه لم يسمع صاحبه، وشغل عنه.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٣٥).

[٣٥] فلما رجع ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ لا يكون.

(١) جاء على هامش «ت»: «وقد ذكر الزمخشري عن صاحب «المدارك» أنه من الأباطيل كما ذكرنا، وأنها مما لا يصح نقلها كما في «النهر».

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٢)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ﴾، ومسلم (١٦٤٥)، كتاب الإيمان، باب: الاستثناء، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) انظر: «الشفاء» للقاضي عياض (١٦٦/٢-١٦٧).

﴿لَا أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي﴾ المراد: أراد أن يفرد في البشر؛ ليكون خاصة له وكرامة، ولم يفعل هذا غيراً على الدنيا، ولا نفاسةً بها.

قال ابن عطية: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، وقيل: أراد: لا ينبغي لأحد من بعدي مدة حياتي؛ أي: لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني^(١). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِن بَعْدِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ﴾.

[٣٦] ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ فذلّلناها لطاعته إجابةً لدعوته. قرأ أبو جعفر: (الرِّيحَ) بألف بعد الياء على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد^(٣).

﴿تَجْرِي بِأَمْرِ رُخَاءٍ﴾ حال من ضمير (تجري)؛ أي: رخوة لينة.
﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: قصد.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٠٥/٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٥/٥).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٥/٥).

﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ عطف على ﴿بَنَّاءٍ﴾ وتبدل من الشياطين .

﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ فكانوا يبنون له الأبنية العجيبة ، ويغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ .

﴿وَعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨).

[٣٨] وتعطف على ﴿وَعَوَّاصٍ﴾ : ﴿وَعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ بالقيود ، فكان يأخذ مَرَدَّةَ الشياطين ، فيجمع أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع ، ويتركهم كذلك .

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ الذي لا يقدر عليه غيرنا .

﴿فَامْنُنْ﴾ فأعط منه مَنْ شئت .

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ امنع عن الإعطاء من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي : غير محاسب على الإعطاء والمنع ، وكان إذا أعطى أجر ، وإن منع لم يَأْثَمَ ، بخلاف غيره .

﴿وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ﴾ لقربى في الآخرة ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ وهو الجنة .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ .

[٤١] ثم أمر ﷺ بذكر - أيوب عليه السلام - وما ابتلي به ؛ ليأتم به ^(١) الصابرون ، فقال تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي ﴿٢﴾﴾ أي : بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ مشقة ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم المرض . قرأ حمزة : (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها ، وقرأ أبو جعفر : (بِنُصْبٍ) بضم النون والصاد ، وقرأ يعقوب : بفتحهما ^(٣) ، وقرأ الباقر : بضم النون وإسكان الصاد ^(٤) ، وكلها لغات بمعنى البلاء والشدة ، والمراد : ما قاساه في مرضه قال : ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ تأدباً مع الله تعالى ، وإن كانت الأشياء كلها منه تعالى ، ونسب ذلك إلى الشيطان ؛ لأنه كان بسببه ووسوسته ، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء .

﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ .

[٤٢] فعوفي ، وقيل له : ﴿أَرْكُضْ﴾ اضرب الأرض ﴿بِرَجْلِكَ﴾ فركض ، فنبعت عين ماء ، فقيل : ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ أي : موضع غسل .
﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي : ماء تغتسل به ، وتشرب منه فتبرأ .

(١) «ليأتم به» ساقطة من «ت» .

(٢) «أي : بأني» زيادة من «ت» .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٦ / ٥) .

(٤) انظر : «تفسير البغوي» (٧٠٩ / ٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦١ / ٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٦-٢٦٧) .

روي أنه ركض باليمنى^(١)، فخرجت عين حارة، وركض باليسرى، فخرجت عين باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الباردة، فزال عنه كل ألم كان بظاهره وباطنه^(٢).

وروي أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم، فكلّموه في ظلمه، وأغلظوا له، إلا أيوب؛ فإنه رفق به مخافة على زرعه، فعاقبه الله على ذلك ببلائه^(٣).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ روي أن الله سبحانه وهب له أهله وماله في الدنيا، فأحيا الله^(٤) مَنْ مات منهم، وما هلك من ماشيته وماله^(٥).

﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بارك في جميع ذلك، وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال.

(١) في «ت»: «باليمين».

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٩٩/٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣٨٤/٧)، وظاهر نظم القرآن الكريم عدم تعدد الضرب والنبع، كما ورد في «روح المعاني» للألوسي (٢٣/٢٠٧)، و«الإسرائيليات» لأبي شهبه (ص: ٢٨١).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/٦١)، عن الليث بن سعد.

(٤) لفظة الجلالة لم ترد في «ش».

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٥٠٨).

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: لرحمتنا عليه.

﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: وتذكيراً للذوي العقول.

﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ

أَوَّابٌ﴾ (٤٤).

[٤٤] روي أن أيوب - عليه السلام - كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه، فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني، لبرىء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني، لبرىء، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول لها: أَلْقَيْتِ عَدُوَّ اللَّهِ فِي طَرِيقِكَ؟ فلما أغضبته ونحوه^(١)، حلف إن عوفي ليجلدنها مئة جلدة^(٢)، فلما عوفي، لطف الله تعالى بها؛ لخدمتها أيوب، فقال:

﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا﴾ هو قبضة من الشجر فيها مئة قضيب.

﴿فَأَضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك لتبرئ يمينك ﴿وَلَا تَحْنُثْ﴾ أي: لا تدع الضرب

فتحنت، فأخذ مئة عود، وضربها ضربة واحدة، فحلل الله يمينه، وهي رخصة في الحدود.

واختلف الأئمة فيها، فمذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض، وكان جلدًا، أُخِّرَ للمرض، فإن لم يرج برؤه، جُلِدَ بعشكال عليه مئة غضن،

(١) «ونحوه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/٢١٢).

فإن كان خمسون، ضرب به مرتين، وتمسه الأغصان، أو ينكس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء، أجزأه، ومذهب أبي حنيفة: يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ؛ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب ضرباً^(١) شديداً، يضرب مقدار ما يتحمله من الضرب، ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط، ويفرق الضرب، وعدد^(٢) الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً، أخر إلى أن يبرأ؛ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال، ولا يؤخر للمرض، ولو رجي زواله، ويضرب بسوط يؤمن معه التلف؛ كالقضيبي الصغير، فإن خشي عليه من السوط، أقيم بأطراف الثياب، وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك، جمع ضغث فيه مئة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة؛ كقول الشافعي.

وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق، ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة إن كان حدها^(٣) الجلد، فحتى تتعالى؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم، فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يربيه، فحتى يستغني عنها، والشافعي: حتى ترضعه اللبأ ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين، ومالك وأحمد: بمجرد الوضع.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ على البلاء، وقول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ لم يكن جزءاً؛ لأنها شكاية إلى المحبوب، فدل على أنه في غاية الصبر.

(١) «ضرباً» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) «الضرب وعدد» زيادة من «ت».

(٣) «حدها» ساقطة من «ت».

﴿يَعْمَ الْعَبْدُ﴾ أَيُوبُ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله تعالى .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قرأ ابن كثير: (عَبْدَنَا) بفتح العين وإسكان الباء بغير ألف على الأفراد، فيجعل (إِبْرَاهِيمَ) عطفَ بيان، ويعطف عليه (وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)، وقرأ الباقون: (عِبَادَنَا) بكسر العين وفتح الباء وألف بعدها على الجمع^(١)، جعلوا الأسماء الثلاثة بعده عطفَ بيان، ولم يذكر إسماعيل معهم؛ لأنه لم يُبتل كهؤلاء، تلخيصه: أخبر يا محمد عن هؤلاء .

﴿أُولَى الْأَيْدَى﴾ القوة على العبادة والأفعال الجميلة، وعبر باليد عنها؛ لأنها غالباً تفعل باليد ﴿وَالْأَبْصَرِ﴾ البصائر في الدين والعلم .

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ اصطفياناهم ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (بِخَالِصَةٍ) بغير تنوين على الإضافة؛ أي: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة؛ أي: يعملون لها، والذكرى بمعنى الذكر، وقرأ الباقون: بالتنوين^(٢)؛ أي: بخالصة هي ذكرى الدار، فتكون (ذِكْرَى الدَّارِ) بدلاً عن (الْخَالِصَةِ) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)،

و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٨) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، =

﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين ، جمع مصطفى .

﴿ الْأَخْيَارِ ﴾ جمع خَيْر .

﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام .

﴿ وَالْيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز [استخلفه إلياس على بني إسرائيل ، ثم استنبىء ، وتقدم ذكره في سورة الأنعام ، وكان هو وإلياس قبل زكريا عليهم السلام] ^(١) . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (وَالْيَسَعَ) بتشديد اللام وإسكان الياء ، والباقون : بإسكان اللام مخففة وفتح الياء ^(٢) ، وهما لغتان ، فمن قرأ بلامين ، فأصل الاسم لَيْسَعَ ، ثم أدخلت الألف واللام [للتعريف ، ومن قرأ بلام واحدة ، فالاسم يَسَعُ ، ودخلت الألف واللام] ^(٣) زائدتين ؛ كزيادتهما في نحو الخمسة عشر .

﴿ وَذَا الْكِفْلِ ﴾ تقدم ذكره ^(٤) في سورة الأنبياء .

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٩/ ٥) .

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٠٤) ، و«تحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص :

٣٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٠) .

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت» .

(٤) في «ت» : «تفسيره» .

﴿وَكُلُّ﴾ تنوينه عوض من محذوف؛ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ﴿٤٩﴾.

[٤٩] ﴿هَذَا﴾ أي: الذي يتلى عليكم ﴿ذِكْرٌ﴾ شرف وثناء جميل
للأنبياء.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مرجع.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ عطف بيان لحسن مآب.

﴿مُّفْتَحَةٌ﴾ نعت للجنات ﴿لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ رفع، بدل من الضمير، تقديره:
مفتحة هي الأبواب.

﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾.

[٥١] ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾
والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الطَّرَفِ الرَّابُّ﴾ ﴿٥٢﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الطَّرَفِ﴾ لا ينظرون إلى غير أزواجهن.

﴿أَنْرَابُ﴾ جمع تَرَب، وهم الأصفياء على سن واحد، فكأن التراب^(١)
قد مسهم في وقت واحد عند الولادة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة،
لا يتباغضن ولا يتغايرن.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥٣﴾.

[٥٣] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (يُوعَدُونَ) بالغيب؛
أي: المتقون، وقرأ الباقون: بالخطاب^(٢)؛ أي: قيل لهم ثم: هذا
ما توعدون.

﴿لِيَوْمِ﴾ أي: لأجل يوم^(٣) ﴿الْحِسَابِ﴾ كادخر هذا ليوم كذا.

﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: انقطاع.

﴿هَذَا وَابٍ لِلطَّغِيْنَ لَشَرِّ مَثَابٍ﴾ ﴿٥٥﴾.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ أي: الأمر هذا.

﴿وَابٍ لِلطَّغِيْنَ﴾ للكافرين ﴿لَشَرِّ مَثَابٍ﴾ مرجع.

(١) «التراب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)،
و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١).

(٣) «يوم» زيادة من «ت».

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَلْسَ الْمِهَادُ﴾ (٥٦).

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل من (لَشَرٍّ) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها.
﴿فَيَلْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ (٥٧).

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ﴾ وهو الماء الحار الذي انتهى حره ﴿وَعَسَاقُ﴾ الزمهرير، وقيل: هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج الزناة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (وَعَسَاقُ) بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها^(١)، ومعناها واحد.

﴿وَأَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿وَأَآخِرُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بضم الألف من غير مد على الجمع؛ أي: مذوقات آخر، وقرأ الباقر: بفتح الهمزة مشبعة على التوحيد^(٢)؛ أي: وعذاب آخر ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثله.
﴿أَزْوَاجُ﴾ أجناس تماثل العذاب؛ أي: يعذبون بأنواع مختلفة.

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧١-٢٧٢).

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] فإذا دخل القادة النار، ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة إشارة إلى الأتباع: ﴿ هَذَا فَوْجٌ ﴾ جمع .

﴿ مُّقْتَحِمٌ ﴾ داخل ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ النار، والافتحام: الدخول بشدة .

روي أن الزبانية تضربهم بالمقامع في النار، فثم يقول القادة دعاءً منهم على أتباعهم:

﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ أي: لا سعة عليهم في عيشهم، والمرحبة والرحبة: السعة، تقول العرب: مرحباً، وأهلاً وسهلاً؛ أي: أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض .
﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ داخلوها مثلنا .

﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الأتباع للقادة: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ﴾ بل أنتم أحق بما قلتم .

﴿ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ ﴾ أي: الكفر، وشرعتموه .

﴿ لَنَا ﴾ فلنا ولكم النار ﴿ فَيَسَّ ﴾ الدار ﴿ الْقَرَارُ ﴾ جهنم .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الأتباع: ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا ﴾ أي: هذا الدين، وهو الكفر ﴿ فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا ﴾ أي: مضاعفاً ﴿ فِي النَّارِ ﴾ .

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ﴿٦٢﴾.

[٦٢] ولما دخل الكفار من صناديد قريش النار، تحيروا ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى﴾ هنا ﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾؟ يعنون: فقراء المسلمين، وهم عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسلمان رضي الله عنهم^(١).

﴿اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٦٣﴾.

[٦٣] ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا: ﴿اتَّخَذْنَاهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مِنَ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ) بوصل همزة (اتَّخَذْنَاهُمْ) على الخبر؛ أي: إنا اتخذناهم، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقر: بقطع الهمزة مفتوحة على استفهام توبيخ أنفسهم^(٢).

﴿سِخْرِيًّا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقر: بكسرها؛ من الهزء^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣٢/٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٦/٢٤). وانظر: «الدر المثور» للسيوطي (٢٠١/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٧١٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٦١/٢ - ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧٣/٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٦٠)، =

﴿أَمْ زَاغَتْ مَالَتْ﴾ عَنْهُمْ الْأَبْصَرُ ﴿أَي: هم معنا ولا نراهم .

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي وصفنا ﴿لَحَقُّ﴾ لصدق .

﴿تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ﴾ سمي تخاصماً؛ لتقاؤلهم .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مخوِّفٌ .

﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ الذي لا شريك له ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء .

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو مالك جميع العالم .

﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْغَفَرُ﴾ لمن تاب .

﴿قُلْ هُوَ نَبَوُّ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٣) .

﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يتضمن وعظه: أن التصديق فيه نجاة، والتكذيب فيه هلكة.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لتمامي غفلتكم، هو توبيخ لهم.

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾.

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ هم الملائكة ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. قرأ حفص عن عاصم: (مَا كَانَ لِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧٠﴾.

[٧٠] ﴿إِنْ يُوحَىٰ﴾ أي: ما يوحى ﴿إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ قرأ أبو جعفر: (إِنَّمَا) بكسر الهمزة على الحكاية، كأنه قيل له: إنما أنت نذير مبين، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان: أنا عالم، فيقال له: لم قلت: إنك عالم؟ فيحكي المعنى، وقرأ الباقر: بالفتح^(٢)؛ كأنه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي

(ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

يقول: إلا الإنذار، والمعنى: ما علمت هذا إلا بوحي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ يَخْنَصِمُونَ﴾:

﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ يعني: آدم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ﴾ أتممت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه ﴿فَقَعُوا﴾ خروا ﴿لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تكرمة وتبجيلاً، لا عبادة، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام، أبطله.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء من الساجدين.

﴿اسْتَكْبَرَ﴾ عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ باستكباره.

= (٣٦٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧٤/٥).

﴿ قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۖ أَتَكْبَرُ ۚ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ۝

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الله : ﴿ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ بنفسى من

غير توسط كآب وأم؟ واليدان صفة من صفات الله تعالى - عز وجل - تؤمن بها كما جاءت، ونكل العلم فيها إلى الله، ثم أدخلت همزة استفهام التوبيخ على همزة الوصل، فحذفت وبقيت مفتوحة، فقليل :

﴿ أَتَكْبَرُ ﴾ عن السجود لآدم ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ المتكبرين من غير

استحقاق؟

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ۝

[٧٦] ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ تقدم الكلام عليه في

سورة الأعراف، والحجر، والإسراء.

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ۝

[٧٧] ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ مطرود.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ۝

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (لَعْنَتِي)

بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ [٧٩]

[٧٩] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [٨٠]

[٨٠] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ .

﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [٨١]

[٨١] ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ هي النفخة الأولى .

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢]

[٨٢] ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [٨٣]

[٨٣] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ استثناء منقطع . وتقدم اختلاف

القراء في (المُخْلِصِينَ) ، وتوجيه قراءاتهم في سورة الصافات [الآية: ٤٠] .

= (٣٦٢ / ٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧٥ / ٥) .

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [٨٤].

[٨٤] ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾.

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٥].

[٨٥] ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ﴾ يا إبليس وذريتك ﴿ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من ذرية آدم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير في (مِنْهُمْ). قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: (فَالْحَقُّ) بالرفع في الأول، معناه: أنا الحقُّ، وأقول الحقُّ، والباقون: بالنصب فيهما^(١)، فنصب الأول على الإغراء؛ كأنه ألزم الحق، والثاني بإيقاع الفعل عليه؛ أي: أقول الحقُّ، ومن رفعهما على القراءة الشاذة، فمعناه: أنا الحقُّ، والحقُّ أقوله، والمراد بالحق: اسمه تعالى في قوله: ﴿ أَنْ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ جعل.

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٧١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٦).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة .
﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للخلق أجمعين .

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُكُمْ بَعْدَ حِينٍ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ أيها المشركون ﴿نَبَأُكُمْ﴾ صدق ما أخبرتكم به في
القرآن من الوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ بعد مدة، وهو يوم القيامة، والله أعلم .

* * *



مكية إلا ثلاث آيات، نزلت في شأن وَحْشي قاتلِ حمزة بن عبد المطلب، وهي: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآيات الثلاث^(١)، وقالت فرقة: بل إلى آخر السورة مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات، وآيها: خمس وسبعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ألف ومئة واثنان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته مبتدأ، وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في قدرته ﴿الْحَكِيمِ﴾ في إرادته^(٢)، والإشارة إلى القرآن أنه تنزيل من الله لا من غيره.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٧/٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧٣١/٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٣٩).

(٢) في «ت» و«ش»: «إبداعه».

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ فيه ، وفي أحكامه وأخباره .

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ حال من العابد ﴿ لَهُ الدِّينَ ﴾ نصب به ؛ أي : الطاعة .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ﴾ أي : من حقه ، ومن واجباته .

﴿ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ من الشرك ، لا يقبل غيره .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ أي : من دون الله ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ والعائد إلى (الَّذِينَ) محذوف ؛ أي : والذين اتخذهم الكفار آلهة من دون الله ؛ كالأصنام ، وعيسى ، والعزير ، والملائكة ، قالوا :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ تقريباً ، مصدر .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين العابد والمعبود ، والمسلم والكافر .

﴿ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين ، فيدخل المؤمن الجنة ، والكافر النار .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ إلى الإسلام ﴿ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ في أن الآلهة تشفع

له، أو تقربه ﴿كَفَّارٌ﴾ وهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر، العاتي فيه.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَاصْطَفَىٰ﴾ لاختار.
﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ولم يخص^(١) مريم ولا عيسى بذلك، ولخلق أشرف منه، واتخذ ولدًا^(٢) ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له.
﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ المنفرد عن صاحبة والولد ﴿الْقَهَّارُ﴾ اتصاف على الإطلاق؛ لأن أحداً من البشر إن اتصف بالقهر، فمقيد في أشياء قليلة، وهو في حيز قهره لغيره مقهور لله تعالى على أشياء كثيرة.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالواجب الواقع موقعه، الجامع للمصالح.

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يذهب أحدهما،

(١) في «ت»: «يختص».

(٢) «ولداً» زيادة من «ت».

ويغشي مكانه الآخر، فيكون كأنه قد غشيه، ولف عليه، وأصل التكوير:
اللفُّ والجمع، ومنه كور العمامة التي تلوى بعضها على بعض.

﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وتسخيرهما: دوامهما على الجري لمصالح
العباد.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة الدنيا ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على
كل ممكن ﴿الْفَقْرُ﴾ لذنوب التائبين.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ
ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ
ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصَرِّفُونَ﴾.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: نفس آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
يعني: حواء خلقت من ضلعه القصيري، و(ثم) لترتيب الأخبار، لا لترتيب
المعاني؛ لأنه لما كان خلق حواء من آدم غريباً عادة، عطفت (ثم) ما بعدها
على ما قبلها لفظاً، فكأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها
زوجها.

﴿وَأَنْزَلَ﴾ أحدث ﴿لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا﴾ هي المذكورة في
سورة الأنعام. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) بإدغام
اللام الأولى في الثانية^(١).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٦).

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا﴾ مصدر ﴿مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نطفًا، ثم علقًا، ثم مضغًا، ثم عظامًا، ثم خلقًا سويًا. قرأ حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك^(١).

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة.
 ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف تعدلون عن طريق الحق، وبأي سبب تضلون؟!

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٧] ثم بين أن لا حاجة به إليهم، فقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ﴾ مع ذلك.

﴿لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ رحمة لهم إذا وقعوا فيه ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ لله تعالى، فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ﴾ أي: يرضى الشكر ﴿لَكُمْ﴾ لأنه سبب فلاحكم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (يَرْضَهُ) بإشباع ضمة الهاء، وقرأ السوسي عن أبي عمرو: بإسكان الهاء، وقرأ نافع، وحمزة، ويعقوب، وحفص عن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٦).

عاصم: باختلاس ضمة الهاء، وروي عن كل من الدوري راوي أبي عمرو، وابن جمار راوي أبي جعفر: وجهان: الإسكان، والإشباع، وروي عن كل من هشام راوي ابن عامر، وأبي بكر راوي عاصم: وجهان: الإسكان، والاختلاس، وروي عن كل من ابن ذكوان راوي ابن عامر، وابن وردان راوي أبي جعفر: وجهان: الاختلاس والإشباع^(١).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة.

﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه مستغيثاً.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٧/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٧/١-٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩-١٠).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يعني: الأوثان ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ليصد عن دين الإسلام. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (لِيُضِلَّ) بفتح الياء، والباقون: بضمها^(١).

﴿قُلْ﴾ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى انقضاء أجلك.
﴿إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ﴾.

[٩] ونزل في كل مؤمن: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ مصلٌ ساعاته. قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة: (أَمَّنْ) بتخفيف الميم دخلت همزة الاستفهام على (مَنْ)، تقديره: أَمَّنْ هو قانت كغيره؟ وقرأ الباقر: بتشديدها^(٢)، دخلت (أَمْ) على (مَنْ)، فأدغمت فيها الميم، ف(أَمْ) منقطعة، تقديره: الكافر خير أم المطيع؟ فمن خفف، اتبع المصحف؛ لأنها فيه بميم واحدة، ومن شدد، فعلى الأصل.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يعني: في الصلاة، ونصبهما حال من ضمير (قَانِتٌ) ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ هي المغفرة، ثم بين أن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠-١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١).

لا مساواة بين من نزلت فيه هذه الآية، وبين من نزلت فيه الآية التي قبل بقوله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴿التَّوْحِيدَ﴾، وَيَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهُ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ.﴾

﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهم الكفار؟
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ﴾ بأمثال هذه البيانات.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بطاعته. أجمع القراء على الوقف على (يَا عِبَاد) بالحذف، إلا ما انفرد به الحافظ أبو العلاء عن رويس.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ أي: للمحسنين بالطاعات في الدنيا مثوبة ﴿حَسَنَةٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ قال ابن عباس: «يعني: ارتحلوا من مكة»^(١)، وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي.

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى.

﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: مكيال، قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٩/٤).

وأصحابه ؛ حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء، وصبروا^(١).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١١).

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ التوحيد، لا أشرك به شيئاً.

قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّي) بفتح الياء^(٢)، والباقون: بإسكانها^(٣).

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١٢).

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أمتي، و(أُمِرْتُ) الثاني معطوف

على (أُمِرْتُ) الأول، وإن كان لفظهما واحداً؛ لأن الأول أمر بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق، فلاختلاف جهتهما تنزلاً منزلة المختلفين، وصح عطف أحدهما على الآخر.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٣).

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ عبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

وهذا حين دُعي إلى دين آبائه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٩/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٢٣/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٠/١٥).

(٢) «الياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢/٦).

وأبو عمرو^(١): (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^(١٤).

[١٤] ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ نصب بقوله: ﴿أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ أمر بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً على المخالفة من العقاب.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١٥).

[١٥] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أمر توبيخ وتهديد؛ كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ المبالغين في الخسران ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بدخول النار ﴿وَأَهْلِيَهُمْ﴾ المعدين لهم في الجنة من الحور والولدان لو آمنوا؛ بعدم وصولهم إليهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة.

﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ مبالغة في خسرانهم.

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾ أطباق وسرادقات من النار^(١) ودخانها.

﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لمن تحتهم، وهي فرش لهم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ المؤمنين؛ ليتقوه، يوضحه:

﴿يَعْبَادُونَ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِي) بإثبات الياء فيهما، وافقه روح في الثاني^(٢).

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ونزل في أبي ذر، وسلمان، وزيد بن عمرو بن نفيل: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣) أي: الأوثان، وتذكر وتؤنث، وهو من الطغيان، وزيدت التاء فيه مبالغة؛ كالرحموت.

(١) «أطباق وسرادقات من النار» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٦).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٢٥/٤)، و«تفسير البغوي» (١٠/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٤/١٥). قال ابن عطية: وهي على كل حال عامة في الناس إلى يوم القيامة يتناولهم حكمها.

﴿ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ رجعوا إلى عبادته ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ في الحياة الدنيا بالثواب، وفي الآخرة بحسن المآب على السنة الرسل ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ أي: قول الله. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (عِبَادِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة وصلماً، وافقه يعقوب وقفاً^(١) ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: أفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح، واحتمال على صبر، ونحو ذلك.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ المذكورون مبتدأ، خبره ﴿ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾ لأنهم كانوا يأخذون بعزائم القرآن، وهو أحسنه بالنسبة إلى أخذه؛ لأنه كله حسن، لا أن فيه حسناً وأحسن.

﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ العقول السليمة.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ ﴾ أي: ثبت ﴿ عَلَيْهِ ﴾ من الكفار ﴿ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ وهي: هُوَ لَا لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ هذه الآية جملة

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٦٧ و١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ و٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣).

واحدة من شرط وجزاء، فالشرط (مَنْ)، وجيء بالفاء قبله للعطف على محذوف، والهمزة قبلها للإنكار، والفاء في (أَفَأَنْتَ) جزاء الشرط، والهمزة قبلها زيادة في الإنكار، تقديره: أأنت المتصرف، فمن وجب عليه العذاب، فأنت منقذه؟ أي: لا تقدر على هداية الكافرين، والمراد: أبو لهب وولده، قاله ابن عباس^(١).

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبِينَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾^(٢).

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها^(٢).

﴿لَهُمْ عُرفٌ﴾ علالي ﴿مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبِينَةٌ﴾ كبناء المنازل في الأرض، بعضها فوق بعض.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت المنخفضة والمرتفعة من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد.

﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ لأن الخلف نقص، وهو تعالى منزّه عنه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١١/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٤/١٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٦).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ هو المطر ﴿ فَسَلَكَهُ ﴾ أدخله ﴿ يَنْبِيعَ ﴾ عيوناً وركايا ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ فكل ما في الأرض من السماء ينزل منها إلى صخرة بيت المقدس، ثم يقسمه الله تعالى في الأرض كالعروق في الأجساد.

وروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: أنه قال: «المياه العذبة، والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس»^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنهار الأربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات»، فأما سيحان، فنهر بلخ، وأما جيحان، فدجلة، وأما النيل، فنيل مصر، وأما الفرات، ففرات الكوفة، فكل ما يشرب ابن آدم، فهو من هذه الأربعة، وتخرج من تحت الصخرة^(٢).

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ ﴾ بالماء ﴿ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ﴾ من أخضر وأحمر وغيرهما.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/٧٣)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو حديث منكر كما قال ابن عدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/١٣٥-١٣٦)، وروى مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ أي: يتم جفافه ﴿فَرَّهٖ مُصْفَرًا﴾ بعد خضرته وحسنه .
 ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾ فتاتا .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إذ لا يتذكر به غيرهم، وهذا مثل الدنيا .

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ أي: وسعه ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ فقبله، وأقبل عليه .

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ هدى ﴿مِّن رَّبِّهِ ۖ﴾ وجواب (مَنْ) محذوف، تقديره: أفمن شرح صدره، فاهتدى، كمن طبع على قلبه فضل؟ يدل عليه:
 ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ المعنى: إذا ذكر عندهم، ازدادت قلوبهم قسوة .

﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ والآية نزلت في حمزة وعلي - رضي الله عنهما -، وأبي لهب وولده، قال مالك بن دينار: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة»^(١) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٢)، و«تفسير القرطبي» (١٥/٢٤٨) .

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقْشَعَرٍّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن، وتبدل من (أَحْسَنَ) ﴿كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً حسناً ونظماً ﴿مَثَانِي﴾ أي: مردّد ومكرّر في أحكامه ﴿نَقْشَعَرٍّ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ خوفاً وإجلالاً لله تعالى، والقشعريرة: تغير في جسد الإنسان عند الوجد والخوف.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فهي تقشعر عند الوعيد، وتلين عند الوعد.

عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله، تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها»^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ بخذلانه.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ينقذه من الضلال. قرأ ابن كثير: (هَادِي) بإثبات الياء

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٣٢٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٦/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٣)، من حديث العباس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٠/١٠): فيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات.

حالة الوقف، وروي ذلك عن قبل، ويعقوب^(١).

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي ﴾ معناه: أفمن يدخل النار فيتقي ﴿ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أشدّه، كمن هو آمن منه ﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ المعنى: أن الإنسان إذا عرض له ما يخافه، اتقاه بيده، وطلب أن يتقي بها وجهه؛ لأنه أعز أعضائه، والذي يلقي في النار مغلولاً يداه إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه ﴿ وَقِيلَ ﴾ أي: ويقول الخزنة.
﴿ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ﴾ جزاء.

﴿ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ثم حذر كفار مكة بعذاب من تقدمهم، فقال:

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم.

﴿ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يخطر ببالهم أن

العذاب يأتيهم منها.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٦-١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥).

﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْحِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْحِزْيَ﴾ الذل والهوان، والمسخ والقتل والسبي، وغيرها.

﴿فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ المعد لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لشدة ودوامه .
﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، لا اعتبروا به .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاج إليه .
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون .

﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة؛ كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح .
﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ بريئاً من التناقض .
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا ﴾ بدل من (مَثَلًا) ﴿ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقهم.

﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سَالِمًا) بألف بعد السين وكسر اللام؛ أي: خالصاً، لا مشارك له فيه، وقرأ الباقون: (سَلَمًا) بغير ألف وفتح اللام^(١)؛ أي: لا تنازع فيه، وهذا مثل ضربه الله لأهل التوحيد، ومثل الذي عبد الآلهة كمثال الشركاء.

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ في الصفة ﴿ مَثَلًا ﴾ نصب على التمييز، وهذا توقيف لا يجيب عنه أحد إلا بأنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنهم قد أجابوا، فقال:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على ظهور الحجة عليكم من أقوالكم، ثم قال تعالى:

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه، فأضرب عن مقدر محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحجة، وأن الأمر ليس كما يقولون، بل أكثرهم لا يعلمون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (١٥/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٦).

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠).

[٣٠] ولما استبطؤوا موته ﷺ، نزل:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) أي: ستموت، ويموتون، فلا شماتة بالموت.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ بعد البعث.

﴿تَخَصُّمُونَ﴾ تتحاكمون؛ يعني: المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

عن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: «كنا نقول: ربُّنا واحد، وديننا واحد، ونبيُّنا واحد، فما هذه الخصومة؟! فلما كان يوم صفين، وشدَّ بعضُنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم، هو هذا» (٢).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْيَسْرَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه.

﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ القرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ من غير تفكر في أمره.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦)، و«تفسير

القرطبي» (١٥/٢٥٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/٢٠٤).

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ منزل ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير .

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ ﴾ هو أبو بكر رضي الله عنه ، وقيل : (الذي) هاهنا للجنس ؛ ليتناول الرسل والمؤمنين ؛ لقوله :

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ قال ابن عطية : وهو أصوب الأقوال ^(١) .

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ في الجنة .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم .

﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ .

[٣٥] ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ يسترها عليهم بالمغفرة .

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : يجزيهم بمحاسن أعمالهم ، ولا يجزيهم بمساوئها .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣١) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ استفهام إنكار للنفي ؛ مبالغة في الإثبات . قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف : (عِبَادَهُ) بألف على الجمع ؛ يعني : الأنبياء - عليهم السلام - ، قصدهم قومهم بالسوء ، فكفاهم الله شر من عاداهم ، وقرأ الباقون : (عَبْدَهُ) بغير ألف على التوحيد^(١) ؛ يعني : محمداً ﷺ ، وروي عن قبل ، ويعقوب : الوقف بالياء^(٢) على (بكافي) .

﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ الكفار يا محمد ﴿ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ بالمعبودين من دون الله تعالى ، وهي الأصنام ؛ لأنهم قالوا له : نخشى عليك أن تقتلك ، أو تخيلك .

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه . وقف ابن كثير (هادي) : بإثبات الياء ، وروي ذلك عن يعقوب^(٣) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٨٩) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/ ٦) .

(٢) «بالياء» ساقطة من «ت» .

(٣) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٦-١٣٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ٣٧٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩) .

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ إذ لا راد لفعله .

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ من الكافرين ؟

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمَسِّكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لوضوح

البرهان على تفرد بالخالقية .

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من ألهمتكم ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بشدة وبلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾ بنعمة وبركة ﴿هَلْ هِيَ مُمَسِّكَتُ رَحْمَتِهِ﴾ المعنى : أفرايتم هؤلاء إذا أراد الله أمراً لهم قدرة على نقضه ؟ وحذف الجواب عن هذا ؛ لأنه من البين أنه لا يجيب أحد إلا بأنه لا قدرة للأصنام على شيء من ذلك . قرأ حمزة : (أَرَادَنِيَ اللَّهُ) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها ، وقرأ أبو عمرو ، ويعقوب : (كَاشِفَاتُ) (مُمَسِّكَاتُ) بالتنوين ، ونصب (ضُرُّهُ) و(رَحْمَتُهُ) على الأصل ؛ لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال ، وقرأ الباقيون : بغير تنوين فيهما تخفيفاً ، وخفض (ضُرُّهُ) و(رَحْمَتِهِ) على الإضافة^(١) ، فسألهم رسول الله ﷺ عن ذلك ،

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٠) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨) ، و«النشر في =

فسكتوا، فقال الله له: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾^(١) من كل شيء .
﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواقفون .

﴿قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

[٣٩] ثم أمره بتوعدهم بقوله: ﴿قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ﴾
أي: على ما رأيتموه متمكناً لكم . قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ)
بألف بعد النون على الجمع، والباقون: بغير ألف على الإفراد^(٣) .
﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ أي: على مكاتي، فحذف؛ للاختصار، والمبالغة في
الوعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٤) .

[٤٠] ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو عذاب الدنيا يوم بدر .
﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم، وهو عذاب الآخرة أعاذنا الله منه
برحمته .

= القراءات العشر لابن الجزري (٣٦٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٨٤/٦) .

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١٣٢/٤)، و«تفسير البغوي» (١٨/٤) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠/٦) .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أي : لأجلهم ؛ لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ في أخباره وأحكامه .

﴿ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ ﴾ عمل وسعى .

﴿ وَمَنْ ضَلَّٰ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ ﴾ فإن وبال ضلاله عليه .

﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ والوكيل : القائم على الأمر حتى يكمله .

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ثم نبه تعالى على آية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوجدانية، وأن ذلك لا شرك فيه لصنم ولا غيره، فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ لأن للإنسان نفسين : نفس الحياة، هي الروح تفارق بالموت، ونفس التمييز تفارق بالنوم، وتبقى نفس الحياة، وبينهما مثل شعاع الشمس، قال ابن عباس : « فيقبض الله تعالى جميع الأنفس التمييزية والحيوانية » .

﴿ حِينَ ﴾ أي : وقت ﴿ مَوْتِهَا ﴾ لانقضاء أجلها .

﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ﴾ والأنفس التي لم يحكم بموتها يقبض نفسها التمييزية ﴿ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي : وقت نومها ؛ بأن تخرج عن جسدها، وتبقى فيه

الحيوانية؛ لأن النفس والحركة بها تكون والنائم نفس^(١) يتنفس ويتحرك.

﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى جسدها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (قُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (الْمَوْتُ) بالرفع على ما لم يُسم فاعله، وقرأ الباقون: بفتح القاف والضاد، فتصير الياء ألفاً، ونصب (الْمَوْتُ)^(٢) مفعولاً به لقوله: (اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ)^(٣).

﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ﴾ يرُدُّ النفس التي لم يحكم عليها بالموت إلى جسدها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت موتها، المعنى: يتوفى الأنفس التي حكم بموتها وقت الموت، ويتوفى الأنفس التي لم يحكم بموتها وقت النوم، شبه النائم بالميت؛ لعدم تمييزه، وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء، فمن كان منهم طاهراً، أذن له في السجود، ومن لم يكن منهم طاهراً، لم يؤذن له فيه^(٤).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ لدلالات.

﴿لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ﴾ فيستدلون على قدرته تعالى على البعث.

(١) «نفس» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ونصب الياء».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (١٩/٤)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١/٦).

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٥٦/٤).

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٤٢].

[٤٣] ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ﴾ أي: بل اتخذ قريش ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: من غير إذنه ﴿ شُفَعَاءَ ﴾ والهمزة إنكار عليهم؛ لاعتقادهم شفاعاة الأصنام حيث قالوا: ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا ﴾ أي: وإن كانوا؛ يعني: الآلهة. ﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ من الشفاعاة ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا محذوف، تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يَلِكْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه؛ لأنه.

﴿ لَمْ يَلِكْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يُحْصِي أَعْمَالَكُمْ هُنَا. ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ ﴾ إلى حسابه ثُمَّ ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم. قرأ يعقوب: (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء ونصب الجيم^(١).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١/٦).

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: أفرد بالذكر دون آلهتهم
﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت ﴿قُلُوبُ﴾ الكافرين .

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنام .
﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بذلك .

روي أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في أمنيته : تلك
الغرائق العلا ، وفرح الكفار بذلك^(١) .

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠): جاءت من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها
مسندة من وجه صحيح . وقال الألوسي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٧) بعد أن ذكر من
أسند هذه القصة : قد أنكر كثير من المحققين هذه القصة ؛ فقال البيهقي : هذه
القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضي عياض في «الشفاء» : يكفيك في
توهين هذا الحديث أنه لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند
صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب المتلفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ثم ذكر - رحمه الله - عن
محمد بن إسحاق وأبي منصور الماتريدي ما ملخصه : أن هذه القصة من وضع
الزنادقة يلقونها بين الضعفاء وأرقاء الذين ليرتابوا في صحة الدين ، وحضرة
الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية . إلخ . وانظر : «الإسرائيليات» لأبي شعبة
(ص : ٣١٤-٣٢٢) .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦).

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: التجيء إليه بالدعاء؛ فإنه قادر على ما يشاء، ومعنى اللهم: يا الله برحمتك وفضلك، والغيب: ما غاب عن البشر، والشهادة: ما شهوده.

﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاة من الليل يقول: اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بأمرك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧).

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أخبر تعالى عن سوء حال الكفرة يوم القيامة، وأن ما نزل لو قدروا على الافتداء منه بضعف الدنيا بأسرها، لفعلوا.

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ أي: جزاء سيئات ﴿مَا كَسَبُوا﴾ من الشرك عند عرض صحائفهم.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من البعث والعذاب.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩).

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَانَا﴾ وعطف هذه الآية بالفاء، وعطف مثلها في أول السورة بالواو؛ لأن هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ على معنى: إنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مس أحدهم ضرر، دعا من اشْمَأَزَّ من ذكره، دون من استبشر بذكره، وما بينهما من الآيات^(١) اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِنَّا﴾ تفضلاً ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: علم من الله أنني أهل له، وذكر الكناية؛ لأن المراد بالنعمة: الإنعام.

(١) في «ت»: «من الآتي».

﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: النعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ استدراجٌ لهم .
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .
[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا﴾ أي: مقالته ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون؛ حيث
قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] .

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الأموال والمعاصي .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ .

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها وهو العذاب .

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: كفار مكة .

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ كما أصاب أولئك .

﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين، فقتل صناديدهم بيدٍ، وقطعوا سبع سنين .

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فإنه وسَّع عليهم

سبع سنين بعد تلك السبعة .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] عن ابن عباس : أنَّ ناساً من المشركين كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ^(١) فَرَطُوا وتعدَّوا الطورَ ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ القنط: أعظم اليأس. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم ^(٢): (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، وقرؤوا هم وحمزة: (لَا تَقْنَطُوا) بفتح النون، وقرأ الباقون: بإسكان الياء وكسر النون ^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ عموم بمعنى الخصوص، على أن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة، و(جَمِيعًا) نصب على الحال.

(١) رواه البخاري (٤٥٣٢) كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا﴾، ومسلم (١٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -.

(٢) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦ و ١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢/٦).

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

قال ﷺ: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»^(١).

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٥٣).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ وارجعوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ عن الذنب تائبين .

﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ أخلصوا العمل لوجهه .

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العذاب .

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٥٤).

[٥٥] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن .

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ فجأة .

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ لشغلكم^(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٧) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الزمر، والإمام أحمد

في «المسند» (٤٥٤/٦) من حديث أسماء بنت يزيد، قال الترمذي: حسن

غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب .

(٢) في «ت»: «لغفلتكم» .

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ أَنْ تَقُولَ ﴾ (أن) في هذه الآية مفعول من أجله؛ أي: وأنبيوا وأسلموا من أجل أن تقول ﴿ نَفْسٌ ﴾ نكر نفساً إرادة الكثرة؛ ليشيع في كل النفوس ﴿ بِحَسْرَتِي ﴾ أصلها: يا حسرتي، ومن العرب من يرد ياء الإضافة ألفاً، فيقول: يا غلاماً، ويا جارا. قرأ أبو جعفر: (يَا حَسْرَتَايَ) بياء بعد الألف، وروي عنه فتحها وإسكانها، وكلاهما صحيح عنه، وقرأ الباقون: بغير ياء، ووقف يعقوب: (يَا حَسْرَتَاة) بهاء ساكنة بعد الألف^(١).
﴿ عَلَى مَا فَرَّطْتُ ﴾ قَصَّرْتُ ﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ أي: طاعة الله.
﴿ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ ندامة على استهزائه بأمر الله تعالى، والسخر: الاستهزاء.

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ بِالطَّافَةِ.
﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ الشُّرَكَ.

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴾ عياناً: ﴿ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةٌ ﴾ رجعة

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٥/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٦).

إلى الدنيا ﴿ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الموحدين ، ويحمله على هذا القول
تحييره وندمه حيث لا ينفع .

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴾ .

[٥٩] فثم يقال رداً عليه ^(١) : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي ﴾ يعني : القرآن ،
وهي سبب الهداية ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ﴾ عنها .
﴿ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ بها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ بأن جعلوا له البنات
والصاحبة ، وشرعوا ما لم يأذن به ، إلى غير ذلك .
﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما ينالهم من الشدة .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مقام ﴿ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان ؟

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾ .

[٦١] ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب :

(١) « فثم يقال رداً عليه » زيادة من « ت » .

(وَيُنَجِّي اللَّهُ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، وقرأ الباقون: بفتح النون وتشديد الجيم^(١)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِمَقَارَاتِهِمْ) بألف بعد الزاي على الجمع؛ لأن لكل واحد مفازة؛ أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز، وقرأ الباقون: بغير ألف على الأفراد إرادة الجنس^(٢)، وهو مصدر من الفوز: النجاة؛ أي: مكان الفوز، وهو الجنة.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ لا يصيبهم المكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تفسير للمفازة.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢].

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كلام مستأنف دال على الوجدانية.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ والوكيل: القائم على الأمر، الزعيم بإكماله، فالخلق غير المخلوق، وهو فعل الرب تعالى القائم به، مغاير لصفة القدرة في قول الحنفية وأئمة الشافعية والسلف وأكثر أصحاب أحمد؛ خلافاً لأكثر المعتزلة وغيرهم في قولهم: هو هو.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٦-٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٧).

﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣).

[٦٣] ﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ﴾ أي: مفاتيح خزائن ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ واحدا
مقلاد، فمفاتيح السموات: المطر، والأرض: النبات.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ متصل بقوله:
﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وما بينهما اعتراض، التقدير: وينجي المتقين،
والكافرون هم الخاسرون.

﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنيَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦٤).

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنيَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ وذلك أن كفار قريش
دعوه إلى دين آبائه. قرأ ابن عامر: (تَأْمُرُونَنِي) بنونين ظاهرتين خفيفتين
على الأصل، الأولى علم الرفع، والثانية للوقاية، ويسكن ياء الإضافة،
وقرأ نافع، وأبو جعفر: بنون واحدة خفيفة على الحذف مع فتح ياء
الإضافة، وقرأ الباقر: بنون واحدة مشددة على الإدغام، فابن كثير منهم
يفتح ياء الإضافة، والباقر: يسكنونها^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص:
١٩٠-١٩١)، و«تفسير البغوي» (٢٦/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٣٦٣-٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٢٧/٦).

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الرسل .
﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الذي عملته قبل الشرك وحبط معناه : بطل ،
فالخطاب مع الرسول ﷺ ، والمراد منه : غيره .

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ في صفقتك بسبب حبوط عملك ، وتقدم حكم
بطلان أعمال المرتدين من صلاة وحج ، واختلاف الأئمة في ذلك في سورة
البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ
كَافِرٌ﴾ [الآية : ٢١٧] .

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ الفاء جواب شرط محذوف ، تقديره : لا تعبد ما
أمرك الكفار بعبادته ، بل إن عبت ، فاعبد الله ، فحذف الشرط ، وأقيم
المفعول مقامه ، معناه : لا تعبد إلا الله .
﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ له على فضله .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرَكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به
غيره ، ثم أخبر عن عظمتهم .

فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال من الأرض^(١) ﴿قَبَضَتْهُ﴾ أي: في تصرفه، والمراد: الأرضون السبع؛ لقوله: (جَمِيعًا).
﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي: مجموعات بقدرته.
﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو منزّه عن الشبه الذي لا يليق به.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن، والصحيح أنها النفخة الثانية بعد نفخة الفرع بأربعين سنة، وفي الخبر: أنها ثلاث نفخات، وتقدم ذكرها في سورة النمل.

﴿فَصَعِقَ﴾ فمات.

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة^(٢) ﴿أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة البعث، وروي أن بين النفختين أربعين، لا يدري أبو هريرة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة^(٣).

(١) «حال من الأرض» زيادة من «ت».

(٢) «نفخة» زيادة من «ت».

(٣) رواه البخاري (٤٥٣٦) كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ جميع الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أهوال يوم القيامة وما يفعل بهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أي: أضاءت عرصات يوم القيامة.

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إضافة خلق إلى خالق؛ أي: بنور الله تعالى، وقيل: بعدله.

﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: كتاب الأعمال، ووُحِدَ على اسم الجنس؛ لأن كل واحد له كتاب على حدة ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على أممهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ يشهدون للرسول بالإبلاغ، وهم أمة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداء على الناس، وقيل: الحفظة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين العالم بأجمعه ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) لا يوضع شيء من أمورهم في غير موضعه. قرأ قبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: (وَجِيءَ) و(قِيلَ)، و(وَسِيقَ): بإشمام الضم الجيم والقاف والسين، وافقهم في إشمام السين: ابنُ ذكوان راوي ابن عامر^(٢).

(١) في «ت» كتبت الآية: ﴿بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢ و ١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٠).

﴿وُوفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿وُوفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ثواب .

﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد .

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات ، واحدتها

زُمرَة ، ونصبه على الحال ؛ أي : يساقون سوقاً خبيثاً إلى النار .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ السبعة عند مجيئهم ؛ تهويلاً لسانها ،

ولم تفتح قبل ؛ لبقاء حرها .

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وهم الزبانية توبيخاً : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ من

جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ يخوفونكم .

﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وهو وقت دخول النار .

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود : ١١٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فوجبت لنا النار .

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾
جهنم، وأبهم القائل؛ لتحويل ما يقال لهم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَتْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ تكرمة لهم، ونصبه
على الحال. قرأ أبو عمرو: (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) بإدغام التاء في الزاي^(١).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وجواب (حتى) محذوف تقديره:
حتى إذا جاؤوها، اطمأنوا، وجيء بالواو في (وَفُتِحَتْ) للإيذان [أنها كانت
مفتحة قبل مجيئهم تكرمة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفَنَّنَةً لَهُمْ
الْأَنْبُوبُ﴾ [ص: ٥٠] قالوا: وللحال تقديره: جاؤوها وقد فتحت أبوابها،
وحذفها في الآية الأولى لبيان^(٢) أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فالكفار
يساقون إلى النار سريعاً إهانةً، والمتقون يساقون إلى الجنة ليصلوا إلى
ما أعد لهم فيها تكرمة لهم. قرأ الكوفيون، وهم: عاصم، وحمزة،

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣٢/٦).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

والكسائي، وخلف: (قُتِحَتْ) (وَفُتِحَتْ) بتخفيف التاء فيهما، والباقون: بالتشديد على التكرير^(١).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا يعتریکم بعد مکروهه .
﴿طَبَّئُمْ﴾ أي: طاب لكم المقام ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم، فدخلوها .

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [٧٤].

[٧٤] فلما رأوا ما أعد لهم فيها، أعجبوا سروراً ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالبعث والثواب ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، والورثة هنا مستعارة؛ لأن حقيقة الميراث أن يصير شيء إلى إنسان بعد موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار لو كانوا مؤمنين ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننتزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ منها، ثم يدخل سائر الأمم^(٢)، وهو إشارة إلى السعة والزيادة عن قدر الحاجة، لا أن أحداً ينزل في غير منزله، روي أن أمة محمد ﷺ تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ثواب المطيعين .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٢٩/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١/٦).

(٢) «منها ثم يدخل سائر الأمم» ساقطة من «ت».

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥).

[٧٥] ثم وصف حال الملائكة فقال: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
الْعَرْشِ﴾ أي: محيطين بجوانبه.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد؛ لأن التكليف يزول
في ذلك اليوم.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين جميع الخلائق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والقائلون هم المؤمنون؛ شكراً لله حين تم
وعده لهم، وقد فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية؛ للإيذان
أن يحمد تعالى في أول كل أمر وخاتمته، والله أعلم.

* * *



مكية بإجماع، وقد روي في بعض^(١) آياتها أنها مدنية، وذلك ضعيف،
والأول أصح، وآيها: خمس وثمانون آية، وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة
وستون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وتسعون كلمة.

روى أنس عن النبي ﷺ: «أن الحواميمَ ديباجُ القرآن»^(٢)، ومعنى
العبارة أنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر وطرق
الآخرة محضاً، وأيضاً فهي قصار لا يلحق قارئها فيها سامة.

وعن عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يرتعَ في رياض
مؤنقةٍ من الجنة، فليقرأ الحواميم»^(٣).

وعن ابن عباس قال: «لكل شيءٍ لباب، وللباب القرآن الحواميم»^(٤).

(١) «بعض» ساقطة من «ت».

(٢) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمى، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور»
(٢٦٩/٧). ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٦٣٤)، والبيهقي في «شعب
الإيمان» (٢٤٧١)، عن ابن مسعود موقوفاً عليه من قوله.

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور»
(٢٦٩/٧).

(٤) رواه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٨).

[١] ﴿حَم﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف^(١)، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الحاء محضاً، وقرأ ورش عن نافع: بإمالتها بين اللفظين، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه بين اللفظين، والفتح، والوجهان صحيحان عنه، وقرأ الباكون، وهم: ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر: بالفتح، وأبو جعفر: يقطع الحروف على أصله، وكذا اختلافهم في بقية الحواميم، وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور، ويختص هذا المحل بقول آخر: أن هجاء (حُمّ) بضم الحاء وشد الميم المفتوحة^(٢)؛ كأنه يقول: حتم الأمر^(٣)، ووقع، وقال ابن عباس: «(الرّ) و(حَمّ) و(نّ) هي حروف (الرحمن) مقطعة في سور^(٤)»، وروي أنه

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) في «ش»: «مفتوحة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٣٣/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٧١-٧٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥/٦).

(٤) في «ت»: «حُمّ الأرض».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/١٥)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣٣/٤)، والتعليق الآتي عند تفسير الآية (١) من سورة الشورى.

اسم الله الأعظم، أقسم بحلمه وملكه، وقيل: الأقرب هاهنا أن يقال: (حم) اسم السورة.

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

[٢] فقوله: ﴿حم﴾ مبتدأ، خبره ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ والتقدير: أن هذه السورة المسماة بـحم تنزيل الكتاب من الله. ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا مثل له ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل المعلومات.

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾.

[٣] ﴿غَافِرِ﴾ أي: سائر ﴿الذَّنْبِ﴾ للمؤمنين، والذنب: مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل، ومنه ذنب كل شيء؛ أي: آخره ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم؛ أي: التوبة، مصدر تاب يتوب توباً ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ للمشركين. ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: ذي التطول^(١) والمن بكل نعمة، فلا خير إلا منه، فترتب في هذه الآية وعيد بين ضدين، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه، وقال ابن عباس: «الطَّوْلُ: السعة والغنى»^(٢)، ثم صدع بالتوحيد في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وبالبعث والحشر في قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

(١) «أي: ذي التطول» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٤/١٠)، وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٤٦/٤).

﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي
الْبَلَدِ ﴾.

[٤] ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ ﴾ أي: في دفعها بالباطل.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بقولهم مرة: إنه سحر، ومرة: إنه قول الكهنة،
ومرة: هو أساطير الأولين^(١)، ومرة: إنما يعلمه بشر، وأشباه هذا، أما
الجدال فيه لحل عقده، واستنباط حقائقه، وتقرير الحق فيه، فمن أعظم
الطاعات.

روي أن رسول الله ﷺ سمع قوماً يتمارون فقال: «إنما هلك من كان
قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدّق
بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم
فكلوه إلى عالمه»^(٢).

﴿ فَلَا يَغْرُوكَ ﴾ يا محمد ﴿ تَقَلُّبُهُمْ ﴾ تصرفهم للتجارة.

﴿ فِي الْبَلَدِ ﴾ فإنهم إن تمتعوا بزخارف الدنيا، فإنهم يعذبون في
الآخرة.

(١) «الأولين» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥/٢)، وعبد الرزاق في «المصنف»
(٢٠٣٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٥)، والبيهقي في «شعب
الإيمان» (٢٢٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾.

[٥] لأنهم كذبوك كما ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على أنبيائهم، وكفروا بهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ كافرة ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه. ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بالشرك، والباطل: ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام الحليّة^(١)؛ كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ﴾ الإسلام. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنكم تمرون على آثارهم، وهذا تهديد لكفار مكة. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَأَخَذْتُهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام^(٢)، وقرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء، والباقون بحذفها^(٣).

-
- (١) في «ت»: «المحلية».
- (٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٦).
- (٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٦).

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٦).

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك، كما حقت على الأمم المكذبة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: بأنهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ سكانها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بألف بعد الميم على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد، وهي للجنس^(١).

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَرِّ﴾^(٧).

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ من الحافين به، وهم الكروبيون سادة الملائكة. قال ابن عباس: «حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمس مئة عام، وهم خشوع، لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء [السابعة، وكل أهل سماء أشد خوفاً من أهل السماء]^(٢) التي دونها».

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦-٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبح قدوس رب الملائكة والروح.

روي أن حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: [سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حكمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون]^(١): سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك^(٢)، وكأنهم يرون ذنوب بني آدم.

وروي أن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة يطوفون ويحمدون مسبحين بحمد ربهم^(٣) ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تعالى أنه واحد^(٤) لا شريك له.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقولون:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعت رحمته وعلمك كل شيء، ونصبه على التمييز.

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦١/١٩)، عن شهر بن حوشب.
ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٥٤/٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٥/٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤)، عن هارون بن رثاب.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣٦/٤).

(٤) «واحد» زيادة من «ت».

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ احفظهم عنه . قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه : (وَقِهِمْ) بضم الهاء ^(١) .

قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة، وأغشُ الخلق للمؤمنين هم الشياطين، وتلا هذه الآية ^(٢) .

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ إياها .

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ عطف على (هم) في (وَأَدْخِلْهُمْ)؛ أي: أدخل معهم هؤلاء؛ ليتم سرورهم .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله .

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ ادفع عنهم العقوبات يوم القيامة، والمعنى:

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٧) .

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٣٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٠٨)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/٢٧٦) .

وقهم ما يسوؤهم. قرأ رويس عن يعقوب: (وَقَهُمُ السَّيِّئَاتِ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾ عند دخول النار ورؤيتهم أعمالهم الخبيثة ومقتهم أنفسهم.

﴿لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ المعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: لمقت الله أنفسكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون أشد مما تمقتونها اليوم وأنتم في النار.

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ﴾ أي: إمامتين: الأولى: أن خلقوا في أصلاب آبائهم موثاقاً، والثانية: عند انقضاء آجالهم.

﴿وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين: الأولى: الخروج من البطن، والثانية: البعث يوم القيامة.

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ بكفرنا بالبعث .

﴿ فَهَلْ ﴾ لنا ^(١) .

﴿ إِلَى خُرُوجٍ ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ^(٢) .

﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ طريق .

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ ﴾
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ تعليل في المعنى ؛ أي : الذي أنتم فيه من العذاب

﴿ بِأَنَّهُ ﴾ أي : بسبب أنكم ﴿ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ بالتوحيد ﴿ كَفَرْتُمْ ﴾
وقلتم : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص : ٥] .

﴿ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ معبودكم ﴿ تُؤْمِنُونَ ﴾ تصدقوا ذلك المشرك .

﴿ فَالْحُكْمُ ﴾ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار ﴿ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ لا
لتلك التي كنتم تشركونها معه في الألوهية ، وَالْعَلِيُّ الْكَبِيرُ صفتا مدح من
صفاته تعالى .

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على وحدانيته .

(١) «لنا» ساقطة من «ت» .

(٢) «ربنا» زيادة من «ت» .

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ أي: مطراً هو سبب الأرزاق.
﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ يرجع عن الشرك.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصكم.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه.

﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ينزل الوحي، سماه روحاً؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ من قضائه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الأنبياء.

﴿لِيُنْذِرَ﴾ قراءة العامة: بالغيب؛ أي: لينذر النبي بالوحي، وقرأ روح عن يعقوب من رواية زيد: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب^(١)؛ أي: لتنذر أنت يا محمد.

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ هو يوم القيامة؛ لأن الخلائق تلتقي فيه. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني وعن قالون راوي الأول: (التَّلَاقِي)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٨/٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، وذكرها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص: ١٣٢) عن ابن السَّمِيعِ.

و(التَّنَادِي) بإثبات الياء فيهما وصلًا، وأثبتها^(١) ابن كثير ويعقوب فيهما وصلًا ووقفًا، وحذفها الباقون فيهما في الحالين^(٢).

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١٦).

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خارجون من قبورهم في بَرَّازٍ من الأرض، ينظرهم البصر، لا تسترهم أَكْمَةٌ ولا غيرها، ونصب (يَوْمَ) على البدل من الأول، فهو نصب لمفعول ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ في الدارين ﴿مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعمالهم وأحوالهم، فبعد فناء الخلق يقول تعالى:

﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلم يُجَبْ، فيجيب نفسه تعالى بقوله:

﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ الذي قهر الخلق بالموت.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٧).

[١٧] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يُجْزَى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

(١) في «ت»: «وأثبتهما».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٩٣٨/٦).

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسبهم في وقت واحد، فلا يشغله حساب عن حساب.

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾.

[١٨] ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ خَوْفُهُمْ ﴿يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾ القيامة، سميت به؛ لأزفها؛ أي: قربها، نظيره: ﴿أَزِفَتِ الْأَرْزَاقُ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: قربت القيامة.

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر ﴿كَظْمِينَ﴾ مكرويين.

﴿مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ فيشفع لهم.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي: خافية ﴿الْأَعْيُنِ﴾ هي استراق النظر إلى محرم؛ كفعل أهل الريب ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ تضره القلوب.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يحكم بالعدل.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ لعجزهم . قرأ نافع ، وهشام عن ابن عامر : (تَدْعُونَ) بالخطاب على معنى : قل لهم يا محمد : والذين تدعون أنتم ، والباقون : بالغيب على ذكر الغائب .
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ صفتان بيّن عُرْو الأصنام عنهما ، وهي عبارة عن الإدراك على إطلاقه .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٢١﴾﴾ .

[٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمرود .

﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن عامر : (أَشَدَّ مِنْكُمْ) بالكاف ، وكذا هو في المصحف الشامي ، والباقون : بالهاء ، وكذا هو في مصاحفهم^(١) .

﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى : ألم يعتبروا بمن قبلهم ؟ كانوا أشد منهم بأساً وأجساداً ، وأحصن قصوراً ، فكفروا .

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فأهلكهم .

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ يدفع عنهم العذاب . قرأ ابن كثير : (وَاقِي)

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٦٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠ / ٦) .

و(هَادِي) بِإثبات الياء وقفاً، وروي ذلك عن يعقوب^(١).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢٢).

[٢٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ فكذبوهم.

﴿ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ ﴾ متمكن مما يريد.

﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وهذا كله وعيد لقريش.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢٣).

[٢٣] ثم ابتدأ تعالى قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وملئه، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأسوة، وفيها لقريش وعيد ومثال يخافون منه أن يحل بهم ما حل بأولئك من النعمة، وفيها وعد للمؤمنين بالنصر والظفر، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ وهي المعجزات.

﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان ظاهر.

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَ وَقَرُوتَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَ وَقَرُوتَ فَقَالُوا سِحْرٌ ﴾ في أمر العصا.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/٦ و ٤٥).

﴿ كَذَّابٌ ﴾ في قوله : إنه رسول من الله ، وخص هامان وقارون بالذكر ؛
تنبيهاً على مكانهما من الكفر ، ولكونهما أشهر رجال فرعون .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ أي : أعيدوا القتل الذي كان أولاً عند مولد موسى عليه
السلام .

﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ عبارة وجيزة تعطي قوتها أن
هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل ،
ولا نجحت لهم فيه سعاية ، بل أضل الله سعيهم وكيدهم .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لقومه : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ لأنهم كانوا يكفونه
عن قتله ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ ﴾ الذي يزعم أنه أرسله ، هل يمنعه من القتل ؟

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ يغير ما أنتم عليه ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ ﴾ فساد دينكم ودنياكم بما يحدث عليكم ^(١) بسبب إيمانكم من قتل
وغيره . قرأ ابن كثير : (ذَرُونِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها ، [وقراً

(١) في «ت» : «منكم» .

نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) [٢]، وقرأ الكوفيون ويعقوب: (أَوْ أَنْ) بزيادة ألف مفتوحة قبل الواو، وبإسكان الواو، وكذلك هي في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقيون: بالواو مفتوحة ليس قبلها ألف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يُظْهِرُ) بضم الياء وكسر الهاء (الْفَسَادُ) بالنصب مفعولاً؛ أي: يحدث موسى الفساد، وقرأ الباقيون: بفتح الياء والهاء (الْفَسَادُ) بالرفع فاعلاً^(٣)، فصار حفص عن عاصم ويعقوب على أصل واحد، وهو زيادة الألف قبل الواو، وضم الياء من (يُظْهِرُ) ونصب (الْفَسَادُ)، ونافع، وأبو جعفر وأبو عمرو على أصل، وهو إسقاط الألف وضم الياء من (يُظْهِرُ) ونصب (الْفَسَادُ)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم على أصل، وهو زيادة الألف قبل الواو، وفتح الياء من (يُظْهِرُ) ورفع (الْفَسَادُ)، وابن كثير، وابن عامر على أصل، وهو إسقاط الألف، وفتح الياء من (يُظْهِرُ)، ورفع (الْفَسَادُ)، فعلى القراءة بالواو وبغير ألف قبلها: خاف عليهم تبديل دينهم والفساد، وعلى القراءة بالألف قبل الواو: خاف عليهم تبديل دينهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١/ ٦).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٢-٤١/ ٦).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لما سمع قولَ فرعون: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لجهله. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عُذْتُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار، بخلاف عن أبي جعفر^(١).

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ابن عمه، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو الذي حكى الله عنه: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [الفصل: ٢٠]، وكان قد آمن بموسى وهو ﴿ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ حكى ابن عطية في «تفسيره»^(٢) عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة، فأطرق قليلاً، ثم رفع رأسه فقال:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٢/٦).

(٢) في «المحرر الوجيز» (٥٥٥/٤).

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فِكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
 ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه، وخصهم بمشاهدته، وتلقى
 الوحي منه، وقد أثنى الله - عز وجل - على رجل مؤمن من آل فرعون كتم
 إيمانه وأسرره، فجعله تعالى في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام
 قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب -
 رضي الله عنه - إذ جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد هذا
 اليوم، انتهى.

﴿أَنْقَتُلُونْ﴾ ظلماً بلا دليل ﴿رَجُلًا أَنْ﴾ أي: لأن.
 ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: بما يدل على
 صدقه، ثم فصل شأن موسى بقوله:
 ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضرر كذبه. قرأ أبو عمرو: (وَإِنْ
 يَكُ كَاذِبًا) بإدغام الكاف في الكاف، وقرأ الباقر: بالإظهار^(١)؛ لنقصان
 الحرفين بعدها^(٢) من الكلمة مع قلة حروفها.
 ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً،
 وبذلك المقدار تهلكون.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ على الله.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٤٣/٦).

(٢) «بعدها» زيادة من «ت».

﴿ يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [٢٩] .

[٢٩] ثم استعطفهم بقوله: ﴿ يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: غالبين في أرض مصر.

﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ يمنعنا من عذابه.

﴿ إِنْ جَاءَنَا ﴾ إذا قتلتم أولياءه.

فثم ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ إضراباً عن مجادلة المؤمن انقطاعاً لقومه:

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي،

وهو قتل موسى.

﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ ﴾ أدعوكم ﴿ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ طريق الفلاح.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ ﴾ أي: أيام

﴿ الْأَحْزَابِ ﴾ لأنه كان لكل حزب يوم. وتقدم اختلاف القراء في فتح الياء وإسكانها من (إِنِّي أَخَافُ).

﴿ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

لِلْعِبَادِ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ مِثْلَ دَابِ ﴾ عطف بيان لـ (مثل) قيل: أي: مثل عادة.

﴿ قَوْمٌ نُوْجٍ وَعَاكِدٍ وَثُمُوْدٌ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ كقوم لوط، المعنى:
أخاف عليكم مثل جزاء عادة من كفر بقلكم أن يحل بكم مثلهم.

﴿ وَمَا اللّٰهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ لأنه عادل، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة
عليهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لأنه
نفى إرادة ظلم ما. قرأ أبو عمرو: (يُرِيدُ ظُلْمًا) بإدغام الدال في الظاء^(١).

﴿ وَيَنْقُومُ إِلَيْنَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَيَنْقُومُ إِلَيْنَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً
في القيامة، وهو يوم الأعراف، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار،
وبالعكس، وينادي: ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً،
[وأن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً]^(٢)، وينادي حين يُذبح
الموت: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت. قرأ
ابن عامر: (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال؛ أي: يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا،
فندوا في الأرض كما تنذ الإبل إذا شردت عن أربابها، قاله البغوي^(٣).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤٤/٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) في «تفسيره» (٤٢/٤)، والقراءة عنده وعند ابن جني في «المحتسب»
(٢٤٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٤/٦) ذكرت عن ابن عباس.

﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْرِبِينَ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وقيل: هاربين من النار إذا لفحهم زفيرها.

﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِيٍّ﴾ مانع.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ وتقدم اختلاف القراء في الوقف على الياء من (التَّادِي) و(هَادِي).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ وهو ابن يعقوب - عليهما السلام -، بعث إلى القبط ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى - عليه السلام - ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات على صدقه، وهو قوله: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من الدين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: أقمتم على كفركم، وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، فلم تزالوا كافرين بيوسف وغيره.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كهذا الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ في الأمور،
متعدِّ الطور ﴿مُرْتَابٌ﴾ شاك؛ لغلبة الوهم، والانهماك في التقليد.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ﴾ ﴿٣٥﴾.

[٣٥] ثم أنحى لهم على قوم صفتهم موجودة في قوم فرعون، فكأنه
أرادهم، فزال عن مخاطبتهم حسن أدب واستجلاباً، فقال: ﴿الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ بالإبطال لها والرد ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان.
﴿أَنَّهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ﴾ يختم ويحجب عن الهدى ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قرأ
أبو عمرو، وابن عامر بخلاف عنه: (قَلْبٍ) بالتنوين (مُتَكَبِّرٍ) صفته، نسب
الكبر إلى القلب، والمراد: صاحبه، وقرأ الباكون: بغير تنوين بإضافة
(قَلْبٍ) إلى (مُتَكَبِّرٍ)^(١)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه، وبالعكس.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ﴾ ﴿٣٦﴾.

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ بناء ظاهراً عالياً
لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصله من التصريح، وهو الإظهار.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)،
و«تفسير البغوي» (٤٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٥/٦).

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ﴾ ما أتوصل به إلى نيل مرادي. قرأ الكوفيون ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾^(٣٧).

[٣٧] ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ طرقها وأبوابها ﴿فَأَطَّلَعَ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (فَأَطَّلَعَ) بنصب العين على جواب (لعل)، لأنها هنا بمعنى التمني، وقرأ الباقون: برفعها عطفاً على (أَبْلُغُ)^(٢)، المعنى: لعلني أبلغ ما يوصلني إلى السماء، فأطلع ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ لأنظر ما هو.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ يعني: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، وتقدم ذكر قصة الصرح في سورة القصص.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (وَصُدَّ) بضم الصاد مجهولاً نسقاً على قوله (زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ)^(٣)، قال ابن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤٤/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/٦). وذكر البغوي أن قراءة (فَأَطَّلَعَ) بالنصب، هي قراءة حميد الأعرج أيضاً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٤٤/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٦).

عباس: «صَدَّه اللهُ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى»^(١)، وقرأ الباقون: بالفتح معلوماً؛
 أي: صَدَّ فرعونُ النَّاسَ ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ سَبِيلَ الرِّشَادِ.
 ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى.
 ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ هلاك وخسران.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
 الرِّشَادِ﴾^(٣٨).

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ﴾
 طريق الهدى. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون عن نافع: (اتَّبِعُونِي)
 بإثبات الياء وصلأً، وقرأ ابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، وحذفها
 الباقون في الحالين^(٢).

﴿يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
 الْقَرَارِ﴾^(٣٩).

[٣٩] ﴿يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ تُمَتَّعون بها يسيراً، ثم
 تزول.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٤٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)،
 و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦/٤٨٤٧).

﴿وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ الإقامة، فليُعتدَّ لها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾.

[٤٠] لأنه ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو النار إن لم يتب.
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والصالح: الطاعات.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.
قرأ نافع، وابن عامر^(١)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، وقرأ الباقر: بضم الياء وفتح الخاء^(٢).

﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٤١﴾.

[٤١] ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ﴾ من النار بالتوحيد. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (مَا لِي) بإسكان الياء،

(١) «ابن عامر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٨/٦-٤٩).

والباقون: بفتحها^(١)، وأبو عمرو يدغم الميم في الميم من (يَا قَوْمَ مَا لِي) ^(٢) ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ بالإشراك، كرر نداءهم؛ إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ ^(٤٢).

[٤٢] ثم فسر فقال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ بربوبيته.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر. ﴿الْغَفَّارِ﴾ لذنوب أهل التوحيد. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ) بالمد^(٣).

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ^(٤٣).

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ قرأ حمزة: (لَا جَرَمَ) بالمد بحيث لا يبلغ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

الإشباع^(١)، يعني: حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده.
 ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط بالعبادة.
 ﴿فِي الذُّنُوبِ﴾ لعجزه.

﴿وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ ينتفع بها.

﴿وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
 بِالْعِبَادِ﴾^(٤٤).

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ من
 النصيحة، فثمّ توعدوه لمخالفته دينهم، فقال:

﴿وَأُفَوِّضُ﴾ أَرَدْتُ ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ معتمداً عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر،
 وأبو عمرو: (أَمْرِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يعلم المحق من المبطل.

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٣٦٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٠/٦).

﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ثم خرج المؤمن من بينهم ، فقصدوا قتله .

﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ به ، فنجا مع موسى .

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الغرق في الدنيا ، والنار في الآخرة .

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] وذلك قوله : ﴿النَّارُ﴾ وهي رفع على البدل من (سوء العذاب) .

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي : يُحرقون بها نحو : عُرض القوم على السيف ؛ أي : قتلوا به .

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً .

قال ابن مسعود : «أرواح آل فرعون في أجواف طيرٍ سود يُعرضون على النار كلَّ يوم مرتين حتى تقوم الساعة»^(١) .

ثم أخبر عن مستقرهم يوم القيامة فقال :

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/١٨٢) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٧/١٠) . ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٦٠) ، والطبري في «تفسيره» (٢٩٥/٢١) عن الهذيل بن شرحبيل .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بوصل همزة (ادخلوا) وضم الخاء، ويتدئون بضم الهمزة؛ من الدخول؛ أي: يقال لهم: ادخلوا يا آل فرعون، ف (يا) محذوفة، وقرأ الباقون: (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة مفتوحة في الحالين، وكسر الخاء؛ من الإدخال^(١)؛ أي: يقال للملائكة: ادخلوا ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ .

﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فيعاد عليهم الإحراق مرة بعد مرة دائماً.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ .

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك وقتَ تخاصمهم .

﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ في القدر والمنزلة في الدنيا .

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم أشراف الكفار وكبرائهم، ولم يصفهم بالكبر إلا من حيث استكبروا، لا أنهم في أنفسهم كبراء ولو كانوا كذلك في أنفسهم، لكانت صفتهم الكبر أو نحوه مما يوجب الصفة لهم .

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمعٌ واحدُه تابعٌ؛ أي: كنا نطيعكم في الدنيا .

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ النَّارِ﴾ ؟

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥١-٥٠) .

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه؛ أي: نحن وأنتم جميعاً ﴿ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ فأدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ ﴾ حين اشتدت عليهم. ﴿ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ شافعين لنا ﴿ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا ﴾ أي: قدر يوم ﴿ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ أي: شيئاً منه.

﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [٥٠].

[٥٠] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الخزنة؛ توبيخاً: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ قرأ أبو عمرو: (رُسُلُكُمْ) (رُسُلْنَا) حيث وقع بإسكان السين، والباقون: بضمها^(١).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢-٥١/٦).

﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا ﴾ لهم تهكماً بهم: ﴿ فَادْعُوا ﴾ أنتم؛ فإننا لا نشفع لكافر، ثم قال تعالى:

﴿ وَمَادُعَاهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ هلاك؛ لأنه لا ينفعهم.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾.

[٥١] ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على أعدائهم.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بثبوت حجتهم.

﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ جمع شاهد، وهم الحفظة، يقومون يوم القيامة، فيشهدون للرسول بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ ﴾ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾.

[٥٢] ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ ﴾ قرأ نافع والكوفيون: (يَنْفَعُ) بالياء على التذكير؛ لأن المعذرة والعتذار واحد، وقرأ الباقون: بالتاء على التانيث؛ لتأنيث المعذرة^(١)، المعنى: لو اعتذروا، لم يقبل عذرهم.

﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ البعد من الرحمة.

﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ الآخرة، وهو شدة عذابها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٦).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَقْنَا بِئِىِٔ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ النبوة والحكمة ، والتوراة تعم جميع

ذلك .

﴿ وَأَوْثَقْنَا بِئِىِٔ إِسْرَءِيلَ ﴾ من بعد موسى .

﴿ الْكِتَابَ ﴾ وهي عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل قرناً بعد قرن

تصير فيهم التوراة إماماً ، فكان بعضهم يرثها عن^(١) بعض .

﴿ هُدًى وَذِكْرًى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ هُدًى وَذِكْرًى ﴾ إرشاداً وتذكرة .

﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ دون الأعمار الذين لا يعقلون .

﴿ فَاصْبِرْ إِنِّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ يا محمد على أذاهم .

﴿ إِنِّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصر أوليائه وقهر أعدائه ، فكما نصر موسى وأبقي

التوراة في بني إسرائيل ، فكذلك ينصرك ويبقي آثارك في أتباعك .

﴿ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ ﴾ ليُستن بك ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صل^(٢) .

(١) في «ت» : «على» .

(٢) «صل» زيادة من «ت» .

﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ الصلوات الخمس، وقيل: صلاة
الفجر والعصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي
صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٥٦] ونزل في اليهود لما قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح ابن داود
- يعنون: الدجال - يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويسير
معه الأنهار، ويرد الملك إلينا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ﴾^(١) برهان ﴿أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾ ما في قلوبهم ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾
أي: تكبر وتعاضم ﴿مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾ لأن الله مذلهم، فليسوا بمدركي
مقتضاه.

﴿فَاستَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فالتجىء إليه من فتنة الدجال.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لأقوالكم وأفعالكم.

وتقدم ذكر ما ورد في الدجال في آخر تفسير سورة الكهف.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٨/١٠)، وزاد نسبه السيوطي في «الدر
المنثور» (٢٩٤/٧) لعبد بن حميد وقال: بسند صحيح عن أبي العالية، وذكر ابن
كثير في «تفسيره» (٨٥/٤) نحوه، وقال: هذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد،
وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتداءً .

﴿أَكْبَرُ﴾ أعظمُ في الصدور .

﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية ، وهي الإعادة .

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ الكفار .

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ، ولا توحيده تعالى ، وهو توبيخ للكفار .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ هو الجاهل ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ هو العالم ﴿وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم المحسنون ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾ اسم جنس يعم المسيئين ، و(لا) زائدة ؛ لأنه في مقابلة المؤمنين .

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي : تذكرأ (ما) قليلاً يتذكرون ، والضمير للناس

أو للكفار . قرأ الكوفيون : (تَذَكَّرُونَ) بتاءين على الخطاب ، وقرأ الباقون : بالغيب^(١) ؛ لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٢) ، و«تفسير البغوي» (٤ / ٥١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٤٥) .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة.

﴿لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك في مجيئها^(١).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٦٠].

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ اعبدونني. قرأ ابن كثير: (ادْعُونِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢)، وأبو عمرو يدغم اللام في الراء، وكذلك في قوله (وَقَالَ رَجُلٌ) وشبهه حيث وقع^(٣) ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أُثَبِّكُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (سَيَدْخُلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً، وقرأ الباقر: بفتح الياء وضم الخاء معلوماً^(٤)، وقيل: الدعاء هو الذكر والسؤال.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٤/٦).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٤/٦).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«تفسير البغوي» (٥١-٥٢)، =

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ ، غَضِبَ عَلَيْهِ»^(١) .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِتَسْكُنُوا ﴾ لتستقروا ﴿ فِيهِ ﴾ بأن خلقه بارداً مظلماً؛ ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس .

﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ يبصر فيه ، وإسناد البصر إليه مجازي .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ وتنكيره الفضل يؤذن بكثرة فضله تعالى ، وشياعه في كل فضل .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهالهم بالمنعم ، وفي تكرير (الناس) توبيخ لهم .

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾ الذي لا يشارك .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥٤-٥٥) .

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٣) ، كتاب : الدعوات ، باب : (٢) ، وابن ماجه (٣٨٢٧) ، كتاب : الدعاء ، باب : فضل الدعاء .

﴿ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن
الإيمان مع قيام البرهان؟

﴿ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كما أفيكنم عن الحق مع قيام الدلائل ، كذلك .

﴿ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ولم يتأملوها .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ سقفاً
كالقبة .

﴿ وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ قال ابن عباس : «خلق ابن آدم قائماً معتدلاً ،
يأكل ويتناول بيده ، وغير ابن آدم يتناول بفيه»^(١) .

﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ اللذائذ غير رزق البهائم .

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإن كل ما سواه
مربوب .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/ ٥٢) .

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا موجود يساويه .

﴿فَادْعُوهُ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو إخبار، وفيه إضمار الأمر، مجازة: فادعوه واحمدوه .

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ولما طلب الكفار منه ﷺ عبادة الأوثان، نزل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ^(١) تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِنْ رَبِّي﴾ وإن كان منهيًا عن عبادتها أبدأ عقلاً، فهو مع البيّنات أكد، ويجوز أنه نهى له ﷺ، والمراد غيره، يوضحه:

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنه كان مسلماً .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥٣/٤) .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ^ط وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي: أطفالاً، وتعلق (لِتَبْلُغُوا) بمحذوف تقديره: يُبقيكم .

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم، وكذلك .

﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (شُيُوخًا) بكسر الشين، والباقون: بضمها^(١) .

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ^ط﴾ من قبل الأشد، ومن قبل أن يصير شيخاً، يفعل ذلك بكم لتعيشوا .

﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدداً، وهو وقت الموت .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون .

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ^ط فَإِذَا قُضِيَ^ط أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ .

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ^ط فَإِذَا قُضِيَ^ط أَمْرًا﴾ أراد .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٦) .

﴿فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ عقب الإرادة بلا إباء. قرأ ابن عامر: (فَيَكُونُ) بنصب النون، والباقون: بالرفع^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرِفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾.

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، يقولون: ليس من عند الله ﴿أَنِّي يُصْرِفُونَ﴾ عن التصديق به؟!

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِكَتِبٍ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِكَتِبٍ﴾ القرآن.

﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من سائر الكتب.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جزاء تكذيبهم.

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ (إِذْ) ظرف زمان ماضٍ بمعنى

الاستقبال؛ لأن مستقبل فعله تعالى كالماضي في تحقيقه لـ (يعلمون)

﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾ عطف على (الأغلال)، فالخبر: (في أعناقهم).

﴿يُسْحَبُونَ﴾ بها.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٧/ ٦).

﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ فِي الْحَمِيمِ ﴾ أي: يُجْرُونَ بالسلاسل^(١)، ويجرونها في جهنم
﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ ﴾ بعد جر السلاسل ﴿ يُسْجَرُونَ ﴾ يوقدون، فيصيرون سجار
جهنم^(٢) .

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ ﴾ بعد الإحراق تبكيئاً: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي الأصنام ﴿ قَالُوا ضَلُّوا ﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلم
نرهم، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم .
﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً ينفع
ويضر .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما أضل هؤلاء .

﴿ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ حتى لا يهتدوا .

(١) «يجرون بالسلاسل» زيادة من «ت» .

(٢) «ت» في «النار» .

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب الذي نزل بكم .

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ تبطرون وتتكبرون .

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وهو الشرك والطغيان .

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح وتختالون .

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي : مقدرين الخلود فيها .

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ولم يقل : فبئس مدخل ؛ للإعلام أن

الغرض من الدخول الإقامة .

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِّئَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾

من العذاب وهو القتل والأسر ﴿أَوْ نَتَوْفِّئَكَ﴾ قبل حلول العذاب بهم .

﴿فَالِإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة ، فنعذبهم أشد العذاب . قرأ يعقوب :

(يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ خبرهم في القرآن.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ لم نذكر لك خبرهم.

روي أن عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً^(٢).

وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس^(٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٨/٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧١)، من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -، قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/١): ومداؤه على علي بن يزيد، وهو ضعيف. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، وفيه أن عددهم: «مئة ألف وعشرون ألفاً».

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٣٢). من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢١٠): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جداً. وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/٥٨٧).

وعن علي - رضي الله عنه - : « أن الله تعالى بعث نبياً أسود، وهو ممن لم يقصص الله عليه »^(١).

وتقدم في سورة البقرة أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بأسمائهم، والذين أشير إليهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ أَنْ يَأْتِكَ بِثَايَةٍ ﴾ تُقْتَرَحُ عَلَيْهِ .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فَإِنَّهُمْ عبيد مربيون .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿ قُضِيَ ﴾ بين الرسل عليهم السلام ومكذبيهم ﴿ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ﴾ ثُمَّ ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾ المعاندون بعد ظهور الآيات المغنية عما يقترحون . واختلاف القراءة في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥] .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٧٩).

[٧٩] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ ﴾ هي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ﴿ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾ بعضاً؛ كالإبل ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ كالغنم والبقر، ف(منها) الأولى للتبويض؛ لأن المركوب ليس من الأنعام، بل من

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١٩/٢١). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢٢٢/٣).

الإبل خاصة ، و(منها) الثانية لبيان الجنس ؛ لأن الجميع منها يؤكل .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلْكِ تَحْمَلُون ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها .

﴿ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد .

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي : على الإبل في البر^(١) ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البحر
﴿ تَحْمَلُونَ ﴾ نظيره قوله : ﴿ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ﴾ دلائل قدرته ﴿ فَأَيَّ ﴾ أي : أي آية من .

﴿ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَسَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم السالفة .

(١) «في البر» زيادة من «ت» .

﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ عددًا.

﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من المصانع والقصور.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ لم ينفعهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حين جاءهم عذاب الله،
و(ما) الأولى نافية، والثانية موصولة.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [٨٣].

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وهو
قولهم: نحن أعلم، لن نبعث، ولن نعذب، سمي ذلك علماً على
ما يزعمونه على طريق التهكم.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ﴾ [٨٤].

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ شدة عذابنا ﴿قَالُوا﴾ بالسنتهم دون قلوبهم:
﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي: تبرأنا مما كنا نعدل
بالله.

﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللّٰهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٨٥].

[٨٥] ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا ﴾ [١] لا متناع قبوله حينئذ .

﴿ سُنَّتَ اللّٰهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ ﴾ ونصب (سُنَّتَ) مصدر مؤكد؛ أي : سن الله ذلك سنة ماضية في العباد أن الإيمان وقت نزول العذاب لا ينفع، و(سنت) رسمت بالتاء في خمسة مواضع، وقف عليها بالهاء : ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي (٢).

﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ اسم مكان استعير للزمان؛ فإن قوله : (هُنَالِكَ) إشارة إلى أوقات العذاب؛ أي : ظهر خسرانهم، وحضر جزاء كفرهم، والله أعلم .

* * *

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٩/٦).



وتسمى: المصابيح، وهي مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وست وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾.

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام في مذاهب القراء، وتفسير (حم) أول سورة غافر، فعلى القول المتقدم بأن (حم) اسم للسورة، يكون مبتدأ.

﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٢] خبره ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتا رجاء ورحمة لله.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[٣] ﴿كِتَابٌ﴾ بدل من (تَنْزِيلٌ)، أو خبر بعد خبر ﴿فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ.

﴿آيَاتُهُ﴾ بالأحكام والقصص والمواعظ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الاختصاص والمدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب
المفصل قرآناً من صفته كيت وكيت.

﴿لِقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أنه منزل^(١) بلغتهم فيفهمونه.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ للعالمين به ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمخالفين له، وهما نعتان للقرآن.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن قبوله.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ السماع النافع الذي يُعتد به سمعاً.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا
وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية، جمع كنان.

﴿مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل^(٢)، فلا نسمع ما تقول، وإنما قالوا ذلك؛

ليؤيسوه من قبولهم لدينه، وهو على التمثيل. قرأ الدوري عن الكسائي:

(آذَانِنَا) و(آذَانِهِمْ) بإمالة فتحة الذال حيث وقع^(٣).

(١) في «ت»: «نزل».

(٢) «ثقل» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/ ٦٣).

﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ أي: خلاف في الدين، فلا نلتفت إلى إنذارك، ولا نؤمن بك ﴿فَاعْمَلْ﴾ يا محمد في هلاكنا ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ في مثل ذلك، وقيل: فاعمل أنت على دينك، إننا عاملون على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُواْ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لست ملكاً ولا جنياً.
﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ولولا الوحي ما دعوتكم.
﴿فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ تعالى؛ أي: توجهوا إليه بالطاعة، ولا تعدلوا عنه إلى عبادة غيره ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ﴾ من ذنوبكم ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.
[٧] صفتهم ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، فلا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد.
﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وأعاد الضمير في قوله: (هم) تأكيداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا^(١) مقطوع ولا منقوص.

(١) «لا»: ساقطة من «ت».

﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والإثنين .
 قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب :
 (أَنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل بين
 الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام،
 وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين^(١)
 ﴿وَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ أشباهاً وأمثالاً .

﴿ذَلِكَ﴾ خالق الأرض ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي خلق جميع الموجودات .

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ إِلَيْنَ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض .

﴿رَوْسِيًّ﴾ أي: جبلاً^(٢) ثوابت .

﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ من فوق الأرض مرتفعة عليها ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ بما خلق من
 المياه والزرع والضروع ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: قسم في الأرض الأرزاق

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٤) .

(٢) «جبلاً» زيادة من «ت» .

بقدر الحاجة ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: تنمة أربعة أيام، المعنى: خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، وقدر الأقوات في الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين المتقدمين أربعة أيام ﴿سَوَاءٌ﴾ قرأ أبو جعفر، (سَوَاءٌ) بالرفع على الابتداء؛ أي: هي سواء، وقرأ يعقوب: (سَوَاءٌ) بالكسر صفة لأيام، وقرأ الباقون: بالنصب على المصدر^(١)؛ أي: استوت سواء واستواء، ومعناه: سواء ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خلقها بما فيها.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿١١﴾.

[١١] ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ عمد إلى خلقها.

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ روي أن العرش كان قبل خلق السماء والأرض على الماء، فارتفع من ذلك الماء بخار فسمي دخاناً، فأبىس الله تعالى الماء فجعله أرضاً، ثم فتقها أرضين، ثم خلق من ذلك البخار السماء. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ أي: كونا كما أردت. ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مصدران في موضع الحال.

قال ابن عباس: «قال تعالى للسماء: أخرجي شمسك ونجومك، وللأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمرك ونباتك، فإن فعلتما ذلك طوعاً، وإلا ألجأتكما أن تفعلاه كرهاً»^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥٩/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٤-٦٥/٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» =

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ حال .

﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾﴾ .

[١٢] فلما وصفهما بالقول، أجراهما في الجمع مجرى من يعقل
﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾ أتمهن؛ يعني: السموات ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس
والجمعة، وفرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها - أي: تلك الساعة - خلق
آدم، وفيها تقوم الساعة، وسمي بالجمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه،
وتكاملها، ولما لم يخلق الله تعالى يوم السبت شيئاً، امتنع بنو إسرائيل من
الشغل فيه .

قال ابن عطية^(١): والظاهر من القصص في طينة آدم: أن الجمعة التي
خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله
فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأن بإيجاد الأرض والسماء والشمس
والقمر وجد اليوم ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: ما أمر به فيها .

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ نصب بمصدر
محذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع والشهب الصادرة عن
الكواكب .

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم .

= (٣١٦/٧) إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات» .

(١) في «المحرر الوجيز» (٥/٥) .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ كفار مكة عما جئتهم به ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ ﴾ خوفتكم .

﴿ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ لأنكم تمرون على آثارهم إذا سافرتهم إلى الشام، والصاعقة: المهلكة من كل شيء .

﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ ﴾ ظرف لـ (أَنْذَرْتُكُمْ)؛ أي: إن كذبتم، يحل بكم ما حل بهم حين جاءتهم ﴿ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من كل جانب ﴿ إِلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ ﴾ .

فثُمَّ ﴿ قَالُوا ﴾ استخفافاً برسولهم: ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا ﴾ هدايتنا ﴿ لَأَنْزَلَ ﴾ بدل هؤلاء الرسل ﴿ مَلَائِكَةً ﴾ فآمنوا بهم .

﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ لأنكم بشر مثلنا، لا مزية لكم علينا .

لطيفة^(١) :

روي أن عتبة بن ربيعة قال لقريش: أنا أستخبر لكم محمداً، وكان قد قرأ الكتب، وتعلم الكتابة والكهانة، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة، عقدنا لك اللواء، فكنت

(١) «لطيفة» ساقطة من «ت» .

رئيسنا، وإن تك بك الباءة، زوجناك عشر نسوة، تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك حب المال، جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة، ومرف في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾» فوثب عتبة، ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله أن يسكت، فسكت، وانصرف عنه، فأخبرهم أنه سمع ما لا يشبه كهانة ولا شعراً ولا سحراً، قال: ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي^(١).

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(١٥).

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ تعظّموا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن استولوا عليها، وأخذوها من أهلها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ظلماً ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ نحن ندفعه إذا نزل بنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، فكان أحدهم يقتلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث شاء، قال الله رداً عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ينكرونها، وهم يعرفون أنها حق.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٦٠-٦١). وقد رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/٢٤٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/٢٢٧).

﴿ فَآرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ فَآرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ عاصفة شديدة الصوت، تُحرق بيردها كحرق النار بحرهما ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، والباقون: بكسرها^(١)؛ أي: نكدات مشؤومات، فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين، ودأبت عليهم الريح بلا مطر.

﴿ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾ الذل ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وصف العذاب بالخزي؛ لأنه حيث حل، حل الخزي معه.

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ أشد ﴿ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ آهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ بينا لهم سبيل الهدى.

﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ ﴾ الكفر.

﴿ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ الإيمان.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦-٦٧).

﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ الذي يُهينهم .

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من اختيار الكفر .

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ قرن تعالى بذكرهم ذكر من آمن

واتقى ، ونجاته ؛ لبيان الفرق .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم ﴿ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ ﴾ يُجمعون ﴿ إِلَى النَّارِ

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبس أولهم على آخرهم . قرأ نافع ، ويعقوب : (نَحْشُرُ)

بالنون وفتحها وضم الشين (أَعْدَاءُ) بالنصب ، وقرأ الباقون : بالياء وضمها

وفتح الشين ، ورفع (أَعْدَاءُ) على البناء للفاعل ^(١) ، وهو الله سبحانه .

﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ (ما) زائدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور .

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يُنطقها الله تعالى

كإنطاق اللسان ، فتشهد بما صدر منها .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٧٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٣) ،

و«تفسير البغوي» (٤/٦٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٦٩) .

﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الكفار ﴿ لَجُلُودُهُمْ ﴾ توبيخاً لهم:

﴿ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ فعنكم كنا نناضل؟

﴿ قَالُوا ﴾ معذرين: ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ له النطق.

﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١).

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٢).

[٢٢] فأخبر الله تعالى: أن الجلود ترد جوابهم؛ بأن الله الخالق المبدئ المعيد هو الذي أنطقهم ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ ﴾ بالحجب عن ارتكاب الفواحش ﴿ أَنْ ﴾ أي: لأن.

﴿ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ المعنى: لم تستتروا عند ارتكاب الفاحشة خوف شهادة جوارحكم عليكم؛ لأنكم لم توقنوا بالبعث.

﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ ﴾ عند استتاركم.

﴿ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الخفيات.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٠).

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ﴾ أهلكم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا﴾ على العذاب .

﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ منزل ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا﴾ يطلبوا العتبي، وهي الرجوع عن الإساءة، وطلب الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المجابين .

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ بعثنا ﴿لَهُمْ﴾ .

وكلنا ﴿قُرَنَاءَ﴾ نظراء من الشياطين .

﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، وما تقدم من أعمالهم .

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب، وما هم

عازمون عليه من الأعمال .

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِي أَمْرِ﴾ في جملة أمم^(١).
 ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنَى وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ أي: جميع المذكورين
 ﴿خَسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْلَمُونَ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قراءته ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا
 فِيهِ﴾ عارضوه إذا قرئ بإكثار الصياح بالهذيان والخرافات، وإنشاد
 الأشعار، واللغو: هو الساقط من الكلام.
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ محمداً على قراءته، فيسكت.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وهو النار.
 ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أقبح جزاء عملهم.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
 يَجْحَدُونَ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ عطف بيان لجزاء قبل. واختلاف

(١) «في جملة أمم» زيادة من (ت).

القراء في الهمزتين من ﴿ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴾ كاختلافهم فيهما من قوله: ﴿ قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا ﴾ في سورة النمل [الآية: ٣٢] ﴿ هَلُمَّ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ الإقامة .
﴿ جَزَاءُ ﴾ مصدر أو حال ﴿ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْجِدُونَ ﴾ ينكرون الحق .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْا مِنَ الْهَيْمَةِ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهم في النار: ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْا مِنَ الْهَيْمَةِ وَالْإِنْسِ ﴾ يعنون: إبليس، وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأنهما سنا الكفر والمعصية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، والسوسي عن أبي عمرو: (أَرْنَا) بإسكان الراء، وروي عن الدوري: اختلاس كسرتها، وقرأ الباقر: بكسر^(١) الراء، وكلها لغات بمعنى الرؤية^(٢)، وقرأ ابن كثير: (الَّذِينَ) بتشديد النون والمد وتمكين الياء لالتقاء الساكنين، والباقر: بالتخفيف^(٣).

﴿ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ في النار ﴿ لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ فيها جزاء إضلالهم إيانا.

(١) في «ت»: «إسكان»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على قولهم، فلم يختل توحيدهم، ولا اضطرب إيمانهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت بالبشرى ﴿أَلَّا﴾ أي: بأن لا ﴿تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أمانة عامة في كل مهم مستأنف، وتسليّة عامة في كل فائت ماض، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه؛ من فوات نافع، أو حصول ضار، والمعنى: أن الله كتب لكم الأمن من كل غم، فلن تذوقوه أبداً. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على لسان الرسل.

﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ﴾ يعني: حفظتكم. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ﴾ من الكرامات^(١). ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ تتمنون.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿نُزُلًا﴾ رزقاً، ونصبه على المصدر ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ .

(١) في «ت»: «المكرّمات» .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

[٣٣] ونزل فيه ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى توحيده.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه، وبينه وبين العباد.

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ معتقداً ذلك.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ فالحسنة أفضل، وكرر (لا) في

قوله (ولا السيئة) تأكيداً؛ ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولا السيئة والحسنة، فحذفنا اختصاراً، ودلت (لا) على هذا الحذف.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحكم، المعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعل أو بالسيرة التي هي أحسن الفعلات والسير، فمن ذلك: بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء، وغيره.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ المعنى: إذا فعلت ذلك، صار العدو كالصديق القريب في محبته.

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم

أسلم^(١) فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة، أو نزلت في شأن أبي جهل وإيذائه رسول الله^(٢) ﷺ، فأمر بالصفح عنه، ونسختها آية القتال^(٣).

﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: هذه الخصلة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كظم الغيظ.

﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ في الخير والثواب.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٦).

[٣٦] ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ (إمّا) شرط، وجواب الشرط

قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ والنزغ شبه النخس، وهو الوسوسة، فكان الشيطان^(٤)

ينخس الإنسان، ويحركه، ويبعثه على ما لا يحل، المعنى: إن صرفك

الشيطان بوسوسته عن الخير، فاستعذ ﴿بِاللَّهِ﴾ منه، وهو يعصمك.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيتك.

(١) ثم أسلم زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الرسول».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٦٧/٤)، و«تفسير القرطبي» (٣٦٢/١٥).

(٤) «فكان الشيطان» زيادة من «ت».

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنهما مخلوقان مثلكم .

﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة ، وأنث ؛ لأنها آيات .

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فإن السجود أخص العبادات ، وهذا محل السجدة عند الإمام مالك رضي الله عنه .

﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا ﴾ عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله سبحانه .

﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة .

﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ يصلون ﴿ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ دائماً .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ لا يملون ، وهذا محل السجدة عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد - رضي الله عنهم - ، وكل من الأئمة على أصله في السجود ، فأبو حنيفة هو واجب ، ومالك هو فضيلة ، والشافعي وأحمد هو

سنة، وتقدم ذكر اختلافهم ملخصاً^(١) عند سجدة مريم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته.

﴿أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ انتفخت بالنبات، وتزخرفت.

﴿وَرَبَتْ﴾ زادت. قرأ أبو جعفر: (وَرَبَّاتٌ) بهمزة مفتوحة بعد الباء،

والباقون: بحذفها^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها.

﴿لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإحياء والإماتة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ
يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بالطعن فيها. قرأ حمزة:

(يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء^(٣).

(١) «ملخصاً» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/ ٧٣-٧٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص:
٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٤).

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم على إلحادهم، ونزل استفهاماً وعيداً
ووعداً:

﴿أَفَنُتْلَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ أمر تهديد
ووعيد.

﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وجواب (إن)

محذوف؛ أي: خسروا، ثم وصف الذكر فقال:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ كريم على الله.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ﴾.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس فيما تقدمه من

الكتب ما يبطل شيئاً منه، وليس فيما^(١) بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل
ما يبطل شيئاً منه، ولا يتطرق إليه ما يبطله من جهة ما، ولا يجد إليه
سبيلاً.

وهو ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يحمده كل مخلوق.

(١) في «ت»: «يأتي».

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ يا محمد؛ من التكذيب ﴿ إِلَّا ﴾ مثل .
 ﴿ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ ﴾ من التكذيب ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ وهو تسلية له ﷺ عن مقالات قومه ، وما يلقي من المكروه منهم .
 ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لأوليائه ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لأعدائه .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤٤] .

[٤٤] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي : هذا الكتاب الذي يُقرأ على الناس .

﴿ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ يُقرأ بغير لغة العرب .

﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ﴾ هَلَّا بَيِّنَتْ ﴿ آيَاتُهُ ۖ ﴾ بالعربية .

﴿ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ الهمزة للإنكار، المعنى : لأنكروا، وقالوا : قرآن أعجمي ، ورسول عربي ؟ والأعجمي - بسكون العين - : من لا يفصح ، وإن كان عربياً ، وليست نسبة حقيقة ، إنما هي توكيد لمعنى الصفة ؛ كأحمرِّي في أحمر . قرأ قنبل عن ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر ، ورويس عن يعقوب باختلاف عنهم : (أَعْجَمِيٌّ) بهمزة واحدة على الخبر ، وقرأ الباقر : بهمزتين على الاستفهام ، فحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وأبو بكر عن عاصم ، وروح عن يعقوب : يحققون الهمزتين ، والباقر : يحققون

الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والألف، وهم على أصولهم، فورش
اختلف عنه في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، وأبو عمرو،
وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، واختلف عن هشام في
تسهيلها وتحقيقها وإدخال الألف بينهما مع تحقيقهما، وروي عن ابن ذكوان
وحفص: إدخال الألف بين الهمزتين مع تحقيقهما^(١) ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة.

﴿وَشِفَاءٌ﴾ لما في القلوب من الشكوك.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هو^(٢) ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصاممهم عند سماعه، وتعاميهم عما يرون

من آياته، ولما كانوا لا يعون ما يسمعون من القرآن، قال:

﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم

واستماعهم له بمن يُنادى من بعد، لم يسمع، ولم يفهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ

رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ كما اختلف في القرآن،

فصدقه قوم، وكذبه آخرون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦-٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص:

١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٦/٧٥-٧٦).

(٢) «هو» زيادة من «ت».

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بأن يفصل يوم القيامة بين
الخلافت، والكلمة: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ بتعجيل إهلاك المكذبين.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من صدقك.

﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع للريبة.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ نفعه ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ضرره.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فلا يضع شيئاً من عقوبات عبده في غير

موضعها، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل عبد بكسبه.

﴿ إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيُنْ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا
مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ متى تكون، لا يعلمه غيره تعالى.

﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحمزة،

والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (ثَمَرَةٍ) بغير ألف على
التوحيد، وقرأ الباقر: بألف بعد الراء على الجمع^(١)؛ لاختلاف الأنواع

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١)، و«النشر في =

﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِمٍّ، وهو وعاء الثمر.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾ أي: ما يحدث حدوثاً؛ من خروج ثمرٍ، وحملٍ حاملٍ ووضعِهِ، وغير ذلك.

﴿إِلَّا يَعْلَمِهُ﴾ فيعلمه تعالى على أي وصف وجد.

﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ بزعمكم.

﴿قَالُوا أَذُنْكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد يشهد بأن لك شريكاً، لما عاينوا العذاب. قرأ ابن كثير: (شُرَكَائِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِصٍ﴾ ﴿٤٨﴾

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ثم ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام.

﴿وَضَنُوا﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِصٍ﴾ مهرب.

﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾

[٤٩] ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ﴾ لا يمل الكافر.

﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال.

= القراءات العشر لابن الجزري (٣٦٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٧/٦).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)،

و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٦).

﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة.

﴿فَيَتَوَسَّطُ﴾ من فضل الله ﴿قَنُوطٌ﴾ قاطع الرجاء من رحمته.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ تُرْجَعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ سعة وعافية.

﴿مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعلمي. قرأ أبو عمرو: (مِنْ
بَعْدِ ضَرَاءٍ) بإدغام الدال في الضاد^(١).

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كزعم محمد.

﴿وَلَيْنَ تُرْجَعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ فرضاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو:
(رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن قالون^(٢).

﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ الجنة، يقول ذلك استهزاء.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ من الأعمال الموجهة لهم النار.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٧/٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧٨/٦).

﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَنِ آعْرَضَ وَنَاَجِجْنَاهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٥١).

[٥١] ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَنِ آعْرَضَ﴾ عن شكره تعالى .

﴿وَنَاَجِجْنَاهُ﴾ بَعْدَ، ولم يمل إلى شكر ولا طاعة. قرأ أبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَنَاءَ) بآلف قبل الهمز مثل وناج؛ من النواء، وهو النهوض والقيام، والباقون: بآلف بعد الهمزة، [وأمال الكسائي، وخلف لنفسه وعن حمزة فتحة النون والهمزة] (١)، وأمال السوسي عن أبي عمرو بخلاف عنه، وخلاد عن حمزة فَتَحَ الهمزة فقط، وفتح النون، وقرأ الباقون: بفتح النون والهمزة على وزن نَعَى (٢).

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال: أطل فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢).

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٩/٦).

﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ عناداً، أستم على هلكة من قبل الله .
 ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق ؛ أي : فلا أحد أضل
 منكم ؛ لأنكم أهلكتم أنفسكم بتكذيبه .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
 أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥٣] .

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ يعني وقائع الله في الأمم،
 وما يفتحه الله^(١) على رسوله ﷺ من الأقطار حول مكة وغير ذلك من
 الأرض ؛ كخيبر، وقهر العرب والعجم .

﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ يوم بدر، وفتح مكة .
 ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ أي : الشرع والقرآن .
 ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مُطَّلَع لا يغيب عنه شيء .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٥٤] .

[٥٤] ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ في شك من البعث .
 ﴿ أَلَّا إِنَّهُ ﴾ تعالى ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ علماً وقدرةً، ومعناه الوعيد
 لهم، والله أعلم .

* * *

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت» .



مكية، وقال مقاتل: فيها مدني ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿الْأُصْدُورِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ إلى ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾، وآيها: ثلاث وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسة مئة وثمانية وثمانون حرفاً، وكلمها: ثمان مئة وست وستون كلمة، وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، والقول الثاني: أنه من سورة النجم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾.

[٢-١] ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾ تقدم ذكر الإمالة، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول غافر، وأشبع ورش مد (ع) بخلاف عنه؛ كأول سورة مريم، قال ابن عباس: «إن (حَمَّ عَسَقَ) هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي أنزل عليه كتاب الله»^(١) و^(٢) ولذلك قال تعالى:

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٧٣/٤)، و«تفسير الرازي» (١٢٣/٢٧). قال الرازي:

وهذا عندي بعيد.

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ وَفُصِّلَتْ (حَم) مِنْ (عَسَقَ)، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِـ(كَهَيْعَصَ) لِتَجْرِي هَذِهِ مَجْرَى الْحَوَامِيمِ أَخَوَاتِهَا، وَلَأَنَّهُمَا عُدَا أَيْتَيْنِ، وَ(كَهَيْعَصَ) عُدَّتْ آيَةً وَاحِدَةً، وَالْأَقْوَالُ فِي هَذِهِ كَالْأَقْوَالِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - : أنه قال : « (ح) حلمه (م) مجده (ع) علمه (س) سناؤه (ق) قدرته ، أقسم الله بها »^(١).

وروي عن علي - رضي الله عنه - : أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور^(٢).

وروى حذيفة بن اليمان : « أن رجلاً يقال له : عبد الإله ، أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً ، فتهلك إحدى المدينتين ليلاً ، ثم تصبح الأخرى سالمة ، فيجتمع فيها جبابرة

(١) انظر : « تفسير البغوي » (٧٣/٤) ، و« فتح القدير » للشوكاني (٥٢٥/٤) ، وقال : وقيل غير ذلك مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل ، وجاءت به حجة ولا شبهة حجة .

(٢) قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقد تحصّل لي فيها عشرون قولاً وأزيد ، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم . انظر : « الإيتقان » للسيوطي (٢٦/٢) ، وفي مقدمة من نفى هذا العلم عن سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - ، هذا ولما سئل السبكي عن دلالة ﴿كَهَيْعَصَ﴾ فكان من إجابته رحمه الله - : . . وأكثر ذلك يكون معصية ممّا يجب إنكاره وبعضه ممّا جربناه فلم نجده صحيحاً ممّا لا فائدة فيه . انظر : « فتاوى السبكي » (٥٦٣/٢) .

المدينتين متعجبين من سلامتها، فتهلك من الليلة القابلة، وإن (حم) معناه: حتم^(١) هذا الأمر، و(عين) معناه: عدلاً من الله، و(سين): سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم^(٢).

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾.

[٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني.

﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِلَى﴾ الرسل ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: كما أوحينا إليك، وأوحينا إليهم. قرأ ابن كثير: (يُوحَى) بفتح الحاء مجهولاً، القائم مقام الفاعل (إليك)، وقرأ الباقر: بكسر الحاء معلوماً، فالفاعل (الله) تعالى، وقرأ أبان عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة^(٣)، فعلى قراءة ابن كثير (كَذَلِكَ) مبتدأ، خبره (يُوحَى)، وعلى قراءة الباقر (اللَّهُ) مبتدأ، خبره (العزیزُ الحکیمُ)، وقال (يُوحِي) مضارعاً دون ﴿أَوْحَى﴾؛ للإيذان أن إيجاد مثله عادته، و(العزیزُ الحکیمُ) صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به.

(١) في «ت»: «حَمَّ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٧/٢١). قال ابن كثير في «تفسيره» (١٠٧/٤): غريب عجيب.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤٩/٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«تفسير البغوي» (٧٤/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٤-٨٣/٦).

﴿لَمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿لَمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً .

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ في قدره ﴿الْعَظِيمُ﴾ في سلطانه .

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَّرُ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء مذكراً؛
لتذكير الجمع، والباقون: بالتاء مؤنثاً^(١)؛ لتأنيث (السَّمَوَاتِ)، و(كَادَ) من
أفعال المقاربة .

﴿يَنْفَطَّرُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم:
(يَنْفَطِرُنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة؛ وقرأ الباقر: بالتاء وفتح الطاء
مشددة^(٢)؛ أي: يتشقق ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي: كل^(٣) منها تنفطر فوق التي
تليها، أو من فوق الأرضين السبع، من قول المشركين: ﴿أَتُخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾
[البقرة: ١١٦] .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان الله، وقيل: يصلون .

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٨٤/٦) .
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٣١٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٤/٦) .
- (٣) في «ت» زيادة: «من» بعد «كل» .

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الذي يطلب هذا منه ؛ إذ هذه أوصافه ، وهو أهل المغفرة .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ .

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء .

﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب يحصي أعمالهم ؛ ليجازي بها .

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بموكل بهم ، ولا بلازم لأمرهم حتى يؤمنوا ، والوكيل : المقيم على الأمر ، وما في هذا ^(١) اللفظ من موادة ، فهو منسوخ بآية السيف .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ .

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإيحاء البين .

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة ؛ أي : أصل البلاد ، والمراد : أهلها ، ولذلك عطف عليها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (مَنْ) في الأغلب لمن يعقل ؛ يعني : قرى الأرض كلها .

﴿وَنُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ هو يوم القيامة ؛ أي : تخوفهم إياه ؛ لما

(١) في «ت» : «هذه» .

فيه مِنْ عَذَابٍ مَنْ كَفَرَ، ويسمى يوم الجمع؛ لاجتماع أهل الأرض وأهل السماء فيه.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في نفسه وذاته، وارتباب الكفار فيه لا يعتد به، ثم بعد الجمع يتفرقون.

﴿فَرِيقٌ﴾ مرتفع على خبر الابتداء المضمَر؛ أي: هم فريق.

﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ هم المؤمنون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ هم الكافرون.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٨] ثم قرن^(١) تعالى تسليية نبيه بأن عرفه بأن الأمور موقوفة على مشيئته تعالى، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد، وهو الإسلام.

﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيمانه، وهو من سبقت له السعادة عنده.

﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ في دين الإسلام.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون الميسرون لعمل الشقاوة.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينقذهم من عذابه تعالى.

(١) في «ت»: «قَوَى».

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٩ .

[٩] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ وهذا كلام منقطع مما قبله ، وليس بمعادلة ، ولكن الكلام كأنه (١) أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة ، فقال : بل اتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء وأنداداً ، و(الفاء) بعد جواب شرط مقدر ، تقديره : بعد نفي جميع الآلهة إن أرادوا ولياً حقاً .

﴿فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ لك يا محمد ولمن اتبعك .

﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ يبعثهم من قبورهم .

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدرته تعطي هذا وتقتضيه .

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ١٠ .

[١٠] ثم أمر ﷺ أن يقول للمؤمنين حيث اختلفوا هم و(٢) المشركون بين يديه :

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ أنتم والكفار .

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ .

(١) «كأنه» زيادة من «ت» .

(٢) «و» : سقط من «ت» .

﴿ذَلِكُمْ﴾ الموصوف بهذا الوصف .

﴿اللَّهُ رَفِيَّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع الأمور .

﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَرْجِع .

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) .

[١١] وهو ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : خالق الآفاق .

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي : من جنسكم . قرأ أبو عمرو ، ورويس عن يعقوب : (جَعَلَ لَكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(١) .

﴿أَزْوَاجًا﴾ حلائل ، وليس الأزواج هاهنا الأنواع ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكرًا وأنثى ؛ إكراماً لكم .

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يخلقكم ، والضمير للأناسي والأنعام ، فغلب الأناسي .
﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير ، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ أي : ليس كهو ﴿شَيْءٌ﴾ يزاوجه ويناسبه ، والمراد من (مثله) : ذاته ، والشئ : عبارة عن الوجود ، قال ابن عباس : «ليس له نظير»^(٢) ، فالتوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ، ولا معطلة من

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٣٤٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٨٦) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٤ / ٧٧) .

الصفات، ليس كذاته ذوات^(١)، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجَلَّتْ الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن تكون للذات المحدثه صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزه عنهما الخالق تعالى، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد بأنه ما عرف الله إلا الله.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لكل ما يُسْمَعُ وَيُبْصَرُ.

﴿لَمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿لَمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسّع ويضيّق؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما تقتضيه حكمته.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

(١) في «ت»: «ذات».

الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿شَرَعَ﴾ بَيْنَ .

﴿لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ وهو أول أنبياء الشريعة .

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (إِبْرَاهِيمَ) بألف بين الهاء والميم^(١)

﴿وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ ثم بين المشروع المشترك فيه هؤلاء، وهو:

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ وهو توحيد الله وطاعته، وما به يكون الإنسان مسلماً .

﴿وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ﴾ في القدر المشترك بينكم من الدين، ولم يرد

الاشتراك في جميع الشرائع؛ لأنها متفاوتة؛ لقوله تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم أخبر تعالى نبيه ﷺ

بصعوبة موقع هذه الدعوة إلى إقامة الدين على المشركين بالله العابدين

للأصنام بقوله:

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ﴾ يا محمد .

﴿إِلَيْهِ﴾ من التوحيد، ثم سلاه عنهم بقوله:

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: لدينه^(٢) .

﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ بالتوفيق .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٨٦/٦) .

(٢) «أي: لدينه» زيادة من «ت» .

﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ يُقْبَلُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَكَانَ نَبِينَا ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ مُتَعَبِّدًا فِي الْفُرُوعِ بِشَرْعٍ مِنْ قَبْلِهِ مُطْلَقًا، وَقِيلَ: مُعَيَّنٌ، فَقِيلَ: آدَمُ، أَوْ نُوحٌ، أَوْ إِبْرَاهِيمُ، أَوْ مُوسَى، أَوْ عِيسَى، وَقِيلَ: بِوَضْعِ شَرِيعَةٍ اخْتَارَهَا، وَقِيلَ: بِالْإِلَهَامِ، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ زَعْمِهِ، فَقَوْلُ سَوْءٍ.

وَامْتِنَاعُ الْمَعْصِيَةِ مِنْهُ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ عَقْلًا مَبْنِيًّا عَلَى التَّقْيِيحِ الْعَقْلِيِّ، وَبَعْدَهَا مَعْصُومٌ مِنْ تَعَمُّدٍ مَا يُخِلُّ بِصَدَقِهِ فِيمَا دَلَّتِ الْمَعْجِزَةُ عَلَى صَدَقِهِ مِنْ رِسَالَةٍ وَتَبْلِيغٍ بِالْإِتِّفَاقِ.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أَي: أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بِأَنَّ التَّفَرُّقَ ضَلَالٌ ﴿بَغْيًا﴾ لِأَجْلِ الْبَغْيِ الْحَاصِلِ.

﴿يَنْهَهُمُ﴾ الْمُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافِ الرَّأْيِ وَافْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا، وَغَلَبَ الْمَحَقُّ الْمُبْطِلَ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْمَعَاصِرِينَ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد مَنْ تقدمهم ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٌ﴾ ووصف الشك بمريب مبالغة فيه.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ﴿فَادْعُ﴾ أنت إلى ربك، وبلغ ما أرسلت به ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ على دينهم.

﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي: دُم على استقامتك؛ لأنه كان مستقيماً، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: «شيتني هودٌ وأخواتها»، ف قيل له: لم ذلك؟ فقال: «لأن فيها ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾»^(١)، وهذا خطاب له ﷺ بحسب قوته في أمر الله تعالى، وقال هو لأمته بحسب ضعفهم: «استقيموا ولَنْ تُحْصُوا»^(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: قريشاً فيما كانوا يهونونه من أن يعظم محمد ﷺ آلهتهم، وغير ذلك.

﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من عند الله، وهو أمر يعم سائر أمته.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: المحافظة على الوضوء، والإمام أحمد في «المسند» (٢٧٦/٥)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وصححه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٩٧/١).

﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ واللام بمعنى أن؛ أي: أمرت بأن أعدل.
 ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم، ولا أطالبكم بأكثر مما افترض الله عليكم.
 ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ خالق كل شيء.
 ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ وكلُّ مجازي بعمله.
 ﴿لَا حُجَّةَ﴾ لا مخاصمة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ نسخها آية القتال.
 ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَالِإِلَهِ الْمَصِيرُ﴾ وعيد للكفار.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَنَهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: في توحيده.
 ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ﴾ أي: من بعد ما أجاب المسلمون بالإيمان.
 ﴿جَحَنَهُمْ﴾ مجادلتهم ﴿دَاحِضَةً﴾ باطلة.
 ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ في أحكامه.
 ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل، سمي ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف، ولما
 سئل ﷺ عن الساعة، نزل:

﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾^(١) أي : البعث ﴿قَرِيبٌ﴾ .

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُعَارَضُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(١٨) .

[١٨] ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها، فقال :

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ استهزاء ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ بقيامها .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون من شدائدھا .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا﴾ أي : مجيئها ﴿الْحَقُّ﴾ الواقع .

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُعَارَضُونَ﴾ يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ﴾ وإبطال مجيئها عناداً .

﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق .

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(١٩) .

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بارٌّ بعباده بصنوف من البر ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾

ما يشاء^(٢) ، فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته .

﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ القادر ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٧٨/٤) .

(٢) «ما يشاء» زيادة من «ت» .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ عملها ؛ أي : من كان يريد بعمله الآخرة .

﴿ نَزِدْ لَهُ فِي ﴾ جزاء ﴿ حَرْثِهِ ﴾ بتضعيف الحسنة إلى العشر ، وتزاد إلى ما شاء الله .

﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا ﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما قُسم له بلا تضعيف ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ لأنه لم يعمل لها . قرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم : (نُؤْتُهُ) بسكون الهاء ، واختلف عن أبي جعفر ، وقرأ يعقوب ، وقالون عن نافع : بكسر الهاء من غير صلة ، واختلف عن أبي جعفر وهشام ، وقرأ الباقون ، وهم ابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم ، وورش عن نافع : بصلتها ، واختلف عن هشام^(١) .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ أَمْ ﴾ أي : بل ﴿ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ والهمزة للتقرير والتقرير ،

(١) انظر : «الكشف» لمكي (١/٣٤٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٥-٣٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٨٧) .

وشركاؤهم شياطينهم ﴿شَرُّوْا﴾ أي: عملوا شريعة لهم.

﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ الفاسد، وهو الشرك.

﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ لأنه سبحانه منزّه أن يأذن في عمل الباطل.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء.

﴿لَفَضَّلْنَا بِهِمْ﴾ أي: بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ وجلين.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ﴾ أي: جزاء كسبهم ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾
أسفقوا، أو لم يشفقوا. قرأ أبو عمرو (وَهُوَ وَاقِعٌ) بإدغام الواو في الواو^(١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ﴾ أي: أطيب
بقاعها، وهي المواضع المؤنقة، وهي مرتفعة في الأغلب، وهي الممدوحة
عند العرب وغيرهم.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: ما يشتهون ثابت لهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨).

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ذَلِكَ﴾ المعدُّ لهم في الجنة ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ به .

﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (يُبَشِّرُ) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة؛ من بَشَرَ، وقرأ الباكون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة^(١)؛ من بَشَرَ، وهما لغتان بمعنى البشارة .

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ نفعا منكم .

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم، قال ابن عباس: «لم يكن بطن من قريش إلا له فيهم قرابة»^(٢) . روي أنها لما نزلت، قيل: يا رسول الله! من قرابتك من هؤلاء؟ قال: «عليّ وفاطمة وابناها»^(٣)، وقيل: آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل العباس^(٤) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨-٨٩) .

(٢) رواه البخاري (٤٥٤١)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٥٩) عن ابن عباس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٧): فيه جماعة ضعفاء وقد ثقوا كلهم، وضعفهم جماعة، وبقي رجاله ثقات .

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٨١/٤) .

﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾ يكسب طاعة ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ سائر ذنوب^(١) عبیده ﴿شَكُورٌ﴾ مجاز على الدقيقة من
 الخير، لا يضيع عنده لعامل عمل .

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
 الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ أي: بل ﴿يَقُولُونَ﴾ كفار مكة: ﴿أَفْتَرَى﴾ محمد .

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبته القرآن إلى الله ﴿فَإِنْ يَشِأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي:
 ينسبك القرآن، والمراد: الرد على مقالة الكفار، وبيان إبطالها، وذلك كأنه
 يقول: وكيف يصح أن تكون مفترياً، وأنت من الله بمرأى ومسمع، ولو
 شاء الله أن يختم على قلبك، فلا تعقل ولا تنطق، ولا يستمر افتراؤك؟!
 فمقصد اللفظ هذا المعنى، وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً،
 وهذا التأويل تهديد لهم، وقيل: المعنى: يختم على قلبك بالصبر، فلا
 تتأذى منهم، وهذا التأويل تسلية له ﷺ .

قال ابن عطية^(٢): هذا التأويل لا يتضمن الرد على مقالتهم .

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ وهو الكفر، فعل مستقبل خبر من الله تعالى أنه يمحو
 الباطل ولا بد، إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وكتبت (يَمْحُ) في المصحف
 بحاء مرسلة، كما كتبوا ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾ [الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مما ذهبوا

(١) في «ت»: «عيوب» .

(٢) في «المحرر الوجيز» (٣٥/٥) .

فيه إلى الحذف والاختصار نظراً إلى اللفظ وحماً للوقف على الوصل .
﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ﴾ يُثَبِّتُ الْإِسْلَامَ .

﴿يَكَلِّمَتِيَّ﴾ بوحيه وقضائه ، وقد فعل الله تعالى ذلك ، فمحا باطلهم ،
وأعلى كلمة الإسلام .

﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الصُّدُورِ﴾ بما تضرره القلوب ، فيجازي كلاً بعمله .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] قال ابن عباس : لما نزل ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾
ووقع في قلوب قوم منها شيء ، وقالوا : يريد أن يحثنا على أقاربه من
بعده ، فنزل جبريل ، فأخبره أنهم اتهموه ، وأنزل هذه الآية ، فقال القوم :
يا رسول الله ! فإننا^(١) نشهد أنك صادق ، فنزل : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ^(٢)﴾
أي : من ﴿عِبَادِهِ﴾ يريد : أوليائه وأهل طاعته ، والتوبة : الرجوع عن الذنب
ندماً ، والعزم ألا يعود إليه أبداً ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ إذا تيب منها ،
فيمحوها ﴿وَعَلَّمَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص
عن عاصم : (تَفْعَلُونَ) بالخطاب ؛ لأنه خطاب للمشركين ، وقرأ الباقون :
بالغيب^(٣) ؛ لأنه بين خبرين عن قوم .

(١) «فإننا» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٨٢/٤) ، و«تفسير القرطبي» (٢٦/١٦) .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٥) ،
و«تفسير البغوي» (٨٣/٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٦) .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦).

[٢٦] فقال قبله: ﴿عَن عِبَادِهِ﴾ ، وبعده: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: يجيب تعالى دعاء المؤمنين الصالحين إذا دعوه. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ زيادة على ثواب عملهم؛ تفضلاً منه. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيهاها، فأنزل الله الآية^(١). والبغي: الطغيان والعتو في الأرض. ﴿وَلَٰكِن يُنْزِلُ﴾ من الأرزاق. ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ مصلحة لعباده.

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعلم ما ظهر من أمرهم وما بطن. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُنْزِلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون وهم ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزِلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي^(٢)، واختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافهم

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٢٢٨)، و«تفسير الرازي» (٢٧/١٤٧).
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

فيهما من (مَنْ نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

في الحديث: عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله سبحانه: «وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه [إلا الفقر، ولو أغنيته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه]»^(١) إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير»^(٢).

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ المطر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بالتشديد كما تقدم، والباقون: بالتخفيف.
﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أيسوا منه، روي أن الله حبس المطر على أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكَّروهم تعالى نعمته.

= (٢١٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٦).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٨/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٥/٤١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. وانظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (٤٥/١).

﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وهي الشمس، فذلك تعديد نعمة غير الأولى^(١)، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنط، حسن موقعه، فإذا دام، سئم، فتجيء الشمس بعده عظيمة المواقع.

﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ لأهل طاعته ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على كل حال.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ﴾ أي: فرَّق.

﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ﴾ أي: وقت يشاء.

﴿قَدِيرٌ﴾ متمكن منه، والمراد: يوم القيامة عند الحشر من القبور.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة.


﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فبسبب معاصيكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء قبل الباء، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالفاء، وكذلك هي في مصاحفهم^(٢)، فالقراءة

(١) «غير الأولى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٥)، و«النشر في =

بالفاء جواب ما قبل ؛ لأنها شرطية محلها رفع ابتداء ، ومن حذف الفاء ، جعل ما في أول الآية مبتدأ ، و(بِمَا كَسَبَتْ) خبرها .

قال ﷺ : ﴿ وَمَا أَصْبَحَكُمْ ﴾ من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ، ﴿ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، والله أكرم من أن يُنْثَى عليكم العقوبة في الآخرة ^(١) ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ من الذنوب ، فلا يعاقب عليها . قال ﷺ : «والذي نفسي بيده ! ما من خَدَشٍ ، ولا عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق ، إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر» ^(٢) .

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾  .

[٣١] ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ هرباً حيثما كنتم .

﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يدفع عنكم المصائب .

= القراءات العشر لابن الجزري (٣٦٧/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٩١/٦) .

(١) رواه أحمد في «المسند» (٨٥/١) ، وأبو يعلى الموصلي في «المسند» (٤٥٣) . قال الهيثمي في «المجمع» (١٠٤/٧) : فيه أزهر بن راشد ، وهو ضعيف .

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢/٣) ، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥٥٨/٨) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٧٨/١٠) .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ السفن . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو :
(الْجَوَارِي) بإثبات الياء وصلأً ، وقرأ ابن كثير ، ويعقوب : بإثباتها وصلأً
ووقفأً ، وحذفها الباقيون في الحالين ، وأمال فتحة الواو حيث وقع : الدوري
عن الكسائي^(١) .

﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ أي : كالجبال ، وكل مرتفع علم .

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ شرط ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ جوابه ، وتعطف عليه ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾
أي : السفن ﴿رَوَاكِدَ﴾ سواكن ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي : ظهر البحر .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي : لكل مؤمن ؛ لأن من
صفته الصبر في الشدة ، والشكر في الرخاء . قرأ نافع ، وأبو جعفر :

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٨١) ، و«التيسير» للداني (ص :
١٩٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٨) ، وقرأها
الكسائي (الجوري) بالإمالة في «الكشف» لمكي (١/١٧١) ، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٣) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦/٩٢-٩١) .

(الرِّيَاحَ) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع، والباقون: بإسكان الياء وحذف الألف على الإفراد^(١).

﴿أَوْيُوبَقَهَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٤﴾.

[٣٤] وتعطف على الجواب ﴿أَوْيُوبَقَهَنَّ﴾ يهلكهن بالغرق.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب، وتعطف على (يوبقهن).
﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ ﴿٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ تكديماً. قرأ نافع، وأبو جعفر،

وابن عامر: (وَيَعْلَمُ) برفع الميم [على الاستئناف، وقرأ الباقون: بنصبها عطفاً على تعليل محذوف^(٢)، تقديره: لينتقم منهم]^(٣)، وليعلم.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ مهرب.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ مَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ مَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ شرط ، جوابه :

﴿ فَمَنْعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ تتمتعوا به يسيراً ، ثم يزول .

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ من حطام الدنيا .

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله ، وتصدق به ، فلامه الناس ^(١) .

﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] وعطف على قوله : ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ ﴾ هي الشرك ، وقتل النفس ، وقذف المحصن ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين ، وتقدم الكلام على ذلك في سورة النساء . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد إرادة الجنس ، وقرأ الباقون : بفتح الباء والألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع ^(٢) ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ هي موجبات الحدود .
﴿ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ يكظمون الغيظ ، ويتجاوزون .

(١) انظر : « تفسير القرطبي » (٢٥ / ١٦) .

(٢) المصادر السابقة .

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته .

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الخمس .

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي : يتشاورون فيه ، لا ينفرد واحد منهم برأي دون صاحبه .

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سبل الخير ، فهو لاء صنف .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ صنف ؛ أي : ينتقمون من ظالمهم^(١) من غير أن يعتدوا .

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) .

[٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سمي الجزاء سيئة ؛ لتشابههما في الصورة .

﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الود بينه وبين خصمه بالعفو .

﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ عدةٌ مبهمة تدل على عظم الموعود .

(١) «من ظالمهم» ساقطة من «ت» .

﴿ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين يتدثون بالسيئة، أو يتجاوزون في الانتقام.

﴿ وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .
[٤١] ﴿ وَلَمَنِ أَنْصَرَ ﴾ اقتصر ﴿ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ أي : بعد ظلم الظالم إياه .
﴿ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ طعن ولا عيب .

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[٤٢] ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ تكبراً .

﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ يعملون فيها بالمعاصي .
﴿ أُُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على ظلمهم وبغيهم .

﴿ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ فلم ينتصر .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ منه .

﴿ لَمِنْ عَزْمِ ﴾ أي : محكم ﴿ الْأُمُورِ ﴾ ومتينها .

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ ﴾ أي : يخذله .

﴿ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يلي هدايته .

﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ يوم القيامة .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ؟

﴿ وَتَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ وَتَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار ﴿ خَشِيعَاتٍ ﴾ خاضعين .

﴿ مِنْ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ضعيف ، يسارقون النظر إلى النار ؛ خوفاً منها ؛ كنظر المقتول إلى السيف .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا ﴾ أي : يخسرون .

﴿ أَنْفُسُهُمْ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : الحور المعدة لهم في الجنة^(١) ، لو آمنوا .

﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ دائم ، وهذا تمام كلام المؤمنين ، ويحتمل أنه تصديق من الله لهم .

(١) «في الجنة» ساقطة من «ت» .

﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٤٦] .

[٤٦] ﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من دون عذابه .
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ طريق إلى الهداية .

﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [٤٧] .

[٤٧] ﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ أجبوا داعي الله ؛ يعني : محمداً ﷺ .
﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ، وهو يوم القيامة . قرأ حمزة : (لا مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع .
﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ من عذابه ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ أي : لا تقدر أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ، تلخيصه : أنتم عجرة معترفون ثم بذنوبكم .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [٤٨] .

[٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ عن إنذارك يا محمد .
﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ تحفظ أعمالهم ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ ﴾ ونسخ هذا بآية السيف ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ أراد الجنس ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة .

﴿ فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ بلاء .

﴿ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ ﴾ الكافر ﴿ كَفُورٌ ﴾ يفرح بالنعمة ،
ويكفر بسبب النعم .

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (٤٩) .

[٤٩] ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له التصرف فيهما بما يريد .

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ من غير لزوم .

﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ لا اعتراض عليه .

قال ﷺ : « إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَبْكِيرُهَا بِالْأُنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ » ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (١) ألا ترى أنه بدأ بالإناث قبل الذكور ، وقَدَّمَ (إناثاً) ، ونكرهن ، وعرف الذكور ؛ لأنه في معرض أنه فعال لما يختار ، لا لما يختاره العباد .

قال الكواشي : ويجوز أنهن قَدَّمنَ توبيخاً لمن كان يَتُدَّهنَ ، وَنُكِّرْنَ إيماء إلى ضعفهن ؛ لِيُرْحَمْنَ ، فَيُحَسِّنَ إِلَيْهِنَّ ، ثم قدم الذكور عليهن بعد ، مع

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٨) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٥/٤٧) ، من حديث وائلة بن الأسقع رضي الله عنه . وإسناده ضعيف جداً ، وصرح ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧٦/٢) أنه موضوع . وانظر : «ميزان الاعتدال» للذهبي (١٦٢/٣) .

جمعهن معهم منكبين؛ إيداناً أن لا غناء لأحدهما عن الآخر، ولأنهما أصل الخلق، انتهى.

واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَانَا) كاختلافهم فيهما من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كما تقدم التنبيه عليه.

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً ﴾ يجمع له بينهما، فيولد له الذكور والإناث.

﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ فلا تلد، ولا يولد له، والعقم في اللغة: المنع.

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ يفعل ما يختار بحكمته.

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾.

[٥١] ولما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه كموسى إن كنت نبياً؟ نزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾^(١) أي: ما صح لأحد. ﴿ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أي: إلهاماً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٨٩-٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٥٣).

﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ فيسمع صوتاً، ولا يرى شخصاً ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾ تعالى ﴿رَسُولًا﴾ إما جبريل، أو غيره ﴿فَيُوحِي﴾ تعالى إلى ذلك الرسول ﴿يَاذَنِيَّةً﴾ باختياره تعالى.

﴿مَا يَشَاءُ﴾ من الوحي، فيكلم ذلك الرسول بالموحى إليه الرسل؛ بأن يلقيه عليهم.

﴿إِنَّهُمْ عَلَيَّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. قرأ نافع (أَوْ يُرْسِلُ) برفع اللام على الاستثناف (فَيُوحِي) بإسكان الياء عطف على (يُرْسِلُ)؛ أي: ما جاز أن يفهم ما عنده تعالى أحد من البشر إلا من هذه الأوجه الثلاثة، أو بعضها، مع عدم الرؤية. وقرأ الباقون: بنصب اللام والياء عطفاً على محل (وَحْيًا)^(١)؛ لأنه بتأويل المصدر ف (مِنْ) في (مِنْ وَرَاءِ) متعلقة بمحذوف تقديره: إلا أن يوحى، أو أن يُسمع من وراء حجاب، أو أن يرسل، و(فيوحي) عطف على (يُرْسِلُ)، وتقدم التنبيه على اختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) في الحرف المتقدم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل إيحائنا إلى الرسل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٦).

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ أي: نبوة؛ لأن الموحى إليه للدين كالروح للجسد.

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا أَلَكْتُبُ﴾ أي: القرآن.

﴿وَلَا إِلَيمَنُ﴾ يعني: شرائعه ومعالمه، والأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان محمد ﷺ يعبد على دين إبراهيم - عليه السلام -، وقيل: غيره.

في الحديث: أنه ﷺ كان يوحد، ويُبغض اللات والعزى، ويحج ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم، وتقدم ذكر الخلاف في ذلك، وما كان يتعبد به قبل البعثة عند تفسير قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ [الآية: ١٣].

﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿نُورًا تَهْدِي بِهِ﴾ أي: نُرشد.

﴿مَنْ نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ بالتوفيق للقبول.

﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ لتدعو ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.

[٥٣] وتبدل من (مُستقيم) ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ أي: شرع الله ورحمته وجنته.

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أمور جميع الخلائق في الآخرة، وهي صائفة
على الدوام إلى الله تعالى، وفيه وعد ووعد للمطيعين والمجرمين، والله
أعلم.

* * *



مكية إلا ﴿ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ ، نزلت ببيت المقدس ليلة أسري به ﷺ (١) ، وآيها: تسع وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وأربع مئة حرف، وكلمها: ثمان مئة وثلاث وثلثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمَّ ١ ﴾ .

[١] ﴿ حَمَّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف.

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴾ .

[٢] ثم تبتدىء مقسماً ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ يعني: القرآن الذي أبان الهدى، وما تحتاج إليه الأمة.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦١٢/٢١)، و«تفسير البغوي» (١٠١/٤)، و«تفسير القرطبي» (٩٥/١٦).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ ﴾ أي: أنزلناه وبيناه، ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضمير في (جَعَلْنَاهُ) عائد على (الكِتَاب).

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسانكم؛ لئلا يبقى لكم عذر.

﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تَرْجَّ بحسب معتقد البشر؛ أي: إذا أبصر المبصر من البشر هذا الفعل منا، يرجى منه أن يعقل الكلام، ويفهم؛ لأنه لو نزل بغير لغتهم، ما فهموه.

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ في اللوح المحفوظ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمْ) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتداءً، ضمَّها، وبه قرأ الباقر في الحاليين^(١).

﴿ لَدَيْنَا ﴾ عندنا ﴿ لَعَلِّي ﴾ رفيع الشأن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة.

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أفنترك

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠١/٦).

عنكم الوحي وإنزال القرآن عفواً عنكم، وغفراً لإجرامكم ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾
 قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر
 الهمزة؛ أي: إذ كنتم، والباقون: بفتحها^(١)؛ أي: لأن كنتم.
 ﴿قَوْمًا سُفِرَتْ﴾ في كفركم، فلا تؤمرون ولا تنهون.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ تسلياً لنبيه ﷺ.

﴿وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٧] وذكر أسوة له، ووعد لهم وتهديد: ﴿وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ نصب على التمييز.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلف في القرآن في غير موضع ذكر
 قصتهم التي يُسار بها لشهرتها مسير الأمثال، وهم قوم نوح وعاد وثمود
 وغيرهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«تفسير البغوي» (٩٢/٤)، و«النشر
 في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (١٠١/٦).

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾.

[٩] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ يعني : قومك .

﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ وهم مع ذلك يعبدون أصناماً، ويدعونها آلِهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا: خلقهن الله، فلما ذكر تعالى المعنى، جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزیز العليم؛ ليكون ذلك توطئة لما عدَّده بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها، وقطعها من الكلام الذي حكي معناه عن قريش.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

[١٠] وهو قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتستقرون فيها. قرأ الكوفيون: (مَهْدًا) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، والباقون: بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها^(١) ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طرقاً تسلكونها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢).

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ بمقدار الحاجة، ولم يكن طوفاناً كالمرسل على قوم نوح حتى أهلكهم.

﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ فأحيينا ﴿بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ مال عنه النماء، وذكر؛ لأن البلدة بمعنى البلد. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتًا) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إحياء هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء^(٢).

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ﴾ الأصناف.

﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ في البحر والبر.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٢/ ٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٢/ ٦-١٠٣).

﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير رداً إلى لفظ (ما)؛ أي: لثبتوا على ظهور ما تركبونه.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ على مركوبكم .
 ﴿وَتَقُولُوا﴾: ما نقل عن النبي ﷺ حين وضع رجله في الركاب، وهو: «باسم الله»، فلما استوى على الدابة قال: «الحمد لله ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾»^(١)؛ أي: ذلله. قرأ أبو عمرو: (سَخَّرَ لَنَا) بإدغام الراء في اللام^(٢) ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مُطِيقِينَ، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله، ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣)، ويقال إذا ركب السفينة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْنَهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ لمنصرفون في المعاد.

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٠٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي (٣٤٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب الناقة وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٩٧/١) من حديث علي - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٦).

(٣) انظر: تخريج الحديث السابق.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ﴾ أي: حكموا أن الله تعالى ﴿مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أي:

نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء الوالد. قرأ أبو جعفر: (جُزَاً) بتشديد الزاي بغير همز، وقرأ أبو بكر: بضم الزاي والهمز، والباقون: بالجزم والهمز^(١).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الكفران.

﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ يَابَسِينَ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ثم جيء (بأم) المنقطعة تجهيلاً لهم، فقيل: ﴿أَمْ أَتَّخَذَ﴾ تعالى

لنفسه.

﴿مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ﴾ أخلصكم.

﴿يَابَسِينَ﴾ هذا مستحيل في صفاته.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ

كَظِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ بالجنس الذي جعل له

مثلاً؛ إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١٠٣/٦).

﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ أي: صار وجهه أسود.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ والكظيم: الممتلئ غيظاً، الذي قد ردَّ غيظه إلى جوفه، فهو يتجرَّعه ويروم رده، وهذا محسوس عند الغيظ.

﴿أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [١٨].

[١٨] ثم زاد توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَوْ مَنْ يُنْشَأُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يُنْشَأُ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ أي: يُرَبَّى، وقرأ الباكون: بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين^(١)؛ أي: يَنْبُتُ ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ في الزينة؛ يعني: النساء ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ بالحجة؛ من ضعفهن، والمعنى: أو يجعل للرحمن من الولد^(٢) مَنْ هذه صفته؟

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (عِنْدَ) بالنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وتصديقه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقرأ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٤).

(٢) «من الولد» زيادة من «ت».

الباقون: بالباء وألف بعدها ورفع الدال^(١)، جمع عبد؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَشْهَدُوا) بهمزيين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة على أصلهما، مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وقالون على أصلهما؛ أي: أَأَحْضَرُوا، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين^(٢)؛ أي: أَحْضَرُوا خلقَ الملائكة إناثاً؟ وهذا استهزاء بهم، وتوبيخ لهم.

روي أنه ﷺ قال: «وما يُدريكُم أن الملائكة إناثٌ؟» قالوا: سمعنا من آبائنا، ونشهد بصدقهم، فنزل:

﴿سَتَكُنُّنَّ شَهِدَاتُهُمْ﴾^(٣) على آبائهم بأنوثة الملائكة هنا.

﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيجازون عليها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٤).

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ يعنون: الملائكة وغيرهم؛ أي:

لولم يرض، لعجل عقوبتنا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٩٤-٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٥-١٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٩٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٧٣).

قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم لو قالوا: لو شاء الرحمن، معتقدين ذلك، لوصفوا بالعلم، ولمدحوا على ذلك، وأيضاً فحال الكافر يقتضي الاستهزاء بالمؤمن في كل وقته، ويدل على استهزائهم أيضاً أن قيل: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون.

﴿أَمْ أَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابًا مِّنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

[٢١] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿أَمْ أَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ﴾ بالكتاب^(١) ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

[٢٢] فلم يجيبوا انقطاعاً، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ طريقة وملة.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين، فلا حجة لهم على ذلك غير تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ أغنياؤها ورؤساؤها:

(١) «بالكتاب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَاعِلٍ أُمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ متبعون .

﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ قُلْ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص: (قَالَ) على الخبر، وقرأ الباقون: (قُلْ) على الأمر^(١) ﴿ أُولُو حِجَّتِكُمْ ﴾ ألف الاستفهام دخلت على واو العطف. قرأ أبو جعفر: (جِئْنَاكُمْ) بنون وألف على الجمع، ويبدل الهمزة ياء ساكنة، ويصل الميم بواو في اللفظ حالة الوصل على أصله، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة على التوحيد، وأبو عمرو يبدل الهمزة كأبي جعفر، وابن كثير وقالون يصلان الميم بخلاف عن الثاني^(٢) .

﴿ بِأَهْدَىٰ ﴾ بدين أصوب .

﴿ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ أتبعون آباءكم، فأبوا أن يقبلوا .

﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ أيها الرسل .

﴿ كَافِرُونَ ﴾ أي: ثابتون على الكفر .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)،

و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٨) .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/ ١٠٨) .

﴿فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بإهلاكهم .

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وعيد لقريش ، وضربُ مثل لمن سلف من الأمم المعذَّبة المكذَّبة بأنبيائها كما كذبت هي برسول الله ﷺ .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي : واذكر وقت قوله ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ :

﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي : متبرئ ولا يُنَيِّ (البراء) ولا يجمع ولا يؤنث ؛ لأنه مصدر وُضع موضع النعت ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ من آلهتكم .

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ استثناء منقطع ؛ أي : لكن الذي فطرني لا أبرأ

منه .

﴿فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ يرشدني ، قال هنا : (سَيِّدِي) ، وقال في الشعراء

[الآية : ٧٨] : (يَهْدِينِ) ؛ للإيذان بدوام الهداية حالاً واستقبالاً . قرأ

يعقوب : (سَيِّدِي) بإثبات الياء ، والباقون : بحذفها^(١) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٩) .

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ إبراهيم ﴿كَلِمَةً﴾ يعني : كلمة التوحيد .

﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذريته ، فلا يزال فيهم من يوحد الله .

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي : كفار مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان إذا علموا أن أباهم إبراهيم أوصى بذلك ، وهي قوله - عز وجل - : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين بدنياهم ﴿وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يبين الأحكام ويوضحها ، وهو محمد ﷺ .

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ؛ لينبئهم عن غفلتهم ، جاؤوا بما هو أقبح من غفلتهم ؛ حيث ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ضموا إلى شركهم : معاندة الحق ، واستخفاف القرآن ، واستحقار الرسول ﷺ .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ مكة

والطائفِ ﴿عَظِيمٌ﴾ في رئاسته بالمال والجاه، يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، وقيل غيرهما.

﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢).

[٣٢] ثم قال تعالى: على جهة التوبيخ لهم: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: نبوّته، فيجعلون من شاؤوا أنبياء مع عجزهم؟ و(رَحِمَتْ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(١). ثم قال تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأننا قادرون على ذلك.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالفقر والغنى، والحرية والرق ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ بضم السين باتفاق القراء؛ من التسخير؛ أي: ليسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب معاش، فيلتئم قوام أمر العالم.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال.

(١) وقد سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ثم أوماً تعالى إلى أن لا قدر للدنيا عنده بقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: لولا أن يصيروا كلهم كفاراً، فيجتمعون على الكفر.

﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ ﴾ وتبدل من (لِمَن) ﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (سُقْفًا) بفتح السين وإسكان القاف مفرداً، وقرأ الباقر: بضم السين والقاف جمعاً^(١).

﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ مصاعِد، جمع مَعْرَج ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون إلى السطح.

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَوَّنُ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا ﴾ من فضة ﴿ عَلَيْهَا يُتَكَوَّنُ ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَتَكَوَّنُ) بضم الكاف وإسكان الواو من غير همز، والباقر: بكسر الكاف والهمز^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٧٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١١/٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٢/٦).

﴿وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿وَرُحْرُقًا﴾ ذهباً؛ أي: لولا الخوف على المؤمن، لأعطينا الكافر هنا عطاءً جزيلاً؛ إذ لاحظ له في الآخرة في النعيم.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَمَّا﴾ قرأ عاصم، وحمزة، وابن جمار عن أبي جعفر، وهشام بخلاف عنه: (لَمَّا) بتشديد الميم، فتكون (إِنْ) نافية بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إِلَّا)، تقديره: وما كلُّ ذلك إلَّا، وقرأ الباقون: بتخفيف الميم^(١)، فتكون (إِنْ) مخففة من الثقيلة، و(لَمَّا) بمعنى الذي، والعائد عليها من صلتها محذوف، والتقدير: وإن كلُّ ذلك للَّذي هو.

﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تلخيصه: حطام الدنيا يزول، وقد يشترك فيه المؤمن والكافر في الدنيا.

﴿وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة خاصة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الكفر.

قال ﷺ: «لو كانت الدنيا تزنُّ عند الله جناح بعوضة، لما سقى منها كافراً شربة ماء»^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٩٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٢-١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل وقال: صحيح غريب، وابن ماجه (٤١١٠)، كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا. من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ يُعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ فلم يخف عقابه، والمراد بذكر الرحمن: القرآن^(١).

[قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلا إله إلا الله، والاستغفار، وأكثروا منهما؟ فإن إبليس قال: أهلكْتُ الناسَ بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار، ولا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك، أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون»]^(٢) (٣) .

﴿نُقِضَ﴾ نسب ﴿لَهُ شَيْطَانًا﴾ نسلطه عليه. قرأ يعقوب: (يُقِضُ) بالياء؛ أي: الرحمن، وقرأ الباقون: بالنون، واختلف عن أبي بكر راوي عاصم^(٤).

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لا يفارقه يغويه دائماً.

(١) «القرآن» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩/١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٦)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٧/١٠): فيه عثمان بن مطر. وهو ضعيف.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٩٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٩/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٤/٦).

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني : الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ يمنعون العاشين .

﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ كفارُ الإنس ﴿أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ .

﴿حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُبْسَ الْقَرَيْنِ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَنَا﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : (جاء أنا) بآلف بعد الهمزة على التثنية ؛ أي : العاشي والشیطان ، وقرأ الباقر : بغير ألف على التوحيد^(١) ؛ أي : إذا جاء العاشي القيامة ، ورأى أهوالها ﴿قَالَ﴾ لشیطانه تنديماً :

﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُبْسَ﴾ أي : بُعد ما بين المشرق والمغرب ، فغلَّب المشرق كتغليب القمر في القمرين للشمس والقمر .
﴿الْقَرَيْنِ﴾ الشيطان .

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] فعند دخول العاشين النار يقال لهم : ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ﴾ في الآخرة .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، و«تفسير البغوي» (٤/٩٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٤-١١٥) .

﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم الاشتراك في العذاب، ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً منه؛ لأن لكل واحد منهم ^(١) من الكفار والشياطين الحظّ الأوفر من العذاب.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[٤٠] ولما كان ﷺ يبالي في طلب إيمان الكفار، نزل إيماءً إلى أن لا نافع إلا هو تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ والمراد: من حقت عليه كلمة العذاب.

﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾

[٤١] ﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد؛ بأن نُميتك قبل تعذيب الكفار، هنا قرأ رويس عن يعقوب: (نَذْهَبَنَّ) (أو نُرِينَكَ) بإسكان النون مخففة فيهما، والباقون: بفتحها مشددة فيهما ^(٢).

﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ بعدك بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

(١) «منهم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٥-١١٦).

﴿ أَوْ نُزِيلُكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ أَوْ نُزِيلُكَ ﴾ في حياتك ﴿ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ به من العذاب إن لم

يؤمنوا.

﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾ وعلى إهلاكهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ قادرون.

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣).

[٤٣] ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ وهو القرآن، واعمل به، أمرٌ له ﷺ،

والمرادُ غيره.

﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ لا عِوَجَ له.

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٤٤).

[٤٤] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَذِكْرٌ ﴾ لشرف ﴿ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قريش.

﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ عن القيام بحق القرآن.

﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً

يُعْبَدُونَ ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ أي: الأنبياء الذين لقيتهم ليلة

الإسراء، وهم سبعون جمعوا له بيت المقدس:

﴿ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ومعنى السؤال: التقرير لمشركي

مكة أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل، فلم يشكك ﷺ، ولم يسألهم، وكان أثبت يقيناً من ذلك، وتقدم ذكر ذلك في سورة الإسراء في قصة المعراج. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (وَسَلَّ) بالنقل، والباقون: بالهمز، وقرأ أبو عمرو: (رُسِلْنَا) بإسكان السين، والباقون: بضمها^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^[٤٦].

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذه آية ضرب مثل وأسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام، ولكفار قريش بقوم فرعون وملئه، والآيات التي أرسل بها موسى هي التسع وغيرها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾^[٤٧].

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء.

﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْأَعْدَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^[٤٨].

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٦/٦).

[٤٨] ﴿وَمَا نُزِيهِمْ﴾ أي: القبط ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ كالطوفان والجراد والضفادع.

﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي قبلها؛ ليكون العذاب أعظم. قرأ يعقوب: (نُزِيهِمْ) بضم الهاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: (نُزِيَهُمْ) بصلة الميم بواو في اللفظ^(١) حالة الوصل، والباقون: بكسر الهاء وإسكان الميم^(٢).

﴿وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بالسنين، والطوفان، وغيرهما.
﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

[٤٩] وعند مجيء موسى - عليه السلام - بالآيات، ذلوا ﴿وَقَالُوا﴾ تعظيماً له:

﴿يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل. قرأ ابن عامر: (يَا أَيُّهُ) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بفتحها، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: يقفون (يَا أَيُّهَا) بالألف، والباقون: بغير ألف^(٣) ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾ أي:

(١) «في اللفظ» زيادة من «ت».

(٢) انظرها عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١-١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٤٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٧/٦-١١٨).

بعهده ﴿عِنْدَكَ﴾ أنك مجاب الدعوة .

﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ مؤمنون ، وعدٌ منهم معلن بشرط الدعاء .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾

[٥٠] ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴾ بدعاء موسى .

﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ينقضون عهدهم ، ويصرون على كفرهم .

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ الْيَسْرَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ
الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾

[٥١] ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ﴾ افتخاراً .

﴿ قَالَ يَنْقُومِ الْيَسْرَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل ﴿ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ وهي الخليجان الكبار الخارجة من النيل ، وأعظمها نهر الإسكندرية ، وتبس ، ودمياط ، ونهر طولون ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ أي : من تحت قصوري وسريري ، وبين يدي^(١) ، وفي بساتيني .

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي - رحمه الله - يوماً في قول فرعون : ﴿ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ : ويحه ! افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه . قرأ الكوفيون ، وابن عامر ، ويعقوب ، وقنبل عن ابن كثير : (تَحْتِي) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها^(٢) .

(١) «وبين يدي» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٧) ، =

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ عظمتي؟

﴿ أَمَّا أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾.

[٥٢] ﴿ أَمَّا ﴾ أي: بل ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير.

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ معنى كلامه إشارة إلى العقدة في لسانه التي حدثت بسبب الجمرة.

﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرِّيْنِ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً ﴿ أُلْقِيَ عَلَيْهِ ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ جمع سوار؛ لأنهم إذا سَوَّدُوا رجلاً، ألبسوه أسورة ذهب، وطوقوه طوق ذهب، فقال فرعون: هلاً ألقى رب موسى عليه من السماء أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب طاعته. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (أَسْوِرَةٌ) بإسكان السين من غير ألف بعدها جمع سوار، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها^(١)، جمع أسورة، وهي جمع الجمع.

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرِّيْنِ ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٨).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٩-١٢٠).

﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِيقِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ ﴾ استعجلهم وطلب خفتهم، وطلب^(١) إجابتهم إلى غرضه ﴿ فَأَطَاعُوهُ ﴾ فيما يريده .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِيقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق .

﴿ فَلَمَّا أَصَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ فَلَمَّا أَصَفُونَا ﴾ أغضبونا^(٢) .

﴿ أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في اليم .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بضم السين واللام،

جمع سَلِيف؛ من سَلَفَ؛ أي: تقدم، وقرأ الباقون: بفتحهما^(٣)، جمع سالف؛ أي: جعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون ﴿ وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقَدِّمون على مثل فعالهم .

(١) «وطلب» ساقطة من «ت» .

(٢) «أغضبونا» زيادة من «ت» .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٠) .

﴿ وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ في خلقه من غير أب، فشبّه بآدم في خلقه من غير أب ولا أم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وحمزة: بكسر الصاد؛ أي: يَضِجُّون، يقولون: ما يريد محمدٌ منا إلا أن نعبده ونتخذَه إلهاً؛ كما عبدت النصارى عيسى، وقرأ الباقر: بضم الصاد^(١)؛ أي: يعرضون.

﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ يعنون محمداً، فنعبده ونترك آلهتنا. قرأ الكوفيون، وروح عن يعقوب: (ءَالِهَتُنَا) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقر: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية^(٢)، ولم يدخل هنا أحد بينهما ألفاً؛ لثلاثي اللفظ في تقدير أربع ألفات: الأولى همزة الاستفهام، والثانية الألف الفاصلة، والثالثة همزة القطع، والرابعة المبدلة من الهمزة الساكنة، وذلك إفراط في التطويل، وخروج عن كلام العرب.

-
- (١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (١٠٣/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢١/٦).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٤-٣٦٥/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢١-١٢٢/٦).

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: هذا المثل، وهو ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾.
﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ لَّدُ شديدا والخصومة، والجدل: قتل الخصم عن قصده؛ لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف وإظهار الحق بالاتفاق.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

[٥٩] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ مربوب، فلا يجوز أن يكون إلهاً، لكن ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ آية ﴿لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يستدلون بها على قدرة الله على خلقه من غير أب.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي: أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم.
﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ يكونون خلفاً منكم.

﴿وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦١] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: نزول عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: شرط من أشراف الساعة.

﴿ فَلَا تَعْتَرِكْ بِهَا ﴾ لَا تَشْكُرْ فِيهَا ﴿ وَأَتَّبِعُونَ ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ .

﴿ هَذَا ﴾ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ ﴿ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو جَعْفَرٍ : (وَاتَّبِعُونِي) بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ وَصَلَاءً ، وَيَعْقُوبُ : بِإِثْبَاتِهَا وَصَلَاءً وَوَقْفَاءً ، وَالْبَاقُونَ : بِحَذْفِهَا فِي الْحَالِينَ ^(١) .

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(٦٢) .

[٦٢] ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ ﴾ يَصْرِفَنَّكُمْ ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ عَنْ دِينِ اللَّهِ .

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ بَيْنُ الْعَدَاوَةِ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(٦٣) ﴾ .

[٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى ﴾ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالشَّرَائِعِ ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴾ بِشَرَائِعِ الْإِنْجِيلِ ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَمْرَ الدِّينِ دُونَ أَمْرِ الدُّنْيَا .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ قَرَأَ يَعْقُوبُ : (وَأَطِيعُونِي) بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ ، وَالْبَاقُونَ : بِحَذْفِهَا ^(٢) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٣) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٤) .

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ بيان لما أمرهم به ، وهو التوحيد .

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ حكاية عن عيسى ؛ إذ أشار إلى شرعه .

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا من بني إسرائيل ، فمنهم من آمن به ، وهو قليل ، وكفر الغير ، وهذا إذ كان معهم حاضراً ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من تلقائهم ، ومن أنفسهم ثار شرهم ، ولم يدخل عليهم اختلاف من غيرهم .

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المشركون .

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هو يوم القيامة .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي : ينتظرون ؛ يعني : قريشاً ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة دون مقدمة ولا إنذار بها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لاشتغالهم بالدنيا .

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة .

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته؛ فإن خلتهم نافعة أبداً.

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾.

[٦٨] ﴿يَعْبَادِ﴾ أي: يقال للمتقين: يا عبادي. قرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِي) بفتح الياء، ووقفا عليها ساكنة، وأسكنها نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين، وهذه الياء مثبتة في مصاحف المدينة والشام، محذوفة في مصحف أهل مكة والعراق^(١).

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾.

[٦٩] روي أن الناس يبعثون، وكلُّ فزع، فينادي مناد: ﴿يَعْبَادِ﴾ الآية، فيرجوها الناس كلهم، فإذا قيل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ فيئسون منها غير المسلمين^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٦٣٩)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/١٠٦).

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ تُسْرُونَ .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] فإذا دخلوا الجنة، واستقروا فيها ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ ﴾ بقصاع ﴿ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ جمع صحيفة، وهي القصعة الواسعة ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب، وهي أباريق لا عرا لها ولا خراطيم؛ ليشرب الشارب من حيث شاء .

﴿ وَفِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ﴾ تلذذاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ضمير مذكر بعد الياء على الأصل، وكذلك هو في المصاحف المدنية والشامية، وقرأ الباقر: بحذفها استخفافاً، وكذلك هو في مصاحف العراق^(١) ﴿ وَتَلَذُّ ﴾ أي: تلتذُّ به ﴿ الْأَعْيُنُ ﴾ إذا شوهده .

﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون .

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ وَتِلْكَ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ الْجَنَّةُ ﴾ صفتها .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٥) .

﴿الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المعنى : أن الجنة قد دخلت في ملككم كدخول الميراث في ملك وارثه ؛ بفضل الله وهداه ، وليس المعنى : أن أعمالهم أوجبت على الله دخولهم الجنة ، وإنما حظوظهم منها على قدر أعمالهم . قرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وهشام عن ابن عامر : (أُورِثْتُمُوهَا) بإدغام التاء في التاء ، وقرأ الباقون : بالإظهار^(١) .

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ في الحديث : «لا ينزِعُ رجلٌ من الجنة من ثمرها إلا أنبت مكانها مثلاًها»^(٢) .

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهم الكفار ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ خبر (إن) .

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لا يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب .

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٥ / ٦) .

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١٠ / ٤١٤) - «مجمع الزوائد» للهيثمي ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٩) ، من حديث ثوبان رضي الله عنه . قال الهيثمي : وأحد إسنادي البزار ثقات .

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بأن وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه .

﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ بأن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها ،
ووضعوا الكفر في جنب الله .

﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا﴾ عند طول مكثهم وشدة العذاب : ﴿يَمْلِكُ﴾ يدعون
خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي : ليمتنا فنستريح ، قال مجيباً لهم بعد ألف
سنة :

﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ مقيمون في العذاب .

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ .

[٧٨] ثم يقال لهم توبيخاً : ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ﴾ أي أرسلنا إليكم رسولنا .

﴿بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس ، وقد
ورد لفظ القضاء في القرآن على عشرة أوجه : الأول : بمعنى الفراغ من
الشيء ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾
[الآية : ٢٠٠] ، الثاني : بمعنى وجوب العذاب ، ومنه قوله تعالى في سورة
البقرة أيضاً : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الآية : ٢١٠] ، الثالث : بمعنى تقدير المدة ، ومنه
قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ثُمَّ قُضِيَ أَجَلًا﴾ [الآية : ٢] ، الرابع : بمعنى
التمام ، ومنه قوله في سورة الأنعام أيضاً : ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية : ٦٠] ،

الخامس: بمعنى الفصل، ومنه قوله في سورة يونس: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: ٥٤]، السادس: بمعنى الختم، ومنه قوله في سورة يوسف: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية: ٤١]، السابع: بمعنى الخبر، ومنه قوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ﴾ [الآية: ٤]، الثامن: بمعنى الأمر، ومنه قوله في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الآية: ٢٣]، التاسع: بمعنى الفعل، وهو قوله في طه: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [الآية: ٧٢]، العاشر: بمعنى الموت، ومنه قوله هنا: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، وقد ذكر كل شيء من ذلك في محله.

﴿أَمْ أَمْرُكُمْ أَمْ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿أَمْ أَمْرُكُمْ﴾ أحكموا: أهل مكة ﴿أَمْراً﴾ في كيد محمد ﷺ؛ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله في دار الندوة، إلى غير ذلك.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا بإهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [٨٠].

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخطر ببالهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يتناجون بينهم جهراً ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ﴿وَرُسُلْنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يُسرون وما يُعلنون.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ في زعمكم . قرأ حمزة ، والكسائي : (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللام ، والباقون : بفتحهما ^(١) ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ لله ؛ فإنه واحد لا شريك له ، ولا ولد ، نزلت لما قيل : الملائكة بنات الله ؛ تبكيئاً لهم . قرأ نافع ، وأبو جعفر : (فَأَنَا أَوَّلُ) بالمد ^(٢) .

﴿ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ثم نزه تعالى نفسه ، فقال : ﴿ سُبْحَنَ ﴾ الله ^(٣) .
﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ يقولون ؛ من الكذب ، وخص السموات والأرض والعرش ؛ لأنها أعظم المخلوقات .

﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ في دنياهم .
﴿ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ فيه العذاب ، وهو يوم القيامة . قرأ

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٤٩-١٥٠) ، و«الكشف» لمكي (٢/ ٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠-٢٣١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧-١٢٨) .

(٣) لفظ الجلالة «الله» سقط من «ت» .

أبو جعفر: (يَلْقَوُا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها،
وقرأ الباقر: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف^(١).

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨٤]
﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ أي: هو النافذ أمره في
كل شيء، وهو المستحق لأن يُعبد في السماء والأرض.
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بصلاحهم. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (فِي
السَّمَاءِ إِلَهُ) كاختلافهم فيهما من قوله (عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ) في سورة النور
[الآية: ٣٣].

﴿ وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٥].
﴿ وَبَارَكَ ﴾ تعظم وتقدس.

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من جميع الموجودات.
﴿ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: علم تحديد قيامها، والوقوف على تعيينه
وحصره.

﴿ وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/ ١٢٨).

ورويس عن يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم روح عن يعقوب، ويعقوب على أصله في فتح حرف المضارعة وكسر الجيم^(١).

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ ألَهِتُهُمَّ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ﴾ كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد.

﴿بِالْحَقِّ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم عبدوا من دون الله، ويملكون شفاعته بأن يملكها الله إياهم؛ إذ هم ممن شهد بالحق، وهو قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يُصْرَفُونَ^(٢) عن عبادته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٩).

(٢) «يصرفون» زيادة من «ت».

﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٨٨) .

[٨٨] ﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ ﴾ يعني: قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه: يا ربَّ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (وَقِيلَ) بخفض اللام وكسر الهاء على معنى: وعنده علم الساعة وعلم قيله: يا رب! وقرأ الباقون: بنصب اللام وضم الهاء^(١)، ولها وجهان: أحدهما: معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيله: يا رب! والوجه الثاني: وقال وقيله.

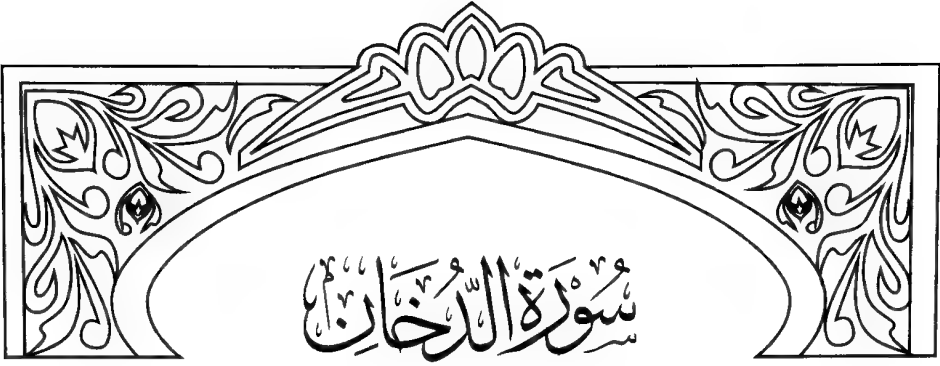
﴿ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٨٩) .

[٨٩] ﴿ فَأَصْفَحَ ﴾ فاعف ﴿ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ أي: قولاً تسلم به من شرهم، ومعناه: المتاركة، ونسختها آية السيف.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ من الله لهم، وتسليّة للنبي ﷺ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢)، والله أعلم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١٠) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣١).



مكية إلا قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ الآية، وآيها: تسع وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأحد وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وست وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْد ﴾.

[١] ﴿ حَمْد ﴾ تقدم الكلام في معناه ومذاهب القراء فيه أول سورة غافر، وتقدم إعرابه في أول الزخرف.

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾.

[٢] ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ تقدم تفسيره، وهو قَسَمَ أقسم الله به.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾.

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أي: الكتاب، وهو القرآن ﴿ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴾ هي ليلة القدر على المشهور، ويأتي الكلام عليها في سورة القدر،

نزل فيها القرآن من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل - عليه السلام - نجوماً في نيف وعشرين سنة، وقيل: هي ليلة النصف من شعبان، وسميت مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها على العالمين.

روي عن النبي - عليه السلام -: أنه قال: «ينزل الله - جل ثناؤه - ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا إنساناً في قلبه شيء»^(١)؛ أي: شركاً بالله.

وعنه عليه السلام: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، ولقد أخرج اسمه في الموتى»^(٢).

﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ للكافر بالعذاب.

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾.

[٤] ﴿ فِيهَا ﴾ في الليلة المباركة ﴿ يُفْرَقُ ﴾ يفصل^(٣) ﴿ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ محكم من خير وشر، وأجل ورزق، وكل ما هو كائن من السنة إلى السنة.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٢/١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٩/٣)، من حديث القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر رضي الله عنه، به. وإسناده ضعيف. قال العقيلي: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله.

(٢) رواه البيهقي في «شُعَبُ الإِيمَان» (٣٨٣٩) عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، مرسلًا.

(٣) «يفصل» زيادة من «ت».

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿أَمْرًا﴾ أي : أنزلناه أمراً .

﴿مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ محمداً ﷺ إلى عبادنا .

﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس : «رأفة مني بخلقِي ، ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل»^(١) .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم .

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ إن الله رب السموات والأرض . قرأ الكوفيون : (رَبِّ السَّمَوَاتِ) بالخفض رداً على قوله : (مِّنْ رَبِّكَ) ، والباقون : بالرفع رداً على قوله : (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، وإن شئت على الابتداء^(٢) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/١١٢) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٨) ، و«تفسير البغوي» (٤/١١٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٣٦) .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٨﴾.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بقدرته.

﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ فأيقنوا أن القرآن تنزيله، وأن محمداً رسوله.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩﴾.

[٩] ﴿بَلْ﴾ إضراب قبله نفي مقدر؛ كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن، بل.

﴿هُم فِي شَكٍّ﴾ من الساعة والقرآن ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾.

[١٠] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر، وذلك لما دعا النبي ﷺ على قريش فقال: «اللهم أعنني عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، فجاء أبو سفيان النبي ﷺ، وقال: يا محمد! تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادعُ لهم؛ فإنهم لك مطيعون، فقرأ: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ إلى ﴿عَايِدُونَ﴾^(١).

(١) رواه البخاري في (٤٤٩٦)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الروم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.. قال ابن بطال (١٩/١٧٢): كان ﷺ يدعو على المشركين على حسب ذنوبهم وإجرامهم، فكان يبالغ في الدعاء على من =

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يحيط بهم، فإذا غشيهم، قالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ويقولون: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون بنبينا .

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] وعلم الله تعالى قولهم في حال الشدة: (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) إنما هو عن حقيقة منهم، فدل على ذلك بقوله: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ كيف يتذكرون الإيمان عند نزول العذاب .

﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يبين لهم أحكام الدين؛ يعني: محمداً ﷺ .

= اشتد أذاه للمسلمين، ألا ترى أنه لما يس من قومه قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر...» ودعا على أبي جهل، ودعا على الأحزاب بالهزيمة والزلزلة، فأجاب الله دعاءه فيهم... فبالغ في الدعاء عليهم لشدة إجرامهم، ونهى عائشة عن الرد على اليهود باللعنة، وأمرها بالرفق في المقارضة لهم، والرد عليهم مثل قولهم، ولم يبح لها الزيادة والتصريح، فيمكن أن يكون كان ذلك منه ﷺ على وجه التألف لهم والطمع في إسلامهم . والله أعلم .

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي: عَلَّم ما جاء به، وليس من عند الله، يقول هذا بعضهم، وبعضهم يقول: إنه ﴿مَجْنُونٌ﴾ .

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زماناً يسيراً، وإن كشفناه عنكم .

﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم، فرفع عنهم القحط بدعاء النبي ﷺ، فعادوا إلى الشرك .

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿يَوْمَ﴾ المعنى: ننتقم منكم إن عدتم إلى كفركم يوم .
﴿نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ وهو يوم بدر .

﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قرأ أبو جعفر: (نَبْطِشُ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها^(١)، والكسائي يميل الشين حيث وقف على هاء التانيث .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٣) .

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بالإمهال ، وكثرة الأموال ، فارتكبوا المعاصي .

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على الله ، وهو موسى بن عمران عليه السلام .

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨) .

[١٨] فقال لهم : ﴿أَنْ أَدُّوا﴾ سَلِّمُوا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ بني إسرائيل ؛
لأذهب بهم إلى الشام ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الوحي .

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ تَطْغَوْا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ فتعصوه ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾
حجة ظاهرة ، ودليل واضح على رسالتي . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن
كثير ، وأبو عمرو : (إِنِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٢٠) .

[٢٠] فلما قال ذلك ، توعده بالقتل ، فقال :

﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ أي : تقتلون . قرأ نافع ، وأبو جعفر ،
وابن كثير ، وابن عامر ، وعاصم ، ويعقوب بخلاف عن أبي جعفر : (عُدْتُ)

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٨)
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧١/٢) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٣٨/٦) .

بإظهار الذال عند التاء^(١)، والباقون: بإدغامها^(٢)، وقرأ ورش:
(تَرْجُمُونِي) بإثبات الياء وصلًا، ويعقوب: بإثباتها وصلًا ووقفًا، والباقون:
بحذفها في الحالين^(٣).

﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ﴾^(٢١).

[٢١] ﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ﴾ فاعتزلوا أذاي باليد واللسان. واختلاف
القراء في (فَاعْتَزِلُونِي) كاختلافهم في (تَرْجُمُونِ)، وورش بفتح الياء من
(لِي)، والباقون يسكنونها.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾^(٢٢).

[٢٢] فلم يؤمنوا ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ عليهم ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن.
﴿هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ مشركون.

﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾^(٢٣).

[٢٣] فقال الله تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير:

(١) «عند التاء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٣٨/٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٨-١٣٩).

بوصل الألف، والباقون: بقطع الهمزة مفتوحة^(١).

﴿يَعْبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليقتلكم.

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَاً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَاً﴾ ساكناً بعد أن انفرق؛ لأن موسى لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم؛ خوفاً أن يتبعه فرعون وجنوده، ف قيل له: اترك البحر كحاله حتى يدخله القبط.

﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبر موسى ياغراقهم؛ ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ﴾^(٢٥).

[٢٥] ثم ذكر ما تركوه بمصر، فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ (كم) خبر للتكثير. ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعَيُْونٍ﴾ روي أنها كانت متصلة من رشيد إلى أسوان، وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعَيُْونٍ) بكسر العين، والباقون: بضمها^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١٣٩/٦-١٤٠).

(٢) المصدران السابقان.

﴿وَزُودْ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾.

[٢٦] ﴿وَزُودْ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن، وسمي كريماً؛ لأنه مجلس الملوك.

﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ﴾ ﴿٢٧﴾.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَ﴾ - بفتح النون -: الترفُّه، وبالكسر: الإنعام، و- بالضم -: المسرة، والتلاوة بالأول ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكَهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ أي: بطرين، وقرأ الباقون: بالألف^(١)؛ أي: ناعمين.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾.

[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أفعل بمن عصاني ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموال القبط. ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ من بني إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ ذلك أن المؤمن إذا مات، تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٤-٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٠).

الأرض عليه، فأهلكوا، ولم يكن لهم قدر.

﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين عند نزول العذاب^(١).

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٢).

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء، واستحياء

النساء، والتعب من العمل.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣).

[٣١] وتبدل من العذاب ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ متكبراً^(٢).

﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في العتو.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا بحالهم.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم.

﴿وَعَايَنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾^(٥).

[٣٣] ﴿وَعَايَنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ﴾ كفرق البحر، والمن والسلوى، وغيرها.

(١) «عند نزول العذاب» زيادة من «ت».

(٢) «متكبراً» زيادة من «ت».

﴿ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّتَّبِعٌ ﴾ اختبار ظاهر، والله تعالى يختبر بالنعم كما يختبر
بالنقم.

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءَ ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ حين قيل لهم:
إنكم تموتون ثم تحيون:

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ ﴾ التي في الدنيا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾
بمبعوثين.

﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا ﴾ الذين ماتوا ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنا نُبعث أحياء
بعد الموت.

﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكَتْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ثم خَوَّفَهُمْ مِثْلَ عَذَابِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، فقال: ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ ﴾ في
القوة والمنعة.

﴿ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ ﴾ هو الْحَمِيرِيُّ مَلِكُ الْيَمَنِ، سَمِيَ بِذَلِكَ؛ لِكثَرَةِ أَتْبَاعِهِ،
وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسَمَّى تَبْعًا؛ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ، وَكَانَ هَذَا يَعْبُدُ النَّارَ، فَأَسْلَمَ

ودعا قومه إلى الإسلام، وهم حَمِيرٌ، فكذبوه، فذم الله قومه ولم يذمه، وكانت عائشة تقول: «لَا تَسُبُّوا تَبْعًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا»^(١)، وقال سعيد بن جبير: «هو الذي كسا البيت، وهو الذي بنى سمرقند، وكان اسمه أسعد»^(٢) أبو كرب بن مليك»^(٣).

وعنه عليه السلام أنه قال: «لَا تَسُبُّوا تَبْعًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ»^(٥).

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الجنسين ﴿لِلْعَيْنِ﴾ لاهين.

-
- (١) «صالحاً» ساقطة من «ت».
- (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٨).
- (٣) «أسعد» زيادة من «ت».
- (٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٤٦).
- (٥) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١٣)، من حديث سهل بن سعد الساعدي، ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٧٩٠) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٧١) رواه أحمد من حديث سهل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس مثله، وإسناده أصلح من إسناد سهل.

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ بالواجب المقتضي للخيرات .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلّة نظرهم .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤٠].

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ، وهو يوم القيامة .

﴿ مِيقَتُهُمْ ﴾ وقت اجتماع الخلائق .

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ يوافي الأولون والآخرين .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٤١].

[٤١] وتبدّل من ﴿ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى ﴾ من قرابة ، وغيرها

من موالى العتق والصدقة ﴿ عَنْ ﴾ أي ﴿ مَوْلًى ﴾ كان ﴿ شَيْئًا ﴾ من العذاب

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من العذاب .

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴾ من المؤمنين ؛ فإنه يُشفع له ، ويُشفّع ، استثناء

متصل .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُنصر منه من أراد تعذيبه .

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ٤٣.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ تقدم ذكرها في سورة الصافات . وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب على (شَجَرَة) بالهاء^(١).

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ ٤٤.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي: كثير الإثم، وهو أبو جهل وأصحابه .
روي عن أبي الدرداء: «أنه أقرأ إنساناً ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾، فقال: طَعَامُ
اليتيم، مراراً، فقال: قُلْ: طعامُ الفاجرِ يا هذا»^(٢)، وفي هذا دليل لمن
يجوزُ إبدالَ كلمة بكلمة إذا أدَّت معناها، وتقدم في الفصل الرابع أول
التفسير ذكر الخلاف في جواز القراءة بالفارسية .

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ٤٥.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو دُرْدِيُّ الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ قرأ ابن كثير،
وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَغْلِي) بالياء على التذكير؛
يعني: المهل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث^(٣)؛ يعني: الشجرة .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٤١/٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٨٤).
وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤١٨/٧).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١١٩/٤)، و«النشر في=

﴿ كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴾^(٤٦).

[٤٦] ﴿ كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه .

﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾^(٤٧).

[٤٧] فيؤمر بالقاء الكافر في النار، فيقال للزبانية: ﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (فَاعْتَلُوهُ) بضم التاء، والباقون: بكسرها، وهما لغتان^(١)؛ أي: سوقوه بعنف ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ وسطه .

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾^(٤٨).

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾.

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٤٩).

[٤٩] ثم يقال لأبي جهل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ قرأ الكسائي: (أَنْتَ) بفتح الهمزة؛ أي: لأنك ﴿ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ على سبيل التهكم، وقرأ الباقون: بكسرها على الابتداء^(٢).

= القراءات العشر لابن الجزري (٣٧١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٢/٦).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٢٠/٤)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١٢٠/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٢-١٤٣/٦).

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَتُّونَ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] وذلك أن أبا جهل كان يقول للنبي ﷺ: أنا أعز أهل الوادي، وأكرمهم، فوالله لن تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً^(١)، فثمَّ يقال له:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: الأمر الذي أنتم فيه ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَتُّونَ﴾ تشكُّون.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مُقَام) بضم الميم على المصدر؛ أي: في إقامة، وقرأ الباقر: بالنصب^(٢)؛ أي: مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ من الفتن والمحن.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بدل من مقام ﴿وَعُيُونٍ﴾ تقدم اختلاف القراء في كسر العين وضمها من (عُيُونٍ) في الحرف المتقدم [الآية: ٢٥].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٨/٢٢) عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» (١٢٠/٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥١/١٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١٢٠/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٣/٦).

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّيلِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ﴾ وهو ما رَقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غُلِظَ منه ﴿مُتَقَلِّيلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسرة بهم .

﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : والأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ قرَّناهم .
﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ عِظام العيون حسانها ، نقيات البياض ؛ أي : جعلناهم اثنين اثنين ، ذكراً وأنثى ، ليس من عقد التزويج .

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يطلبون في الجنة أن يجاؤوا ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ اشتهوها ﴿آمَنِينَ﴾ من انقطاعها ومضرتها ، ومن كل مخوف .

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ التي في الدنيا .
﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ .

﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: أعطوا ذلك تفضلاً منه ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك؛ لتفهمه العرب عنك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون فيؤمنون .

﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ فانتظر نصرنا لك ﴿ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ فيما يظنون الدوائر عليك، وفي هذه الآية وعد له ﷺ، ووعد لهم، وفيه متاركة لهم، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السيف، والله أعلم .



مكية إلا ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية، وآيها: سبع وثلاثون آية،
وحروفها: ألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثمان
وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾.

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ مبتدأ.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

[٢] خبره ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في شدة أخذه إذا انتقم،
ودفاعه إذا حمى ونصر ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم للأشياء.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٣] ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقها ﴿لَآيَاتٍ﴾ لدلالات على
قدرته تعالى وتوحيده ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ وَفِي ﴾ تغيير ﴿ خَلْقِكُمْ ﴾ من حال إلى حال دلالة أيضاً على ذلك .

﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ يفرِّق في الأرض ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ هي كل حيوان يدب .

﴿ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (آيَاتٍ) بكسر التاء رداً على قوله : (لآيَاتٍ) ، وهي موضع النصب ، وقرأ الباقون : بالرفع على الاستثناف^(١) .

﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ وَأَخْلَفَ ﴾ جرب (في) غير الأولى ، التقدير : وفي اختلاف .

﴿ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ بالنور والظلام .

﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ﴾ أي : مطر ؛ لأنه سبب الرزق .

﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ييسها .

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها .

﴿ ءَايَتٌ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي : (الرَّيْحِ) بغير ألف على التوحيد

(آيَاتٍ) بكسر التاء ، وقرأ خلف : (الرَّيْحِ) على التوحيد ، (آيَاتٍ) بالرفع ،

وقرأ يعقوب : (الرِّيَاحِ) بألف على الجمع ، (آيَاتٍ) بالكسر ، وقرأ الباقون :

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٨) ،

و«تفسير البغوي» (١٢٣/٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/٦) ، وقراءة

(آيَاتٍ) بكسر التاء هي قراءة يعقوب أيضاً .

(الرِّيَاح) على الجمع، (آيَاتُ) بالرفع^(١)، تلخيصه: إن في المذكور دلالاتٍ على الوحدانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الدليل، فيؤمنون.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورات.

﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: بعد كتابه ﴿وَآيَاتِهِ﴾ معجزات أنبيائه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ توبخ وتقريع، وفيه قوة التهديد. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وروح، وحفص: (يُؤْمِنُونَ) بالغيب موافقة لما قبله، وقرأ الباقر: بالخطاب^(٢) على معنى: قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون؟

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٧﴾.

[٧] ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ وهو النضر بن الحارث.

- (١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١-٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨-١٤٩).

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٨).

[٨] ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ صفة أثيم ﴿تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يقيم على كفره.
﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان، وجيء بـ(ثم) هنا؛ لاستبعاد الإصرار على الكفر بعد سماع القرآن.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: كأنه، فخفف، وحذف ضمير الشأن، المعنى: يصصر على الكفر مثل غير السامع.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فقتل يوم بدر صبراً.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٩).

[٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا﴾ أي: جميع الآيات؛ لمبالغته في الكفر ﴿هُزُوًا﴾ سخرية؛ كفعل أبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر، وقال: تَزَقَّمُوا، فهذا ما يتوعدكم به محمد. قرأ حفص: (هُزُواً) بضم الزاي ونصب الواو بغير همز، وحمزة وخلف: بإسكان الزاي والهمز، والباقون: بضم الزاي والهمز^(١) ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: الأفاكون.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذكر بلفظ الجمع إشارة إلى كل أفاك أثيم؛ لشموله الأفاكين.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٩/٦).

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠).

[١٠] ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي: أمامهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ وأصله ما توارى عنك من خلف أو قدام ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ من الأموال. ﴿شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام. ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا يتحملونه.

﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ (١١).

[١١] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ بيان من الضلالة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ والرجز: أشد العذاب. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ) والباقون: بالجر صفة (رَجَزٍ) (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ على ضعفكم. ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٠١-٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٠).

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة والصيد وغيرهما .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم .

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١٣] .

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، والسحاب والرياح والهواء، والملائكة الموكلة بهذا كله ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم والمياه والأودية والجبال، وغير ذلك ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كلُّ إنعام فهو من فضله تعالى؛ لأنه لا يستحق أحد عليه شيئاً، بل هو يوجهه على نفسه تكرماً .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٤] .

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اغفروا ﴿يَغْفِرُوا﴾ يعفوا ويصفحوا .

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه في الأمم الماضية، ولا يخشون نقمته .

﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الإحسان والغفر للكافر، نزلت في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وذلك أن رجلاً من بني غفار

شتمه بمكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله الآية، وأمره أن يعفو عنه^(١).
 قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لِنَجْزِي) بالنون التي للعظمة،
 وقرأ الباقر، ومنهم أبو جعفر: بضم الياء وفتح الزاي مجهولاً، وجاءت
 أيضاً عن عاصم^(٢)، وهذا على أن يكون التقدير: لِيُجْزَى الجزاءُ قوماً،
 ونظيره (وَنُجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ) على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء؛
 أي: نُجِّيَ النِّجَاءُ المؤمنين، وتقدم التنبيه على ذلك في محله.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(١٥).

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ عقابه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تَرْجَعُونَ)
 بفتح التاء وكسر الجيم، والباقر: بضم التاء وفتح الجيم^(٣).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦).

[١٦] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة.

(١) انظر: «المحجر الوجيز» لابن عطية (٨٣/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٥)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/١٥٢).

﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه ﴿وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات؛ كالمن والسلوى.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

﴿وَعَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿وَعَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ دلالات على العلم بمبعث محمد ﷺ.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في محمد ﷺ، وكفروا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ به، وبالدين ﴿بَغْيًا﴾ أي: لبغي حدث ﴿بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعداوة له ﷺ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمواخذه والمجازاة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ سنة وطريقة مسلوكة.

﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين.

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم رؤساء قريش كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك.

﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا﴾ لن يدفعوا.

﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله^(١).

﴿شَيْئًا﴾ إن اتبعت أهواءهم.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فواله بالتقوى واتباع
الشريعة.

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَصِيرَةٌ﴾ معالم ﴿لِلنَّاسِ﴾ يتبصرون بها
دينهم.

﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١).

[٢١] ولما قال نفر من مشركي مكة للمؤمنين: لئن كان ما تقولون من
البعث حقاً، لنفضلنَّ عليكم في الآخرة كما فضلنا في الدنيا، نزل إنكاراً

(١) «الله»: لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

عليهم، وأن لا مساواة بينهم: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾^(١) اكتسبوا.
﴿السَّيِّئَاتِ أَنْ يَتَغَلَّهُمْ﴾ أن نصيرهم.

﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مثلهم.

﴿سَوَاءٌ نَجْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن
عاصم: (سَوَاءٌ) بالنصب؛ أي: نجعلهم سواء؛ يعني: أحسبوا أن حياة
الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين سواء؟ كلا، وقرأ الباقر: بالرفع على
الابتداء والخبر^(٢)؛ أي: محياهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى
المؤمنين والكافرين جميعاً، وقرأ الكسائي: (مَحْيَاهُمْ) بالإمالة، والباقر:
بالفتح^(٣)، المعنى: لا يستويان في موتهما كما استويا في حياتهما، لأن
المؤمن والكافر قد استويا في الرزق والصحة والمرض وغيرها في الدنيا،
وافترقا في الآخرة بالجنة والنار ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢٢).

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لما فيه من فيض الخيرات،
وليدل على قدرته تعالى ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر
﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا بتضعيف عقاب.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٨٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٦)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٦/١٥٢-١٥٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/١٥٣).

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣).

[٢٣] ونزل توبيخاً لمن عبد غير الله كالأصنام بهوى نفسه :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول، رموه أو كسروه وعبدوا الآخر.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله تعالى بأنه من أهل النار، وقيل: على علم من الضال بطريق الهداية بأن ضل عناداً.

﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلم يسمع ولم يعقل الهدى. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ظلمة، فهو لا يبصر الهدى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (غِشَاوَةً) بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها^(١).

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ﴾ إضلال ﴿اللَّهِ﴾ إياه. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الدال، والباقون: بتشديدها^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٦-١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٤-١٥٥).

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني: منكري البعث:

﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ التي نحن فيها.

﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: يموت البعض، ويحيا البعض.

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ أي: ممر السنين والأيام، وكانت العرب إذا أصابهم سوء، نسبوه إليه اعتقاداً منهم أنه الفاعل له، فقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ»^(١)، بيده الأمر»^(٢)؛ أي: الله الفاعل لذلك.

﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ ﴾ القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ذلك ظناً بلا تحقيق.

(١) في «ت»: «فإن الله هو الدهر».

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾، ومسلم (٢٢٤٦)، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٠/٥٦٥): معنى النهي عن سب الدهر: أن من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبّه أخطأ، فإن الله هو الفاعل، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السبُّ إلى الله . . . ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المراد أن الله هو الدهر: أي المدبر للأمور، ثانيها: أنه على حذف مضاف، أي صاحب الدهر، ثالثها: التقدير: مقلب الدهر. اهـ.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة .

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ما كان لهم متشبت يعارضونها به .

﴿إِلَّا أَن قَالُوا اأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا نبعث . قراءة الجمهور: (حُجَّتَهُمْ) بالنصب خبر (كان)، واسمها (إِلَّا أَن قَالُوا)، وانفرد ابن العلاف عن رويس راوي يعقوب بالرفع، ووردت عن أبي بكر وابن عامر، فتكون (حُجَّتَهُمْ) في هذه القراءة اسم (كان)، والخبر (إِلَّا أَن قَالُوا) ^(١) .

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإن القادر على الإبداء قادر على الإعادة .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقلة تفكرهم، وقصور نظرهم .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ تبدل منه

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٢/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٦/٦) .

﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يظهر خسراؤهم ثم.

﴿وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ بَارَكَةً عَلَى الرُّكْبِ، وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قرأ يعقوب: (كُلِّ) بنصب اللام على أنه بدل الأول، و(تُدْعَى) صفة، وقرأ الباقون: برفعها على أنه مبتدأ^(١)، خبره: ﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ الذي فيه أعمالها؛ لتحاسب، ويقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ ديوان الحفظة، أو القرآن.

﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم ببيان شافٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ نستكتب الحفظة.

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأننا لا نهمل شيئاً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٦-١٥٧).

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ جنته .
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿ الظَّفَرُ الظاهر .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يُقال لهم تهديداً: ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾
 بالإنذار على لسان رسلي .

﴿ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴾ كافرين^(١) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لكم: ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ كائن ﴿ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾
 أي: لا شك في البعث . قرأ حمزة: (السَّاعَةُ) بالنصب عطفاً على (وَعْدَ)،
 والباقون: بالرفع على الابتداء^(٢) .

(١) «كافرين» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٧) .

﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: لا اعتقادَ لنا إلا الشكُّ، والظنُّ أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، ويجيء الظن بمعنى اليقين؛ نحو قوله: ﴿وُظُنُّوا أَنَّهُمُ وَاقِعُ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي: أيقنوا أن الجبل واقع بهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾ أنها كائنة.

﴿وَبَدَأْهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو الجزاء. قرأ أبو جعفر: (يَسْتَهْزِءُونَ) بضم الزاي بغير همز، والباقون: بكسر الزاي والهمز^(١).

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيفُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسي الذي لا يلتفت إليه.

﴿كَمَا نَسِيفُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم. ﴿وَمَاْوُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ يخلصونكم من عذابها.

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦٤) من سورة التوبة.

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ العذابُ النازل بكم ﴿ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ ﴾ أي: بسبب اتخاذكم.

﴿ ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ هُزُوءًا ﴾ استهزأتم بها. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام، وقرأ حفص: (هُزُوءًا) بإبدال الهمزة واوًا، والباقون: بالهمز^(١).
﴿ وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُخْرَجُونَ) بفتح الياء وضم الراء، والباقون: بضم الياء وفتح الراء^(٢).
﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا يطلب منهم أن يُعتبوا ربهم؛ أي: يُرضوه بالطاعة؛ لأنه لا عذر في ذلك اليوم ولا توبة.

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تحميدٌ لله، وتحقيق لألوهيته، وفي ذلك كسر لأمر الأصنام.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١٢٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٧-٢٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٦).

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾.

[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إذ ظهر فيهما

آثارها.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما قضى.

وفي الحديث الشريف: يقول الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منهما، قَصَمْتُهُ»^(١)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، وابن ماجه (٤١٧٤)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ورواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ: «العز إزاره، والكبرياء ردائه، فمن ينازعني عذبتَه».



مكية، لم يختلف منها إلا في آيتين، وهو قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وُضعتا في سورة مكية قاله ابن عطية^(١).

وقال الكواشي^(٢): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ﴾ الثلاث.

وآيها: خمس وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وست مئة حرف، وكلمها: ست مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ تَزِيلُ الْكُتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

[٢-١] ﴿حَمْدٌ تَزِيلُ الْكُتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تقدم نظيره في

الجاهلية.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٩١/٥).

(٢) «وقال الكواشي» زيادة من «ت».

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ [٣].

[٣] ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا ﴾ ﴿ خَلَقًا مُّلتَبِسًا ^(١) ﴾ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾
الواجب الذي حق أن يكون.

﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وَقْتَنَاهُ وجعلناه موعداً لفساد هذه البنية، وهو يوم
القيامة، ومعنى الآية: موعظة وزجر؛ أي: فانتبهوا أيها الناس، وانظروا
ما يراد بكم، ولم تخلقتم.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا ﴾ به من القرآن.
﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴾ [٤].

[٤] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ استفهام على معنى التوبيخ ﴿ مَا تَدْعُونَ ﴾ تعبدون.
﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ ﴾ أي: للأصنام ﴿ شِرْكٌ ﴾ أي:
مشاركة ﴿ فِي ﴾ خلق ﴿ السَّمَوَاتِ ﴾ مع الله حتى تشركوهم في عبادته.
﴿ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ يعني: جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان
ما تقولون.

(١) «خلقاً ملتبساً» زيادة من «ت»:

﴿أَوْ أَتْرَقَ مِّنْ عَلِيمٍ﴾ أي: بقية من علم يؤثر عن الأولين .
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ .

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ إنكار أن يكون
أحد أضلّ من المشركين؛ حيث تركوا عبادة الله، وعبدوا الأصنام التي
لا تسمع دعاءهم، ولا تجيبهم .
﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعني: أبداً ما دامت الدنيا .

﴿وَهُمْ عَنْ﴾ إجابة ﴿دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون .

﴿وَإِذَا حِشَرَ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ .

[٦] ﴿وَإِذَا حِشَرَ النَّاسَ كَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ أي: لعابديها .

﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾
جاحدين، بيانه ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [الفصص: ٦٣] .

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ﴾ .

[٧] ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: لما يسمع المشركون القرآن .

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ظاهرٌ بطلانه .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[٨] ﴿ أَمْ ﴾ أي : بل ^(١) ﴿ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ اختلق محمد القرآن ،
إضرابٌ عن ذكر تسميتهم القرآن سحراً ، إلى ذكر ما هو أشنع منه ، وإنكارٌ
له .

﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ ﴾ فرضاً ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : من عذابه ﴿ شَيْئًا ﴾
أن : تردّوه عني إن عذبنني على افترائي .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ ﴾ تخوضون ﴿ فِيهِ ﴾ من التكذيب بآياته ، والقدح
فيها .

﴿ كَفَىٰ بِهِ ﴾ تعالى ﴿ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق ، وعليكم
بالكذب .

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ترجية واستدعاء إلى التوبة ؛ لأنه في خلال
تهديده إياهم بالله تعالى جاءت هاتان الصفتان .

(١) «أي : بل» زيادة من «ت» .

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَنبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١﴾ .

[٩] ثم أمر تعالى بأن يحتج عليهم، فقال: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: بديعاً؛ أي: لست بأول مرسل، قد بُعث قبلي غيري، والبدع والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله، المعنى: فكيف تنكرون نبوتي؟ .

﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال ابن عباس وأنس وغيرهما: «معناه: في الآخرة»^(١)، وكان هذا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك عرفه تعالى بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير، وهو الجنة، وبأن الكافرين في نار جهنم .

وروي أن رسول الله ﷺ رأى في النوم مُهاجره إلى أرض ذاتِ نخل، فأخبر أصحابه، فسألوه عنها، فسكت، فنزل: ﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٢)، المعنى: وما أدري أأخرجُ أم أُخرج كما أُخرج الأنبياء قبلي، أم أُقتل كما قُتلوا، وأنتم أيها المصدقون ما أدري أأخرجون معي^(٣)، أم تتركون، وأنتم أيها المكذبون ما أدري أترمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذابين قبلكم .

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣٠١/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٩٤/٥)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٠٠/٢٢) عن الحسن قوله: أما في الآخرة، فمعاذ الله؛ فقد علّم الله أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا. وهو الصحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٨٦/١٦) .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٩٤/٥)، و«تفسير القرطبي» (١٨٧/١٦) .

(٣) «معني» زيادة من «ت» .

﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ ما أتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ من القرآن، وما أبتدع من عندي شيئاً.

﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين الإنذار بالمعجزات الظاهرة. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن قالون: (أَنَا إِلَّا) بالمد^(١).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَتَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا تقولون ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن.

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - . قرأ أبو عمرو: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ) بإدغام الدال في الشين^(٢) ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: القرآن، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة له.

﴿فَتَأْمَنَ﴾ الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، وجواب الشرط في (أَرَأَيْتُمْ) محذوف، وهو: أستم ظالمين؟ لدلالة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لدينه.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٦).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ .

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ﴾ دينٌ محمد .

﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: نزلت في مشركي مكة، وقالوا: لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً، ما سبقنا إليه عمار وصهيب وبلال ونحوهم ممن أسلم، وهم دوننا في الشرف .

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان، والعامل في ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ محذوف تقديره: وقتَ عدم إيمانهم ظهرَ عنادُهم .

﴿فَيَقُولُونَ هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ ووصفوه بالقدم بمعنى أنه في أمور متقدمة .

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ .

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، أو محمد ﷺ .

﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة .

﴿إِمَامًا﴾ يؤتمُّ به في دين الله وشرائعه ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به، وفي الكلام محذوف تقديره: وتقدمه كتاب موسى إماماً، ولم يهتدوا به؛ كما قال في الآية الأولى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير (كِتَابٌ) في (مُصَدِّقٌ)؛

أي: القرآن مصدق لسان محمد ﷺ، وهو عربي ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بوضع العبادة في غير موضعها، وهم مشركو مكة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِيُنذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقر: بالغيب؛ يعني: الكتاب، واختلف عن البزي راوي ابن كثير^(١) ﴿وَبَشِّرِ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (وبشري) في محل الرفع؛ أي: هذا كتاب مصدق وبشري.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على العمل بموجب الإقرار بالتوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يحل بالكفرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على أمر ما.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

[١٤] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٤/٦).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ
وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ
لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ألزمناه^(١)، والمراد: النوع، فهي وصية من الله
في عباده ﴿بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أي: ليفعل ذا حسن. قرأ الكوفيون: (إِحْسَانًا)
بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها،
وكذلك هو في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقيون: بضم الحاء وإسكان السين
من غير همزة ولا ألف، وكذلك هو في مصاحفهم^(٢).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ على مشقة حين تتوقع حوادثه ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾
أي: كارهة، والمراد: شدة الطلق. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان
عن ابن عامر: (كُرْهًا) بضم الكاف، والباقيون: بالنصب فيهما، وهما
لغتان^(٣)، وقد عدد تعالى على الأبناء مِنْنَ الأمهات، وذكر الأم في هذه
الآيات في أربع مراتب، والأب في واحدة، جمعها الذكر في قوله: ﴿لَهُمْ

(١) «ألزمناه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)،
و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦/ ١٦٥-١٦٦).

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَعَلَ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه
بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأم ثلاثة أرباع
البر، والرَّبعَ للأب، وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله! من أبر؟ قال:
«أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم
أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك»^(١).

﴿وَحَمْلُهُ﴾ أي: مدة حملة ﴿وَفَصْلُهُ﴾ عن الرضاع، والمراد: فطامه.
قرأ يعقوب: (وَفَضْلُهُ) بفتح الفاء وإسكان الصاد من غير ألف، وقرأ
الباقون: بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها^(٢).

﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يريد: أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة
الرضاع أربعة وعشرون شهراً.

وعن ابن عباس قال: «إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعت إحدى
وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر، أرضعت أربعة وعشرين
شهراً»^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦)، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة،
ومسلم (٢٥٤٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنها أحق
به، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١٣٦/٤ - ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢٤٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٦/٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١٣٧/٤).

واتفق الأئمة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة: سنتان، والمشهور عن مالك: خمس سنين، وروي عنه: أربع، وسبع، وعند الشافعي وأحمد: أربع سنين، وغالبها: تسعة أشهر، وتقدم نظير ذلك في سورة الرعد.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، وأكثره أربعون سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - [وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمّه أم الخير بنت صخر بن عمرو^(١)].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [٢]: الآية في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده^(٣)، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة، ونبئ النبي ﷺ، آمن به، ثم دعا ربه، و﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني. قرأ ورش عن نافع، والبزي عن ابن كثير: (أَوْزِعْنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٩٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/١٩٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/١٩٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦-٥٩٧)، و«التيسير» للداني

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ بها، وهي التوحيد.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ قال ابن عباس: «هي الصلوات الخمس»،
وقيل: أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله تعالى.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ اجعل الصلاح راسخاً فيهم.

﴿إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ﴾ عما لا ترضاه ﴿وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المخلصين لك،
فأجابه - الله عز وجل -، فأعتق تسعة من المؤمنين يُعذبون في الله، ولم
يُرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا، فاجتمع
له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه
أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر^(١)، وابن عبد الرحمن هو محمد
يكنى: أبا عتيق، كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من
الصحابة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يعني: طاعاتهم.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فلا يعاقبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف،

= (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم
القراءات القرآنية» (١٦٦/٦).

(١) «بن أبي بكر» زيادة من «ت».

وحفص عن عاصم: (نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ) (وَنَتَجَاوَزُ) بنون مفتوحة فيهما، وهي النون التي للعظمة (أَحْسَنَ) بالنصب، وقرأ الباكون (يُتَقَبَّلُ) (وَيُتَجَاوَزُ) بالياء مضمومة فيهما على بناء الفعل للمفعول (أَحْسَنَ) بالرفع^(١).

﴿ فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ ﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمة الله.

﴿ وَعَدَ الصِّدِّيقَ ﴾ نصب على المصدر المؤكد لما قبله؛ فإن يتقبل ويتجاوز وعد.

﴿ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا.

﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ أَفِ لَكُمْ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

[١٧] ونزل في كافر عاقٍ لوالديه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ ﴾ إذ دعواه للإيمان بالله، والإقرار بالبعث: ﴿ أَفِ لَكُمْ ﴾ وهي كلمة كراهية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: (أُفَّ) بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباكون: بكسر الفاء من غير تنوين^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٨).

﴿أَعِدَّانِي﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: بنون واحدة مشددة، وقرأ
الباقون: بنونين مكسورتين، وفتح ياء الإضافة: نافع، وأبو جعفر، وابن
كثير، وأسكنها: الباكون^(١).

﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبري بعد الموت.
﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ﴿الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يُبعث منهم أحد.
﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ﴾ يستصرخان ﴿اللَّهُ﴾ عليه، ويقولان له:
﴿وَيْلَكَ ءَامِنٌ﴾ بالبعث، وهو دعاء عليه بالويل، والمراد به: الحث على
الإيمان.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ القول.
﴿إِلَّا أَسْطِطِرُّ﴾ أباطيل^(٢) ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ التي كتبوها.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾.

[١٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ منه تعالى
بتعذيبهم.

﴿فِي أَمْرِ﴾ أي: مع أمم ﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧-٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص:
١٩٩-٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٣ و ٢/٣٧٣)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٨-١٦٩).

(٢) «أباطيل» زيادة من «ت».

خَسِرِينَ ﴿ وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ^(١) ، وَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ^(٢) ، وَالصَّحِيحُ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ كَافِرٍ ، وَيَدُلُّ عَلَى فُسَادِ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ الْآيَةُ ، أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ^(٣) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَصَارَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا يَكُونُ مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَلِكُلِّ ﴾ تنوينه عوض من ضمير جنس المؤمن والكافر؛ أي: ولكل الجنسين ﴿ دَرَجَتٌ ﴾ منازلٌ ومراتبٌ عند الله يوم القيامة، فدرج أهل

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/١٦٠). قال الحافظ ابن كثير: هذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن، فقوله ضعيف؛ لأنه أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

(٢) روى البخاري (٤٥٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾ عن يوسف بن ماهك، وقال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب... فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

(٣) «العذاب» زيادة من «ت».

النار يذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة يذهب علواً.

﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِنُؤْفِقَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلف عن هشام^(١) ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا زيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ وهذا العرض هو بالمباشرة كما تقول عرضت العود على النار، والجاني على السوط، فيقال لهم:

﴿أَدْهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ﴾ المعدة لكم في الجنة لو آمنتم؛ باشتغالكم ببلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، والكوفيون: (أَدْهَبْتُمْ) بهمزة مفتوحة^(٢) واحدة على الخبر، وقرأ الباكون، وهم: ابن عامر، وابن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٠).

(٢) «مفتوحة» ساقطة من «ت».

كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فابن ذكوان عن ابن عامر يحقق الهمزتين على الأصل، وهشام عنه بهمزة ومدة؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة القطع، فجعلت همزة القطع بين الهمزة والألف، والثلاثة يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية، وأبو جعفر على أصله في إدخال ألف بين الهمزة المحققة والمليئة، وكلاهما فصيحان؛ لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أَذْهَبَتْ ففعلتَ كذا، وذهبت ففعلتَ كذا^(١).

﴿وَأَسْتَمْنَعُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَآ﴾ فما بقي لكم منها شيء.

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله.

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتريت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتريت يا جابر اشتريت؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٦/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٠-١٧١).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/٩٣٦)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٢٤٥٢٤) والحاكم في «المستدرک» (٣٦٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما شبع آل محمد خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ^(١).

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

[٢١] ثم أمر تعالى نبيه بذكر هود وقومه على جهة المثال لقريش، فقال: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هوداً عليه السلام، وهذه الأخوة أخوة القرابة؛ لأن هوداً كان من أشرف القبيلة التي هي عاد.

﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الصحيح من الأقوال: أن بلاد عاد كانت في اليمن، ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع حقف، وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الريح تصنع ذلك.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من قبله ومن بعده، المعنى: خوّف قومه وهم بهذا المكان بقوله:

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هائل؛ بسبب شرككم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٩٧٠) في أول كتاب: الزهد والرقائق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٢/٦).

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتُفِكَمَ عَنْ ءَاهِتِنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتُفِكَمَ﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ﴾ عبادة.

﴿ءَاهِتِنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب.

﴿إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ في وعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

[٢٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو يعلم متى يأتيكم العذاب.

﴿وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من الوحي إليكم^(١)، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ﴾

[النور: ٥٤].

﴿وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب. قرأ أبو عمرو: (وَأُبْلِغُكُمْ) بإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون: بفتح الباء وتشديد اللام^(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (وَلَكِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣).

(١) «إليكم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٢/٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨-٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر»

لابن الجزري (٢/٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٢/٦).

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌنَا بَلْ هُوَ مَا
 اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَارِضًا ﴾ نصب على الحال؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء؛ لأنهم لما رأوا العذاب ﴿ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ ظنوه سحاباً؛ لأنهم قد حبس عنهم المطر، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها، استبشروا. و﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌنَا ﴾ يأتينا بالمطر، فقال لهم هود: ليس الأمر كما رأيتم.

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ في قولكم: ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ . ثم قال: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فجعلت^(١) الريح تحمل الفسطاط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جراحة.

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢٥) .

[٢٥] ﴿ تُدَمِّرُ ﴾ تهلك ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالهم . ﴿ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ وجلس هود بمؤمنيه في حضيرة لا يصيبهم منها إلا ما يلين أبشارهم، وتلتذ^(٢) بها نفوسهم، وروي أن هذه^(٣) الريح أملت عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم،

(١) في «ت»: «فجعل» .

(٢) في «ت»: «تلتذ» .

(٣) في «ت»: «هذا» .

واحتملتهم الريح ، ورمتهم أجمعين في البحر .

﴿ فَاصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ ﴾ قرأ عاصم ، وحمزة ، ويعقوب ، وخلف :
(يَرَى) بياء مضمومة على الغيب مجهولاً ، (مَسَاكِنُهُمْ) بالرفع فاعل
المجهول ، وقرأ الباقون : بالتاء وفتحها على الخطاب معلوماً^(١) ؛ أي :
لا ترى يا محمد إلا مساكنهم ، ونصب (مَسَاكِنَهُمْ) مفعولاً صريحاً ، وأمال
أبو عمرو والكسائي الراء من (تَرَى)^(٢) ، المعنى : هلكوا بأموالهم ، وبقيت
مساكنهم . ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

كان ﷺ إذا رأى الريح ، فزع ، ويقول : «اللهم إني أسألك خيرها وخير
ما أُرْسِلَتْ به ، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما أُرْسِلَتْ به»^(٣) .

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَةً
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٢٦) .

[٢٦] ثم خاطب تعالى قريشاً على جهة الموعظة ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ
فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ (ما) موصولة بمعنى الذي ، و(إن) نافية بمعنى (ما)

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٠) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٤٢) ، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٧٣-١٧٤) .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ٣٩٢) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/ ١٧٣) .

(٣) رواه مسلم (٨٩٩) ، كتاب : صلاة الاستسقاء ، باب : التعوذ عند رؤية الريح
والغيمة والفرح بالمطر ، من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

وقعت مكانها؛ ليختلف اللفظ تخفيفاً؛ لئلا يجمع بين كلمتين بلفظ واحد^(١)، المعنى: مكنّا عاداً في الذي ما مكناكم فيه يا كفار مكة. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ فكانت أعمارهم^(٢) طويلة، وأجسادهم قوية، وأموالهم كثيرة.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فما دفع ذلك عنهم شيئاً مما حل بهم من العذاب. ﴿إِذْ كَانُوا يَمْحَدُونَ بِأَيِّتِ اللَّهِ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب، وهذا تهديد للمشركين.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

[٢٧] ثم زادهم تهديداً بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة. ﴿مِنْ﴾ أهل ﴿الْقُرَى﴾ كعاد وثمود وقوم لوط. ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ بيّناها بالإنذار بالعذاب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلُّوا عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾.

(١) «واحد» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «أعمارهم».

[٢٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ ﴿ فِهَلَا ﴾ ^(١) ﴿ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ﴾

يعني : الأوثان يتقربون بها إلى الله عز وجل .

﴿ بَلْ ضَلُّوا ﴾ غابوا عند نزول العذاب بهم ﴿ عَنْهُمْ ﴾ قرأ الكسائي : (بل ضَلُّوا) بإدغام اللام في الضاد ، والباقون : بالإظهار ^(٢) .

﴿ وَذَلِكَ ﴾ اتخذاهم الآلهة واعتقادهم فيها ﴿ إِفْكُهُمْ ﴾ كذبهم ﴿ وَمَا كَانُوا يَقْتِرُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ ^(٣) .

[٢٩] ولما مات أبو طالب ، خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه ، فلم يطيعوه ، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة عند سوق عكاظ ، قام من جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ، وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قد آمنوا ، وأجابوا لما سمعوا ، فقصَّ الله خبرهم عليه ، فقال : ﴿ وَإِذْ ﴾ ^(٣) أي : واذكر إذ ﴿ صَرَفْنَا ﴾ أَمَلْنَا ﴿ إِلَيْكَ ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف : (وَإِذْ صَرَفْنَا) بإظهار

(١) «فهلا» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٥٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٤) .

(٣) انظر : «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤١٩) وما بعد .

الذال عند الصاد، والباقون: بالإدغام^(١) ﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين
اليمن، قال ابن عباس: «هم تسعة: سليط، وشاصر، وماصر، وحسا،
ومسا، وعليم، والأرقم، والأدرس، وحاصر^(٢)»^(٣).

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ منك.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: استماع القرآن؛ أي: كانوا منه بحيث يسمعون
﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنْصِتُوا﴾ أصغوا لاستماعه، قالوا:
صه.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من تلاوته ﴿وَلَوْ﴾ رجعوا.

﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ مخوفين بأمر النبي ﷺ.

في الحديث: «الجنُّ ثلاثة أصناف: صنفٌ لهم أجنحة يطفرون في
الهواء، وصنف كلاب وحيات، وصنف يحلُّون ويرتحلون»^(٤).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي
(ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٦/٦).

(٢) انظر: «الروض الأنف» (١/٣٥٤ و ٢/٢٣٥) و«فتح الباري» لابن حجر
(٦٧٤/٨).

(٣) جاء على هامش النسخة «ت»: [أسماء الجن: وفيها، وكذا في عددهم خلاف
ذكره السهيلي وغيره، ونصيبين بفتح النون -: بلدة بالجزيرة بشمال سنجار وفي
قرب منها جبل الجودي كما في «تقويم البلدان» وغيره.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»
(٢٢/٢١٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٧٠٢)، من حديث أبي ثعلبة الخشني
رضي الله عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/٥٣٩): رفعه غريب جداً.

﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٠).

[٣٠] وكان دينهم اليهودية، فلذلك ﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا ﴾ هو القرآن ﴿ أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ قال ابن عباس: «إنهم لم يعلموا بعيسى، فلذلك قالوا: من بعد موسى» ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ هي التوراة ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ العمل به.

﴿ يَنْقُومَنَا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ يَنْقُومَنَا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان.

﴿ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ الضمير عائد على (الله).

﴿ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم، وقيل: المراد: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى، لا مظالم العباد؛ لأنه تعالى لا يغفرها إلا برضا أربابها.

﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هو مُعَذِّبٌ للكفار، فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا لرسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم^(١)، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً^(٢)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢١٧).

(٢) «مبعوثاً» زيادة من «ت».

إلى الإنس والجن جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما جميعاً.

واختلف الأئمة في حكم مؤمني الجن، فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُجْزَىٰكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم^(١)، وقال مالك والشافعي وأحمد: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة؛ كالإنس، وهم في حكم بني آدم؛ لأنهم مكلفون مثلهم.

ولم يرسل ﷺ إلى الملائكة، صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان»، وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه، وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النفسي» حكاية الإجماع، قال ابن حامد من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراج الملائكة عن التكليف، والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق، إلا من استثنى؛ كإبليس، وهاروت وماروت، على القول بأنهم من الملائكة.

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣٢).

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ ليس له مهرب.
﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ﴾ من دون عذابه تعالى ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ أنصارٌ يمنعونه
من الله.

(١) جاء على هامش «ت»: «وفي شرح عقائد الطحاوي لابن السراج: أن أبا حنيفة - رحمه الله تعالى - توقف في كيفية ثوابهم؛ حيث لم ينص شيء في القرآن».

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واختلف القراء في الهمزتين من (أُولِيَاءُ أُولَئِكَ)، ولم يرد في القرآن همزتان متفقتان بالضم في كلمتين إلا في هذا المحل، فقرأ أبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى منهما بلا عوض منها، وتحقيق الثانية، وقرأ قالون عن نافع، والبزي عن ابن كثير: بتسهيل الأولى بين الهمزة والواو، وتحقيق الثانية، وقرأ أبو جعفر، ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، واختلف عن قبل راوي ابن كثير، وورش راوي نافع، فروي عن الأول: جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني: إبدال الهمزة الثانية حرف مد، وروي عنه: تسهيلها بين بين، وقرأ الباقر، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين^(١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ﴾ لم يتحير فيه، ولم يعجز عنه ﴿يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ الباء في قوله (يَقْدِرْ) زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدم نفي في صدر الكلام، حسن التأكيد بالباء، ولم يكن المنفي ما دخلت هي عليه؛ كما في قولك: ما زيدٌ بقائم، كأنَّ بدل (أَوَلَمْ يَرَوْا): أَوَلَيْسَ الذي خَلَقَ. قرأ يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٧-١٧٦/٦).

وإسكان القاف من غير ألف وضم الراء، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها، وخفض الراء منونة^(١). قرر القدرة على إحياء الموتى، وأكد به قوله:

﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كما قرر الربوبية بـ(بلى) في قوله^(٢):
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣٤).

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ ويقال^(٣) لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ وذلك تصديق حيث لا ينفع ﴿قَالَ﴾ أي: فيقول لهم المجابوب من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَبَلَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾ أي: الجد والحزم ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٧).

(٢) «في قوله» سقط من «ت».

(٣) في «ت»: «فيقال».

وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فهم مع محمد ﷺ خمسة، ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وفي قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ لِكُمْ مِنْ إِلَهِينَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [الشورى: ٢١٣]، والمعنى: اصبر على أذى قريش؛ كصبر الرسل قبلك.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ نزول العذاب؛ فإنه نازل.

﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَئِيْلَبِثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ المعنى: إذا عاينوا العذاب، استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ، فظنوها ساعة.

﴿مِنْ نَّهَارٍ﴾ لأن ما مضى وإن كان طويلاً كان لم يكن.

﴿بَلَّغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه تبليغ من الله إليكم.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله، وفي هذه الألفاظ وعد محض، وإنذار بين، والله أعلم.

* * *



وتسمى : سورة القتال ، مدنية بإجماع ، وقيل : إن قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ﴾ الآية نزلت بمكة في وقت دخول النبي ﷺ فيها عام الفتح ، أو سنة الحديبية ، وما كان مثل هذا ، فهو محدود في المدني ؛ لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها ، وآيها : ثمان وثلاثون آية ، وحروفها : ألفان وثلاث مئة وتسعة وأربعون حرفاً ، وكلمها : خمس مئة وتسع وثلاثون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ .

[١] ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مبتدأ ﴿ وَصَدُّوا ﴾ نفوسهم وغيرهم .

﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : شرع الله وطريقه الذي دعا إليه ، وهو الإسلام ، وخبر المبتدأ .

﴿ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أبطلها ، فلم يقبلها ، وهي ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام ، والإشارة في ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ثم أشار إلى الأنصار أهل المدينة الذين آووه بقوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ أيضاً ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ يعني : القرآن .
﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وسمي دين محمد حقاً ؛ لأنه لا يردُّ عليه النسخ ،
وخبر المبتدأ .

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ سترها بالإيمان .
﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ حالهم ؛ بتوفيقه .

﴿ ذَٰلِكَ يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الواقع من الضلالة والهدى ﴿ يَأَنَّ ﴾ أي : بسبب أن .
﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾ الشيطان .
﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وهو القرآن .
﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثل ذلك الضرب .
﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ أي : يذكر لهؤلاء الناس قصص أمثالهم ؛
ليتعضوا بهم .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَامًا مَّنَآ بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ ^{شَط} وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَاوَا بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ۖ ﴾ .

[٤] ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في المحاربة ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ مصدر بمعنى الفعل ؛ أي : فاضربوا الرقاب ضرباً ، المعنى : إذا لقيتموهم ، فاقتلوهم ، وعَيِّنَ من أنواع القتل أشهره وأعرفه ، فذكره .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم فيهم القتل ، وأوهنتموهم به .
﴿ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾ أي : فأسروهم ، واحتفظوا بهم حتى لا يفلتوا منكم ، ولما قوي الإسلام ، نزل :

﴿ فَإِمَامًا مَّنَآ بَعْدُ ﴾ أي : تمنون عليهم مناً بإطلاقهم بعد أسرهم .
﴿ وَإِمَامًا فِدَاءً ﴾ أي : تفادوهم فداء ؛ أي : أنتم مخيرون في ذلك .
﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ ﴾ أي : أصحابها .
﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ سلاحها ، فيمسكوا عن الحرب ، وأصل الوزر : ما يحمله الإنسان .

واختلفوا في حكم الآية ، فقال قوم : هي منسوخة بقوله : ﴿ فَإِمَامًا نَّشَقَفْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٥٧] ، وبقوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] ، وهو قول أبي حنيفة ، وذهب آخرون إلى أنها محكمة ، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم ، أو يسترقهم ، أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض ، أو يفاديهم بالمال ، أو بأسارى المسلمين ، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد ؛ لأنه

عمل به رسول الله ﷺ، والخلفاء بعده، ومعنى الآية: أئخذوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل^(١) كلها في الإسلام، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ منذُ بعثني الله إلى أن يُقاتل آخر أمتي الدجال»^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم بغير قتال. ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم بالقتال ﴿لِيَبْلُؤُوا بُعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ليختبر المؤمنين بالكافرين؛ بأن يجاهدوهم، فيستوجبوا^(٣) الثواب، والكافرين بالمؤمنين؛ بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم؛ ليرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما؛ يعني: الشهداء، وقرأ الباقون: بفتح القاف والتاء وألف بينهما^(٤)؛ يعني: المجاهدين.

(١) في «ت»: «الملك».

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «فيستجيبوا».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٤/ ٦).

﴿ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ روي أنها نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل .

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ .

[٥] ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات .

﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ يرضي خصماءهم، ويقبل أعمالهم .

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ .

[٦] ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ أي : عرفهم منازلهم فيها .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

[٧] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ ﴾ أي : دينه .

﴿ يَنْصُرْكُمْ ﴾ على أعدائكم .

﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ عند القتال .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ .

[٨] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مبتدأ، خبره محذوف؛ أي : تعسوا، يدل عليه :

﴿ فَتَعَسَا لَهُمْ ﴾ أي : عثاراً وسقوطاً، ودخلت الفاء للجزاء، وتعطف على

تعسوا المحذوف .

﴿وَاضِلٌ أَعْمَلُهُمْ﴾ أبطلها .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ التعسُّ والإضلالُ .

﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من القرآن وأحكامه .

﴿فَاحْبَطَ﴾ أبطل ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ثم خَوْفُ الكفار فقال : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلكتهم وأموالهم وأولادهم .

﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أمثالُ عاقبة المدمرِ عليهم إن لم يؤمنوا، توعدُ لمشركي مكة .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكورُ من نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى

الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وليهم وناصرهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يُنجيهم ، والمراد : ولاية النصرة ، لا ولاية العبودية ؛ فإن الخلق كلهم عباده تعالى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَشْوٰى لَهُمْ ﴾ [١٢] .

[١٢] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ ﴾ ليس لهم همة إلا
بطونهم وفروجهم ، ولا يفكرون في مآلهم ﴿ وَالنَّارُ مَشْوٰى لَهُمْ ﴾ أي : موضع
إقامتهم .

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ
لَهُمْ ﴾ [١٣] .

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ أَهْلٍ ﴾ (١) ﴿ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ﴾ أي :
أخرجك أهلها ، المعنى : كم رجال هم أشدُّ من أهل مكة .
﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ من إهلاكنا . وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ)
في سورة الحج عند قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ قال ابن
عباس : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار ، التفت إلى مكة وقال :
«أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأحبُّ بلاد الله إليّ ، ولو أن المشركين لم
يخرجوني ، لم أخرج منك» ، فأنزل الله هذه الآية (٢) .

(١) «أهل» زيادة من «ت» .

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٦٨) ، والإمام أحمد في «المسند»

(٣٠٥/٤) ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، ورواه الإمام أحمد في «المسند»

(٣٠٥/٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يقين من دينه، وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر (مَن):

﴿كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ وهم مشركو مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُل الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها .

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قرأ ابن كثير: (آسِنٍ) بقصر الهمزة، والباقون: بمدّها^(١)؛ أي: غير متغير الطعم والرائحة .

﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ كلبن الدنيا .

﴿وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ لم تدسها الأرجل، ولم تدنسها الأيدي؛ لأن خمر الدنيا كريهة الطعم عند تناول، وشربها يبعد من الله تعالى؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (١٥٦/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٧/٦) .

بخلاف خمر الجنة. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة بخلاف عنه.

﴿وَأَنْهَرُ مَنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لا شمع فيه ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ مع كل ^(١) ذلك .
 ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أصناف ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عطف على الصنف المحذوف ؛
 أي : ونعيم أعطته المغفرة وسببته ، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة .
 ﴿كَمْ﴾ أي : أمثال أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن .
 ﴿هُوَ خَلْدٌ فِي النَّارِ وَسُقُومَاءٌ حَمِيمًا﴾ شديد الحر يسقط فروة الوجه عند الشرب .
 ﴿فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ما في بطونهم من الحوايا ؛ من فرط الحرارة ، فخرجت
 من أديبارهم .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ^(١١) .

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي : المنافقين ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ولا يعون كلامك .
 ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة ؛ استهزاء
 وسخرية .

﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿آنِفًا﴾ قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه : (آنفاً)
 بقصر الهمزة ، والباقون : بمدّها ^(٢) ؛ يعني : الآن ، ونصبه ظرف ؛ أي : وقتاً
 مؤتلفاً ، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ، ويعيب المنافقين ، فإذا خرجوا من

(١) «كل» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٠) ،
 و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٦) .

المسجد، سألوا عبد الله بن مسعود: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ أي: ما معناه؟ وما نفعه؟ قال ابن عباس: «وقد سُئِلَتْ فِيمَنْ سُئِلَ»^(١).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالنفاق ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الكفر، فلا يؤمنون.

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقَوُّهُمْ﴾^(١٧).

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ وهم المسلمون ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ علماً وبصيرة.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ تعالى ﴿تَقَوُّهُمْ﴾ أي: جعلهم متقين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَإِنِ هُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذَكَرْنَاهُمْ﴾^(١٨).

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ وتبدل من (الساعة) بدلَ اشتغال ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، وبَعَثَهُ ﷺ من أشراطها، ومن أشراطها: أن يُرْفَعَ العلم، ويكثر الجهل والربا وشرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد^(٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٧٠٥).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم (٢٦٧١)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ، فانتظروا الساعة»، ف قيل: كيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فانتظرِ الساعة»^(١).

واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) كاختلافهم فيهما من قوله^(٢): (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿فَأَنِّي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ فمن أين لهم التذكر والاعتاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ لا ينفعهم ثم، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَمْ يَلْذَكُرْ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾^(١٩).

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دُم موحِّداً.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ ليستن بك غيرك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لتغفر ذنوبهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ منصرفكم في الدنيا.

﴿وَمَثْوَكُمْ﴾ مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار.

(١) رواه البخاري (٥٩)، كتاب: العلم، باب: من سئل وهو مشغول في حديثه، فأتى

الحديث ثم أجاب السائل، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) قوله «ساقطة من «ت»».

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ۖ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حرصاً على طلب الجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً .

﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد .

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ مثبتة غير منسوخة الأحكام من الجهاد

وغيره .

﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي : الأمر به .

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي : شك ، وهم المنافقون .

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ﴾ أي : نظراً مثل ﴿الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ إذا نزل

به ، وعابن الملائكة ؛ بغضاً لك ، وخوفاً منك ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ﴾ وعيد بمعنى :

فويل ؛ أي : قَرَبَ منهم ما يكرهون .

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا

لَهُمُ ۖ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ استئناف ، والخبر محذوف ؛ أي : هما خير

لهم ، والقول المعروف : هو الأمر المرضي .

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي : جَدَّ ولزَمَ فرض القتال ، وجواب (إذا) محذوف ؛

أي : كذبوا .

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة إذا جد أصحاب أمر القتال.

﴿لَكَانَ الصَّدَقُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الكراهة والكذب.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾.

[٢٢] ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب لضرب من الإرهاب، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: فلعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمر هذه الأمة، وقيل: معناه: إن أعرضتم عن الحق.

﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، والافتراق بعد الاجتماع على الإسلام.

﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ بالقتل والعقوق ووأد البنات، المعنى: فهل يتوقع منكم إلا الإفساد وتقطيع الأرحام؟ قال البغوي^(١): نزلت في بني أمية وبني هاشم. قرأ نافع: (عَسَيْتُمْ) بكسر السين، والباقون: بفتحها^(٢)، وقرأ رويس عن يعقوب: (تَوَلَّيْتُمْ) بضم التاء والواو وكسر اللام، والباقون: بفتحهن^(٣)، وقرأ يعقوب: (تَقَطَّعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء

(١) في «تفسيره» (٤/١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٢).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٢).

مخففة، [والباقون: بفتحهن، وقرأ يعقوب: (تَقَطَّعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة]^(١)، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة^(٢).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(٢٣).

[٢٣] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ لإفسادهم.

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: بصائرهم عن طريق الهداية.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فيعرفون الحق، والتدبر: النظر إلى

ما يؤول إليه الكلام، فلما لم يتدبروا، أضرب عنهم، فقال: ﴿أَمْ﴾ أي: بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ المعنى: قلوبهم مقفلة، فلا يتدبرون، ولا يعون، ونكرت القلوب إرادة بعض القلوب^(٣)، وهي قلوب المنافقين وأعداء الدين.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٢-١٩٣).

(٣) «إرادة بعض القلوب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (٢٥).

[٢٥] ونزل في اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾ (١) أي: رجعوا إلى الكفر.

﴿ مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ في التوراة، وهو أن محمداً حق ﴿ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ مبتدأ، خبره
﴿ سَوَّلَ ﴾ زَيْنَ ﴿ لَهُمْ ﴾ أعمالهم ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب:
(وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، فأبو عمرو يفتح الياء على ما لم يسم
فاعله، ويعقوب يسكنها على وجه الخبر من الله سبحانه عن نفسه أنه يفعل
ذلك، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة واللام، وقلب الياء ألفاً (٢)؛ أي: أطل
الشیطان لهم المدة، ومد لهم في الأمل.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي
بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الإضلال ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧٩/٢٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١١٩/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦٠-١٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٤-١٩٥).

وهم المشركون: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ التعاون على عداوة محمد ﷺ، وتثييط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سرّاً، فأظهره تعالى بقوله:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الهمزة مصدر أَسَرَّ، وقرأ الباقر: بفتحها، جمع سِرٍّ^(١).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون.

﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع الحديد.

قال ابن عباس: «لا يُتَوَفَّى أَحَدٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ، إِلَّا تَضْرِبُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ وَدُبْرَهُ»^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٥/٦).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٣٢٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوفي ﴿ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ ﴾ من كتمان نعته عليه السلام ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ أي: أبغضوا العمل بما يرضيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانُهُ) بضم الراء، والباقون: بكسرها^(١).
﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ أبطلها لذلك.

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أظنَّ المنافقون.

﴿ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ يعرفوا نفاقهم.

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ ﴾ أي: لو أردنا، للدلناك على المنافقين.

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ ﴾ بعلامتهم.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥).

قال ابن عباس^(١): قال أنس: ما أخفي على النبي ﷺ شيء من أمر المنافقين بعد نزول هذه الآية^(٢).

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فحواه، المعنى: أنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمور المسلمين، فكان لا يتكلم عنده ﷺ منافق إلا عرفه، والأكابر يعرفون صدق المرید من كذبه بسؤاله وكلامه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيجازيكم بها.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٣).

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنعاملنكم معاملة المختبرين؛ بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ والمراد: علم الظهور؛ أي: نبلوكم حتى يظهر ما نخبر به عنكم من أفعالكم؛ من جهاد وصبر وغيرهما ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها بسبب طاعتكم وعصيانكم^(٣). قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى يَعْلَمَ)، (وَيَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة؛ لقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)، وقرأهن الباقون: بالنون، لقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ

(١) قوله: «ابن عباس» سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٥٢/١٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (١٦١/٤)،

والزمخشري في «الكشاف» (٣٣٠/٤).

(٣) في «ت»: «إبائكم».

لَأَرَيْنَاكَهُمْ^(١)، وقرأ رويس عن يعقوب: (وَنَبْلُو) بإسكان الواو؛ أي: ونحن نبلو، وقرأ الباقون: بفتحها رداً على قوله: (حَتَّى نَعْلَمَ)^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾.

[٣٢] ونزل فيمن عصى الله وكره الإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ هم قريظة والنضير.

﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بكفرهم وبصدّهم.

﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ يبطلها، فلا يرون لها ثواباً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

[٣٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بالمعاصي والكفر.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ونزل في أصحاب القلب ومن جرى مجراهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه .

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي: لا تدعوا إلى الصلح ابتداءً إذا لقيتم الكفار . قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (السُّلَم) بكسر السين، والباقون: بفتحها^(١)، وهما لغتان بمعنى .

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ الغالبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة .

﴿وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثواب أعمالكم .

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ﴾ باطل وغرور، لا ثبات لها، فلا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥) .

تهنوا في الجهاد بسببها ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الفواحش .

﴿يُؤَيِّدُكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾
جميعها، بل الزكاة المفروضة، وهي ربع العشر، فطَيَّبُوا أَنْفُسَكُمْ .

﴿إِنْ يَسْتَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَخَرَجَ أَصْفَنَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْتَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يُلْحَ عَلَيْكُمْ ﴿تَبَخَّلُوا﴾ بها
﴿وُخْرِجَ﴾ البخل ﴿أَصْفَنَكُمْ﴾ أحقادكم ومعتقداتكم السوء . قرأ يعقوب :
﴿وَنُخْرِجَ﴾ بالنون، والباقون : بالياء^(١) .

﴿هَآأَنَّتُمْ هَآؤَلَاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ
وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿هَآأَنَّتُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع : بتسهيل الهمزة
بين بين، وقرأ الكوفيون، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب : بتحقيق الهمزة
بعد الألف، وروي عن ورش : (هَآأَنَّتُمْ) مدأ بلا همزة، وعنه وجه ثان
(هَآَنَّتُمْ) بهمزة مقصورة بين الهاء والنون ؛ مثل : سَأَلْتُمْ، وروي عن قبل :
كالوجه الثاني عن ورش، أصلها هَآَنَّتُمْ، قلبت الهمزة الأولى هاء ؛ كقولهم
هَرَقْتُ، وَأَرَقْتُ^(٢) .

(١) انظر : «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص : ١٤١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٢ و ٦٠٧) ، و«النشر في القراءات العشر» =

﴿هُؤُلَاءِ﴾ أصله: أولاء، دخلت عليه هاء التنبيه، وهو في موضع النداء، يعني: أنتم يا هؤلاء المخاطبون، ثم استأنف فقال: .
﴿تَدْعُونَ لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم.
﴿فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ﴾ بالزكاة المفروضة، و﴿يَبْخُلُ﴾ رفع؛ لأن (مَنْ) هذه ليست بشرط؛ لاستئنافك ﴿وَمَنْ يَبْخُلُ﴾ بالصدقة والمفروض، و﴿يَبْخُلُ﴾ جزم؛ لأن (مَنْ) هذه شرط، جوابه ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ﴾ رفع أيضاً.
﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: عليها، المعنى: جزاء بخله مختص به.
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عنكم وعن صدقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم، وهم الأنصار.
﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا امْتِلَافًا﴾ في البخل والتولي ونحوهما، بل يكونوا خيراً منكم، وأطوع لله، والله أعلم.

* * *



مدنية، نزلت على النبي ﷺ منصرفه من الحديبية^(١)، وهي بهذا في حكم المدني، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾.

[١] ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ الأكثرون على أنه صلح الحديبية^(٢)، ونزلت السورة مؤانسة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم، ومن تلك^(٣) المهادنة التي هادتهم النبي ﷺ، فنزلت السورة مؤنسة لهم في صدهم عن البيت، ومذهبة ما كان في قلوبهم.

وملخص القصة: أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة معتمراً، لا يريد حرباً، وساق الهدى، وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المزار مهبط الحديبية أسفل مكة، والحديبية بئر،

(١) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري (٣٩٣٩)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، عن أنس.

(٣) «تلك» زيادة من «ت».

ووقع من معجزاته ﷺ آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه سهمه، وثاب الماء حتى كفى الجيش.

وتأهبت قريش للقتال، وبعثوا رسولهم إلى النبي ﷺ، فبعث إليهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يعلمهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم، أمسكوه وحبسوه، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد، حتى قال سلمة بن الأكوع وغيره: «بايعنا رسول الله ﷺ على الموت»^(١)، ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل، ثم وقع الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش؛ فإنهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح، فأجاب النبي ﷺ، ثم دعا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال لعلي: امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: فأرنيه، فأراه إياه^(٢)، فمحاها النبي ﷺ، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠)، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (١٨٦٠)، كتاب: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

(٢) «إياه» زيادة من «ت».

وعهدهم دخل فيه»، وأشهدوا في الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين، ثم نحر رسول الله ﷺ هديه، وحلق رأسه، وفعل الناس كذلك^(١)، ثم عاد إلى المدينة، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح.

ودخل في^(٢) هذه السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر، فكان هذا الفتح الأعظم، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المسلمين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت^(٣) ملحمة عظيمة بين الروم وفارس، ظهرت فيها الروم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسر بها والمؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وانحصاد الشوكة العظمى من الكفرة، والفتح: الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً.

﴿فَتَحَامِينَا﴾ أي: قضينا لك قضاءً بيناً.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٢] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ هي لام (كي)؛ لكنها تخالفها في المعنى. قرأ

(١) رواه مطولاً البخاري (٢٥٨١)، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، من حديث المشور بن مخزومة، ومسلم (١٧٨٤)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «في» ساقطة من «ت».

(٣) «الوقت» زيادة من «ت».

أبو عمرو: (لِيَغْفِرَ لَكَ) بإدغام الراء في اللام^(١)، والمراد هنا: أن الله فتح لك؛ لكي يجعل ذلك أمانة وعلامة لغفرانه لك؛ فكأنها لام صيرورة، ولهذا قال ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبُّ إليّ من الدنيا»^(٢).

﴿ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذُنُوبِكَ ﴾ يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك.
﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك، وقيل: مقصد الآية: أنك مغفور لك، غير مؤاخذ بذنب أن لو كان.

﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بإظهارك وتعليتك على عدوك، والرضوان في الآخرة.
﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي: إلى صراط؛ أي: يثبتك على الدين، فجمع الله لنبيه ﷺ في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة، وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاص، والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة بلاغ^(٣) الدرجة الكاملة، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة.

﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾.

[٣] ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الذي معه غلبة العدو، والظهور عليه،

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠١/٦).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «إبلاغ».

والنصر غير العزيز: هو الذي مضمّنه الحماية ودفع العدو فقط .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَهُوَ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

[٤] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو تسكينها لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنوا وعلموا أن وعد الله على لسان رسول الله ﷺ حق .

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ يقيناً ﴿ مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ الأول ، ويكثر تصديقهم .

قال ابن عباس : بعث ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه ، زادهم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الجهاد^(١) .

واختلف الأئمة في زيادة الإيمان ونقصانه ، فقال أبو حنيفة : لا يزيد ولا ينقص ، ولا استثناء فيه ، وقال الثلاثة : يزيد وينقص ، ويجوز الاستثناء فيه .

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم ، لفعل .
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه ، وقوله : (وَكَانَ) ؛ أي : كان ويكون ، فهي دالة على الوجود بهذه الصفة ، لا معينة وقتاً ماضياً .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٠٣) . وانظر : «تفسير البغوي» (٤/١٦٨) ، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢٦٤) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/٥١٤) .

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٦﴾ .

[٥] روي أنه لما أنزلت: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، تكلم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس معه؟ فبين الله في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾، فلما سمعها المؤمنون، قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزل: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. قال أهل المعاني: وإنما كررت اللام في قوله: (لِيَدْخُلَ) بتأويل تكرير الكلام، مجازة: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إنا فتحنا لك؛ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار^(١).

﴿وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يسترها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإدخال والتكفير.
﴿عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرر.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] روي أن النبي ﷺ أتى بجماعة، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزل: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ﴾ أن الله لا ينصر محمداً ﷺ.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤٣/٩).

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بالعذاب والهلاك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين، وقرأ الباقون: بفتحها كالحرف الأول^(١)، وهما لغتان، غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، والمضموم جرى مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السُّوء، وأراد به الخير، وسَمَّى المصيبة التي دعا بها عليهم: (دَائِرَةُ) من حيث يقال في الزمان: إنه يستدير، ألا ترى أن السنة والشهر كأنها مستديرات، تذهب على ترتيب، وتجيء من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النبي ﷺ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ^(٢) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(٣)، ويحسُن أن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث إنها تدير: تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدائرة على السواء من النقطة.

﴿وَعُذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم من رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيظًا حَكِيمًا﴾.

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ﴾ الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ الغزاة في سبيل الله.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَرِيظًا حَكِيمًا﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠١).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

(٣) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، من حديث أبي بكره - رضي الله عنه -.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا ﴾ على أمتك يوم القيامة .

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ بالجنة مَنْ عمل خيراً من أهل الإيمان .

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ منذراً أعداء الله بالنار، ومن عمل سوءاً .

﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ يُقَوُّوه وينصروه ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعظموه ويفخموه، والهاء في (يُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ) للنبي ﷺ، وهاهنا وقف، والهاء في ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لله - عز وجل - أي: يصلوا له .

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ بالغداة والعشي . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لَيُؤْمِنُوا) (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ) بالغيب في الأربعة على استمرار الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباكون: بالخطاب للناس^(١)، على معنى: قل لهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ يا محمد بيعة الرضوان بالحديبية على ألا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٢-٢٠٣) .

يفروا، وخبر (إِنَّ) ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حوله وقوته فوق حولهم وقوتهم؛ أي: في نصرك ونصرهم، وهذا تعديد نعمة عليهم مستقبلة مخبر بها.

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ﴾ وإنما يرجع وبال نقضه.

﴿عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ ثبت على البيعة. قرأ حفص عن عاصم: (عليه الله) بضم الهاء، حذفت الواو لسكونها، وبقيت الضمة تدل عليها، وقرأ الباقون: بكسر الهاء، أبدلوا من الضمة كسرة^(١)، يقال: أوفى بالعهد، ووفى به: إذا لم ينقضه.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة فما فوقها. قرأ أبو عمرو، والكوفيون، ورويس عن يعقوب: (فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء؛ أي: فسؤتيه الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة^(٢).

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١١﴾.

[١١] ولما سار ﷺ إلى مكة عام الحديبية، طلب ناساً من الأعراب

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٤/٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٤/٦).

ليرتحلوا معه، فتخلفوا عنه جبناً، واعتلوا بالأموال والأولاد، فنزل:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ عنك ﴿ مِّنَ الْأَعْرَابِ ﴾ إذا رجعت من الحديبية .

﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ الله ليغفر لنا تخلفنا عنك، فكذبهم الله في اعتذارهم، فقال: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يُظهرون .

﴿ يَأْتِسُّهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لأنهم لا يبالون باستغفارك .

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ سوءاً ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر ولا جلب نفع إلا هو تعالى . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ضراً) بضم الضاد، والباقون: بفتحها^(١)، وهما لغتان، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه إن أراد شيئاً من ذلك، لم يقدر أحد على دفعه ﴿ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه .

﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ لظنكم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون . قرأ الكسائي، وهشام: (بَلْ ظَنَنْتُمْ) بإدغام اللام في الظاء، والباقون: بالإظهار^(٢) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥) .

﴿وَرِيتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكن فيها ﴿وَوَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ وهو سائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى جمع بائر؛ أي: لا تصلحون لشيء من الخير.

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [١٣] ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ وهي النار المؤججة، ونكر^(١) (سَعِيرًا)؛ للتهويل.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبره بقدرته وحكمته. يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿رحمته سابقة لغضبه؛ حيث يكفر السيئات باجتناّب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية. ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾ أي: غنائم خيبر.

(١) في «ت»: «وتنكير».

﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً من غنائم أهل مكة؛ لأنهم انصرفوا منها على صلح، ولم يصيبوا منها^(١) شيئاً، قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

(كَلِمَ اللَّهِ) بكسر اللام من غير ألف، جمع كلمة، وقرأ الباقون: بفتح اللام وألف بعدها^(٢)، والمعنى فيه متقارب، ومعناه: يريدون أن يغيروا وعده لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

﴿قُلْ لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كقولي لكم ﴿قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل عودنا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ فلذلك قلتم هذا القول.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم المؤمنون.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَتِّلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية، وكرر ذكرهم بهذا الاسم

(١) في «ت»: «منهم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (١٧١/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٦/٦).

مبالغةً في الذم، وإشعاراً بشناعة التخلف؛ أي: قل لهم إن كنتم تريدون الغزو:

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم فارس والروم، أو هم بنو حنيفة والمرتدون، قال منذر بن سعيد: يتركب على هذا القول أن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -؛ لأن أبا بكر قاتل أهل الردة، وعمر قاتل فارس والروم^(١).

﴿تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين لا غير، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم، أو يعطي الجزية.

وعن رافع بن خديج قال: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيهما مضى ولا نعلم من هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا^(٢).

﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تعرّضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عام الحديبية. ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النار.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٧٢/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٢/١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١٩/١٩) عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» (١٧٢/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٣/١٦).

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ .

[١٧] فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ في التخلف عن الجهاد. ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ هذا عذر لهم في تخلفهم عن الحديبية .

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) (نُعَذِّبْهُ) بالنون فيهما للعظمة، والباقون: بالياء فيهما؛ لقوله: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ) ^(١) .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ .

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كانوا ألفاً وثلاث مئة، وقيل غير ذلك .

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكانت سَمُرَةً ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧/ ٦) .

من الصدق والوفاء ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة ﴿ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ ﴾ جازاهم ﴿ فَتَحَاقَرَبْنَا ﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافه من مكة .

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

[١٩] ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ من أموال اليهود، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فقسمها رسول الله بينهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ غالباً ﴿ حَكِيمًا ﴾ مراعيًا مقتضى الحكمة .

﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ أي : مغانم خيبر .

﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ هم قبائل من أسد وغطفان هموا أن يغيروا على عيال المسلمين وذرايرهم بالمدينة في غيبتهم في غزوة خيبر، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم .

﴿ وَلِتَكُونَ ﴾ هذه الكفة ﴿ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ على صدقك .

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ يثبتكم على الإسلام .

ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع من الهجرة إلى خيبر، وهي على ثمانين بُرْد من المدينة، فأشرف عليها، وقال لأصحابه : «قفوا،

ثم قال: اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله، ونزل عليها ليلاً، وكان إذا غزا لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً، أغار عليهم، فلما أصبحوا، خرجوا إلى عملهم بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوه عادوا وقالوا: محمد والخميس، يعنون: الجيش، فقال النبي ﷺ: «الله أكبرُ خربتُ خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، ثم حاصرهم وضيق عليهم، فخرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمتُ خيرُ أني مَرَحِبٌ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلتُ تلتهبُ
فبرز إليه عامر وقال:

قد علمتُ خيرُ أني عامرُ شاكي السلاح بطلٌ مغامرُ
فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، فمات رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «له أجره مرتين»، وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما أصبحوا، جاء علي، فتفل النبي ﷺ في عينه، فما^(١) اشتكى رمداً بعدها، فلما مات عامر، برز علي لمرحب بعد أن أعطاه رسول الله ﷺ الراية، وقال رضي الله عنه:

(١) في «ت»: «فلما».

أنا الذي سمتني أمِّي حَيْدَرَةً أَكِيلُهُم بالسيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ
ليثٌ بغاباتٍ شديدُ القسورة

واختلف بينهما ضربتان، فسبقه علي - رضي الله عنه - وضرب رأسه
فقتله، فسقط عدو الله ميتاً^(١).

وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه، فأخذ
رسول الله ﷺ الأموال، وفتح الحصون، ورجع إلى المدينة، وأصاب سبايا
منهن صفية بنت حيي، فاصطفاها ﷺ لنفسه، وجعل عتقها صداقها، وهو
مذهب الإمام أحمد - رضي الله عنه - مستدلاً بذلك، فإذا قال الرجل لأُمته
القن، أو المُدَبَّرَة، أو المكاتبَة، أو أم ولده، أو المعلق عتقها على صفة:
أعتقتك وجعلت عتقك صداقك، أو جعلت عتق أمي صداقها، أو صداق
أمي عتقها، أو قد أعتقتها^(٢) وجعلت عتقها صداقها، أو أعتقتك على أن
أتزوجك وعتقك صداقك، صح إن كان متصلاً^(٣) بحضرة شاهدين،
وينعقد النكاح والإعتاق، ويصح جعل صداق مَنْ بعضُها رقيق عتق ذلك
البعض، وإن طلقها قبل الدخول، رجع عليها بنصف قيمتها، فإن لم تكن
قادرة، أجبرت على الاستسعاء، ولو أعتقها بسؤالها على أن تنكحه، أو
قال: أعتقتك على أن تنكحيني، ورضيت، صح، ثم إن نكحته، وإلا
لزمته قيمة نفسها، وهذا من مفردات مذهب أحمد؛ خلافاً للثلاثة رضي الله
عنهم.

(١) رواه مسلم (١٨٠٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قراد وغيرها. من
حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) «أو قد أعتقتها» زيادة من «ت».

(٣) «متصلاً» زيادة من «ت».

وفي غزوة خيبر أهديت للنبي ﷺ^(١) الشاة المسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها، ثم لفظها، وقال: «تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة»^(٢).

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(٢١).

[٢١] ﴿وَأُخْرَى﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني: بلاد فارس والروم، وقيل: الإشارة إلى مكة، قال ابن عطية: وهذا هو القوي الذي يتسق معه المعنى ويتأيد^(٣)، وقيل: ومعنى (وَأُخْرَى)؛ أي: مغانم هوازن في غزوة حنين، ومعنى (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا)؛ لما كان فيها من اضطراب المسلمين.

﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ بالقدرة والقهر لأهلها؛ أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أنهم لم يقدرُوا عليها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

(١) «أهديت للنبي ﷺ زيادة من «ت».

(٢) رواه أبو داود (٤٥١٢)، كتاب: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٦٨/١)، و«فتح الباري» لابن حجر (٢٤٥/١٠).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (١٣٥/٥).

﴿ وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : أسد وغطفان وأهل خيبر .

﴿ لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ﴾ لانهزموا ﴿ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَلِيًّا ﴾ يحرسهم .

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : كسنة الله في نصر أوليائه

وقهر أعدائه .

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ تغييراً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ

أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ بداخلها .

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﴾ أي : أظهركم عليهم ، وذلك أن عكرمة بن

أبي جهل خرج في خمس مئة إلى الحديبية يطلبون غِرَّةً في عسكر

رسول الله ﷺ ، فلما أحسَّ بهم المسلمون ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن

الوليد ، وسماه سيف الله في جملة من الناس ، فهزمهم حتى أدخلهم مكة ،

وأسر منهم جملة، فسيقوا إلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأطلقهم، فهذا هو أن كف الله أيديهم عن المسلمين بالرعب، وكف أيدي المسلمين عنهم بدخولهم مكة، تلخيصه: حجز بينكم بعد ظفركم بهم.

﴿عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم. قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على ذكر الكفار وتمردهم، وقرأ الباقون: بالخطاب للكفار^(١).

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغِيرٌ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ منعوكم ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عن دخوله والوصول إليه ﴿وَالْهَدْيَ﴾ أي: وصدوا الهدي، وكانت سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً، نصب على الحال. ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ﴾ مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في محل النحر للمُحَصَّرِ في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ يعني: المستضعفين بمكة. ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم؛ لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٨).

بالقتل. قرأ أبو جعفر: (تَطَوُّهُمْ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز مضموماً^(١).

﴿ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ ﴾ من جهتهم ﴿ مَعَرَّةٌ ﴾ مشقة وإثم ﴿ بَغِيرِ عِلْمٍ ﴾ متعلق بـ(أَنْ تَطَوُّوهُمْ)، أي: تطوؤوهم غير عالمين بهم، وجواب (لَوْلَا) محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها، ولكنه حال بينكم وبين ذلك.

﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ في دين الإسلام.

﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها.

﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ أي: تميزوا؛ يعني: المؤمنين من الكفار، وجواب (لَوْ تَزَيَّلُوا):

﴿ لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾ بدخولكم مكة ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ بالسبي والقتل بأيديكم.

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

[٢٦] ﴿ إِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ الأنفة حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمد رسول الله، قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٩/٦).

وإخواننا، ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه.

﴿حِمَّةَ الْجَهْلِيَّةِ﴾ التي دخلت قلوبهم. قرأ أبو عمرو، وهشام: (إِذْ جَعَلَ) بِإِدْغَامِ الذَّالِ فِي الْجِيمِ، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ أي: الثبات والوقار ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ ﷺ.

﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لم يدخلهم ما دخل المشركين من الحمية، فيعصوا الله في قتالهم.

﴿وَأَرْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ هي كلمة الشهادة؛ أي: يشتبهم عليها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ ممن أباهما من المشركين ﴿وَأَهْلَهَا﴾ في علم الله وسابق قضائه لهم، وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن الكفار من قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية، فيروى أنه لما انعقد، أمن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة، وعلت دعوة الإسلام، وانقاد إليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعاف ما كان قبل ذلك، ويقتضي ذلك أن رسول الله ﷺ كان في عام الحديبية في أربع عشرة مئة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بنحو عامين في عشرة آلاف فارس ﷺ.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٩/٦).

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٢٧] روي أن رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه إلى الحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، وظنوا أنه يكون في ذلك العام، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا﴾ التي رآها في النوم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق. قرأ الكسائي، وخلف: (الرُّؤْيَا) بالإمالة، والباقون: بالفتح^(١).

﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ اللام لام القسم الذي يقتضيه (صدق)؛ لأنها من قبيل تبين وتحقق ونحوها مما يعطي القسم، تقديره: والله لتدخلن.

﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ودخول الاستثناء في إخبار الله - عز وجل - فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة؛ تعليمًا لعباده أن يقولوا في عِدَاتِهِمْ مثل ذلك متأدبين بأدب الله، ومقتدين بستته، أو يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله، ولم يمت منكم أحد، أو: كان ذلك على لسان ملك، فأدخل الملك إن شاء الله، أو: هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وقص عليهم، وقيل: هو متعلق بـ(آمِنِينَ)، وقيل: (إِنْ) بمعنى (إِذْ)؛ فكأنه قال: إذ شاء الله، قال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه، لكن كون (إِنْ)

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٠).

بمعنى (إذ) غير موجود في لسان العرب، انتهى^(١).

﴿مُخَلِّقِينَ﴾ حال من (آمِنِينَ) مفعوله ﴿رُءُوسَكُ﴾ أي: جميع شعورها
﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وتقدم حكم الحلق والتقصير في سورة البقرة
عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أبدأ ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة في تأخير الفتح.
﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر،
وتحققت الرؤيا في العام القابل، فكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من
الهجرة.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ ملتبساً به ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾
الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان
حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، وهذا موجود الآن في دين الإسلام؛ فإنه
قد عم أكثر الأرض، وظهر على كل دين.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً بهذا الخبر، ومعلماً به، وعلى هؤلاء
الكفار المنكرين أمرَ محمد ﷺ الرادين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم
الشهادة.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٣٩/٥).

﴿ تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ شهد له بالرسالة، وتقدم
تفسير (محمد) في سورة آل عمران، وفي الأحزاب، ثم قال مبتدئاً:
﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَشِدَّاءَ ﴾ صفة الصحابة خاصة، فلا
يكون ﷺ داخلاً مع الصحابة في الشدة ﴿ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ غلاظ عليهم كالأسد
في فريسته.

﴿ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾ متعاطفون بعضهم على بعض كالوالد مع الولد.
﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾ لأنهم مشغولون في الصلاة في أكثر أوقاتهم.
﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿ وَرِضْوَانًا ﴾ أن
يرضى عنهم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانًا) بضم الراء، والباقون:
بكسرهما^(١).

﴿ سِيَمَاهُمْ ﴾ علاماتهم ﴿ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ وهو نور وبياض
يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا، وروي أن مواضع السجود
تكون في وجوههم كالقمر ليلة البدر.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢١١/٦).

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوصف المذكور ﴿ مَثْلُهُمْ ﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه .
﴿ فِي التَّورَةِ ﴾ وتعطف عليه .

﴿ وَمَثْلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ أي: ذلك مثلهم في الكتابين ﴿ كَزَرْع ﴾ تمثيل
مستأنف ؛ أي: هم كزرع ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ فرخه ؛ يقال: أشطأ الزرع: إذا
فرخ . قرأ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: بفتح الطاء، والباقون:
بإسكانها^(١)، وهما لغتان كالنهر والنهر، وقرأ أبو عمرو: (أَخْرَجَ شَطْأَهُ)
بإدغام الجيم في الشين^(٢) .

﴿ فَتَازَرَهُ ﴾ قرأ ابن ذكوان: بقصر الهمزة، والباقون: بالمد^(٣) ؛ أي:
قواه ؛ من المؤازرة، وهي المعاونة ﴿ فَاسْتَعَاظَ ﴾ غلظ ذلك الزرع .

﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ جمع ساق ؛ أي: قوي واستقام على أصوله،
وهذا مثل ضربه الله لنبيه، خرج وحده، فآزره بأصحابه . قرأ قبل عن ابن
كثير: (سُوقِهِ) بهمزة ساكنة، وعنه وجه ثان: بهمزة مضمومة، وقرأ
الباقون: بغير همز^(٤) .

﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ الذين زرعوه، وهذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وقوته

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)،
و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٣) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦/ ٢١٣) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)،
و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤) .

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤-٢١٥) .

بالصحابة بأن يكونوا قليلاً فيكثروا وضعفاء، فيقوون، يوضح ذلك أن علله بقوله :

﴿لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ أي: إنما كثرتهم وقواهم؛ ليكونوا غيظاً للكافرين.

قال عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فأزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب.

ومن غيظ الكفار قولُ عمر بمكة: «لا أعبد»^(١) الله سرّاً بعد هذا اليوم»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءَ عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ولكل أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله عنهم أجمعين^(٣).

(١) في «ت»: «لا عبد».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١٩٢/٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبي عبيد بن الجراح رضي الله عنهم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥٤) في المقدمة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. دون قوله: «وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». وقد رواه الترمذي (٣٨٠٢)، كتاب: المناقب. باب: مناقب أبي ذر رضي الله عنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٣٢)، وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ و(مِنْهُمْ) لبيان الجنس وليست للتبويض ؛ لأنه وعد للجميع .

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني : الجنة ، وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية ، وهي ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة ، أول حروف المعجم فيها ميم من (محمد) ، وآخرها صاد من (الصالحات) ، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾ [الآية : ١٥٤] ، وليس في القرآن آيتان كل آية حوت حروف المعجم غيرهما^(١) من دعا الله بهما ، استجيب له ، والله أعلم .

* * *

(١) من قوله (ص : ٣٤٧) : «وقيل : الإشارة إلى مكة» إلى هنا سقط من «ش» .



مدنية بإجماع من أهل التأويل ، وآيها : ثماني عشرة آية ، وحروفها : ألف وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً ، وكلمها : ثلاث مئة وثلاث وأربعون كلمة ، وهذا أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي ، وبعض^(١) الأقوال المعتمدة عند أبي حنيفة ، وعنه قول آخر معتمد : أن أوله (ق) .

قال عليه السلام : «فضلني ربي بالمفصل»^(٢) ، وتقدم في أول التفسير أن المفصل من القرآن هو ما بعد الحواميم وقصار السور إلى آخر القرآن ، وسميت مفصلاً ؛ لكثرة الفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى ، فكثر التفصيل فيها ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) في «ت» : «وأحد» .

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٧/٤) ، والطيالسي في «مسنده» (١٠١٢) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥/٢٢) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٥) ، وغيرهم من حديث وائلة بن الأسقع رضي الله عنه .

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿قرأ يعقوب: (تَقَدَّمُوا) بفتح التاء والdal؛ من التقدم؛ أي: لا تتقدموا، على حذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بضم التاء وكسر dal؛ من التقديم^(١)؛ أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه، المعنى: لا تفعلوا ولا تقولوا شيئاً حتى يحكما به، ويأذنا فيه، ولا تفتاتوا عليهما، وقد كانت عادة العرب الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كل بما شاء، ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس مع النبي ﷺ على بعض ذلك، فربما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، ولو فعل الله كذا، أو ينبغي أن يكون كذا، وأيضاً فإن قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل النبي ﷺ، وقوماً فعلوا في بعض خروجه وغزواته أشياء بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك، وتحقيق معنى الآية الأمر بتعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء؛ تشريفاً لهم؛ إذ أنهم^(٢) ورثة الأنبياء.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِمٌ﴾ بأحوالكم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٩٧/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١٩/٦).

(٢) في «ت»: «هم».

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢).

[٢] ونزل فيمن رفع صوته لدى النبي ﷺ، وهو ثابت بن قيس^(١) بن شماس، وكان جهوري الصوت، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ (٢) إذا نطقتم.

﴿ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ إذا نطق ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ إذا ناجيته، ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي: لا تغلظوا له الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، وقولوا له قولاً ليناً: يا رسول الله! يا نبي الله! نظيره: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

﴿ أَن تَحْبَطَ ﴾ أي: مخافة أن تبطل ﴿ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

[٣] فلما نزل، دخل ثابت في بيته، فجعل يبكي، وقال لامرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسوله، إني رفيع الصوت، وإني أخاف أن يحبط عملي، وأكون من أهل

(١) «بن قيس» زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (١١٩)، كتاب: الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

النار، فدعاه النبي ﷺ، وقال: «أما^(١) ترضى أن تعيش حميداً وتموت شهيـداً وتدخل الجنة؟»، فقال: رضيتُ ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(٢) إجلالاً له.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: اختبرها بأنواع المحن ﴿لِلتَّقْوَى﴾ أي: لتظهر التقوى بالاختبار وصد النفس عن مرادها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ واستشهد ثابت يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه -.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

[٤] ونزل في وفد بني تميم حين وفدوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد، ودنوا من حُجَر أزواج النبي ﷺ، وهي تسعة، ففعلوا، ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فتربص مدة، ثم خرج ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله الذي مدحه زَيْن وذمُّهُ شَيْنٌ»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾^(٣) جمع حجرة، وهو ما يحجر عليه من الأرض بحائط، والمراد: حجرات نساء النبي ﷺ. قرأ

(١) في «ت»: «إنما».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١١٩/٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٥٠٣٤).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٤٦/٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٠٦/٨)، و«تفسير الثعلبي» (٧٣/٩).

أبو جعفر: (الْحُجَرَاتِ) بفتح الجيم، والباقون: بضمها^(١)، وهما لغتان، فكان كل واحد ينادي من وراء حجرة؛ لأنهم لم يتحققوا مكانه، والإنكار إنما وقع لأنهم نادوه من ظاهر الدار بجفاء وغلظة مناداة الأعرب.

﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ جهال ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب، وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جُفَاءُ بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال، لدعوتُ الله عليهم أن يهلكهم»^(٢).

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ أي: ولو ثبت صبرهم وانتظارهم.

﴿ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ ﴾ الصبر.

﴿ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ وأحسن لأدبهم، والصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٠/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٠/٦).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧٧/٩)، من حديث سعد بن عبد الله. وقد روى البخاري (٢٤٠٥)، كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع...، ومسلم (٢٥٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة ومزينة وتميم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: «هم أشد أمتي على الدجال».

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث اقتصر على النصح والتفريع لهؤلاء المسيئين الأدب^(١)، والتاركين تعظيم الرسول.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

[٦] روي أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه إلى بني المصطلق مُصَدِّقًا، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم، خرجوا يتلقونه تعظيماً لأمر رسول الله، فخافهم، فرجع من الطريق هارباً، فجاء النبي ﷺ، وقال: إنهم قد منعوا الصدقة، وهموا بقتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وهَمَّ بغزوهم، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! خرجنا نلتقه، فرجع، فخشينا أن يكون قد رده كتاب أتاه منك، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم في قولهم، وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالد بن الوليد، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾^(٢) يعني: الوليد بن عقبة ﴿بِنَبَأٍ﴾ بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَتَبَيَّنُوا) بالتاء والثاء؛ من التثبت؛ أي: توقفوا، وقرأ الباقون: بالياء والنون؛ من التبين^(٣)؛ أي:

(١) «الأدب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٤)، =

تفحصوا، وتتكبر (فَاسِقُ) يؤذن بالاحتراس من كل فاسق.

﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ كيلا تصيبوا بالقتل ﴿قَوْمًا﴾ برآء ﴿بِجَهَلَةٍ﴾ جاهلين بحالهم.

﴿فَنُصِّحُوا﴾ فتصيروا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ مغتمين.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إن كذبتهم، أخبره الله، فتفتضحوا.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ يقبل منكم ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرونه به، فيحكم بראيكم ﴿لَعَنِتُمْ﴾ لأثمتم وهلكتم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم.

﴿وَزَيْنُهُ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ بالبرهان، وثبته فيها.

﴿وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾ الكذب ﴿وَالْفُسُوقَ﴾ الخروج عن الطاعة ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ جميع معاصي الله، ومعنى تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإمداد بالتوفيق، ثم عاد من خطاب المؤمنين إلى الإخبار عنهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

= «معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٠-٢٢١).

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ مصدر مؤكد لنفسه ؛ لأن ما قبله هو بمعناه ؛
إذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين ﴿حَكِيمٌ﴾ بإنعامه عليهم بالتوفيق .

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّنُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] روي أن رسول الله ﷺ توجه إلى زيارة سعد بن عبادَةَ في مرضه ،
وركب حماراً ، فمر بعبد الله بن أبي بن سلول ، فقال عبد الله بن أبي (١) لما
غشيه حمارُ رسول الله ﷺ : لا تغبروا علينا ، والله لقد آذاني نثنُ حمارك ،
فقال عبد الله بن رواحة لابن أبي : والله لحمارُ رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً
منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، فتشامتاً ، فغضب لكل واحد منهما
أصحابه ، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، وكان فيمن غضب
لابن أبي مؤمنون ، وقيل غير ذلك ، فنزل :

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (٢) جُمع نظراً إلى المعنى ؛ لأن كل

(١) «ابن سلول فقال عبد الله بن أبي» زيادة من «ت» .

(٢) رواه البخاري (٢٥٤٥) ، كتاب : الصلح ، باب : ما جاء في الإصلاح بين الناس ،
ومسلم (١٧٩٩) ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي ﷺ ، من حديث
أنس - رضي الله عنه - وانظر : «تفسير البغوي» (٢٠٣/٤) .

طائفة جماعة ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى، وثني نظراً إلى اللفظ.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ بأن كانت الباغية مبطلّة، والأخرى محققة.

﴿فَقَنْلُوا إِلَيَّ تَبَعِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ترجع إلى حكمه المذكور في كتابه من الصلح. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تَفِيءَ إِلَيَّ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين اللفظين، وقرأ الباقر: بتحقيق الهمزتين^(١).

﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ رجعت عن البغي ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ والقسط بالفتح الجور؛ من القسط: اعوجاج في الرجلين، و- بالكسر -: العدل، وفعله أقسط، وهمزته أصلية^(٢)؛ أي: أزيلوا الجور، يقال: قسط: جار، وأقسط: عدل، والباغي في الشرع: هو الخارج على إمام العدل.

وأما حكم قتال أهل البغي، فقد اتفق الأئمة على أن نصب الإمام فرض كفاية، وتنعقد الإمامة بالبيعة، وباستخلاف^(٣) الإمام، وقهر قرشي حر ذكر، ويحرم قتاله بالاتفاق، فإذا خرج على الإمام طائفة ذات شوكة بتأويل

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) في «ت»: «للسلب».

(٣) في «ت»: «وبالاستخلاف».

سائغ، ونصبوا إماماً، وقالوا: الحق معنا، دعاهم، وكشف شبهتهم التي استندوا إليها في خروجهم عن طاعته، وأزال ما يذكرونه من مظلمة؛ فإن فاؤوا، وإلا أبيح قتالهم بالاتفاق حتى يفيئوا إلى أمر الله، فإذا فاؤوا، كف عنهم، فإن لم يكن لهم شوكة، أو لم يكن تأويل، أو لم ينصبوا إماماً، فقطاع طريق تقدم حكمهم في سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣].

واختلفوا في اتباع مدبر البغاة، وقتل جريحهم، فقال أبو حنيفة: إن كان لهم فئة يرجعون إليها، جاز ذلك، وإلا فلا، وقال الثلاثة: لا يجوز.

واتفقوا على أن أموالهم يحرم أخذها، وهي باقية لهم.

واختلفوا هل يجوز أن يستعان على حربهم بسلاحهم؟ فقال الشافعي، وأحمد: لا يجوز، وقال أبو حنيفة ومالك: يجوز مع قيام الحرب، فإذا انقضت، ردت إليهم.

واتفقوا على أن البغاة إذا أخذوا خراجاً أو جزية ذمي، فإنه يلزم أهل العدل أن يحتسبوا بذلك، بخلاف عن مالك.

واتفقوا على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغي وعكسه من نفس ومال حال الحرب، فلا ضمان فيه، وتقبل شهادة البغاة^(١) وقضاء قاضيهما فيما يقبل فيه قضاء قاضينا بالاتفاق بخلاف عن مالك، ويحرم سبي ذراريهم بالاتفاق، ومن أسر منهم من رجل أو امرأة أو صبي، حُبس حتى ينقضي الحرب، ثم يرسل بالاتفاق، ويحرم قتالهم بما يعم إتلافه؛ كمنار

(١) «فلا ضمان فيه وتقبل شهادة البغاة» زيادة من «ت».

ومنجنيق إلا لضرورة عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة: يجوز، وعند مالك: للإمام العدل في قتالهم ما له في الكفار بعد أن يدعوهم إلى الحق.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ المتنازعين، وثني؛ لأن النزاع إنما يكون أولاً بين اثنين، ثم يتعدى إلى الجماعة، ويجوز أن يراد: الحزبان؛ كقوله: (طَائِفَتَانِ). قرأ يعقوب: (إِخْوَتُكُمْ) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقر: بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية^(١).

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فلا تعصوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين، مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن علي - رضي الله عنه -: أنه سئل، وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فروا، فقبل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/١٧٣).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللَّأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ .

[١١] ونزل في ثابت بن قيس حين سأل رجلاً: من أنت؟ فقال: ابن فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فحجل الرجل؛ لأنه كان يُعير بها في الجاهلية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾^(١) أي: رجال من رجال، والقوم: الرجال خاصة؛ لأنهم القوام على النساء، جمع قائم، ويسخر معناه: يستهزىء.

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ المعنى: اجتنبوا السخرية، فربما كان المستسخر به خيراً عند الله من الساخر.

﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ونكر (قَوْمٌ) و(نِسَاءٌ)؛ ليعم النهي^(٢) قبيلهما^(٣)، ولم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة؛ أي: فرد من فرد؛ لأن السخرية تكون غالباً بين جمع.

عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: «هَلَّا قُلْتَ: إِنَّ أَبِي هَارُونَ، وعمي موسى، وزوجي محمد»^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٦/٤)، و«تفسير الثعلبي» (٨٠/٩)، و«تفسير النسفي» (١٦٦/٤).

(٢) «النهي» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «قبيلهما».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٦/٤)، و«تفسير الثعلبي» (٨١/٩)، =

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً. قرأ يعقوب: (تَلْمِزُوا)

بضم الميم، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ النبز: اللقب، واللقب: ما يسمى به الإنسان بعد

اسمه العلم، يعم المدح والذم، والتناز: هو أن يدعى الإنسان بغير

ما سُمي به مما يكرهه، المعنى: لا تلقبوا غيركم بالألقاب القبيحة؛

كالفاسق ونحوه، ولا تنادوه بها. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلَا تَنَابَرُوا)

(وَلَا تَجَسَّسُوا) (لِتَعَارَفُوا) بتشديد التاء في الثلاثة، والباقون: بالتخفيف^(٢).

﴿يَبْسُ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: يبس الذكر المرتفع للمؤمنين أن

يذكروا بالفسق بعد دخولهم بالإيمان، واشتعارهم به.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نهى عنه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي: الساخرون واللامزون.

﴿هُمْ أَظْلَاهُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة. قرأ أبو عمرو،

والكسائي، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: (يَتُبْ فَأُولَئِكَ) بإدغام الباء في

الفاء، والباقون: بالإظهار^(٣).

= و«الكشاف» للزمخشري (٣٨٣/٤). وقوله: «هَلَّا قَلْبٌ... محمد» أخرجه

الترمذي في «سننه» (٣٨٩٢) في كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ،

والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥/٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (٦٧٩٠).

وهو ضعيف الإسناد؛ قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث

هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٣-٢٢٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/٢٢٣-٢٢٤).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢).

[١٢] ونزل في رجلين اغتابا رفيقهما: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (١) أي: أبعدوه عنكم، واجعلوه جانباً منكم.

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يستحق عليه العقاب، وذلك البعض كثير؛ لأنه ظن السوء بالمؤمنين، والتبعيض يؤذن باجتنباب بعض الظن، ولا يقدم عليه إلا بعد النظر في حال الشخص، فإن كان موسوماً بالصلاح، فلا يظن به السوء بأدنى توهم، بل يحتاط في ذلك، ولا تظن سوءاً إلا بعد ألا تجد إلى الخير سبيلاً، وأما ظن الصلاح بالصلحاء والعلماء بالله والشرع، فمندوب إليه، وأما الفساق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ولا تتبعوا عورات الناس، ولا تبحثوا عن أخبارها حتى لا يظهر ما ستره الله منها ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الغيبة: أن يقول في الرجل ما فيه مما يكرهه.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ أي: أن ما يناله من عرض أخيه كأكل لحم ميت. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَيْتًا) بكسر الياء مشددة (٢)، والباقون: بإسكانها مخففة (٣)، ونصبه على الحال من (لَحْم).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٣٣٠).

(٢) «مشددة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ المعنى: إن صح ذلك، أو عرض عليكم هذا، فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ لمن اتقى ما نهى عنه، وتاب مما فرط منه.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

[١٣] ونزل نهياً عن التفاخر: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ من آدم وحواء.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب - بفتح الشين -، وهو أكبر من القبيلة؛ لأنه يجمع القبائل مثل: ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، سموا شعوباً؛ لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ﴿وَقَبَائِلَ﴾ وهي دون الشعوب، واحدها قبيلة، والقبيلة تجمع العماثر، [والعماثر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل]^(١) مثاله: خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة، المعنى: خلقناكم من أصل واحد، ثم فرقناكم.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم بعضاً، ويعطيه حقه، لا للتفاخر، ثم بين ما به^(٢) الفخر فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ﴾ فإن التقوى بها تكمل

= (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٤).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) «ما به» زيادة من «ت».

النفوس، وتتفاضل الأشخاص، قال ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس، فليتق الله»^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُمْ خَيْرٌ﴾ ببواطنكم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٤] ونزل في طوائف من الأعراب قَدِمُوا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الإسلام ليأمنوا بذلك على نفوسهم وأموالهم، وَمَنُوا بذلك على النبي ﷺ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ حقيقة، وأوقع ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ موقع كذبتهم؛ لأنه نفى ما ادعوه تأدباً.

﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقذنا واستسلمنا؛ مخافة القتل والسي.

﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فالإسلام: الخضوع والقبول لأمر رسول الله ﷺ، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فهو إيمان، وتقدم ذكر الإيمان واختلاف الأئمة فيه أول سورة البقرة.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإخلاص وترك النفاق.

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧٧٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٦٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/٣٤٠).

﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (يَأْتِكُمْ) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله؛ من ألت يألت؛ كضرب يضرب، لقوله تعالى: (وَمَا أَلْتَنَاهُمْ)، وقرأ الباقر: بكسر اللام من غير همز^(١)؛ من لات يليت؛ كباع يبيع، وهما لغتان، معناهما: لا ينقصكم.

﴿مَنْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما^(٢) فرط من المطيعين ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتفضل عليهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

[١٥] ثم بين المؤمنين حقيقة فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٦] فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٦/٦).

(٢) في «ت»: «لمن».

بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل:

﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ ^(١) التعليم بمعنى الإعلام؛ أي:

أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يحتاج إلى إخباركم.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١٧).

[١٧] ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن ينفي مَنَّةَ الأعراب، فقال: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ ﴾ أي: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض.

﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ على ما زعمتم.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في إيمانكم، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: فله المنة عليكم لا لكم.

﴿ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٨).

[١٨] ﴿ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ما غاب فيهما.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢١٣-٢١٤/٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩٠/٩)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٩/١٦).

﴿وَاللَّهُ بِصِرْطِ مَا تَعْمَلُونَ﴾ في سركم وعلا نيتكم . قرأ ابن كثير: (يَعْمَلُونَ)
بالغيب؛ لما في الآية من الغيبة عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب^(١)،
والله أعلم .

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)،
و«تفسير البغوي» (٤/٢١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٧).



مكية بإجماع من المتأولين، وقيل: إلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الآية، فمدني، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأربعة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وسبعون كلمة.

روي عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ قرأ سورة قَ هَوَّنَ الله عليه الموتَ وسَكَرَاتِهِ»^(١).

وهذا أول المفصل عند الإمام أحمد، وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة، وتقدم التنبيه عليه في أول الحجرات عند ذكر الأقوال الأخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^(١).

[١] ﴿قَ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت يقف على (ق)، والكلام فيه كالكلام في (صَ)؛ لأنهما في أسلوب واحد، واختلف في معناه، ف قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، أو من أسماء القرآن، أو هو مفتاح

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٦١).

أسماء الله تعالى التي هي القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض، وقيل: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء منه خضرة السماء، والسماء مقببة عليه، وعليه كنفها، وقيل: معناه: قضي الأمر، وقضي ما هو كائن، كما قالوا في (حَم)، وقيل: هو اسم السورة.

﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ الكريم في أوصافه، ومن عمل بالقرآن مجد؛ أي: شَرَّف على الناس، و(ق) مُقَسَّم به وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف^(١) تقديره: لَتُبْعَثُنَّ؛ لأنهم أنكروا البعث.

قال ابن عطية^(٢): و^(٣) هذا قول حسن، ثم قال: وأحسن منه أن يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإضراب بـ(بل)؛ كأنه قال: والقرآن المجيد ما ردوا أمرك بحجة، أو ما كذبوك ببرهان.

﴿بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٢] ﴿بَلْ عَجَبُوا﴾ كفار مكة^(٤) ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ مخوف ﴿مِنْهُمْ﴾ يعرفون

نسبه وصدقه.

﴿فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: قول محمد: إنا نحيا بعد الموت، وقيل: الضمير في (عَجَبُوا) لجميع الناس، مؤمنهم وكافرهم؛ لأن كل مفطور عجب من بعثة بشرٍ رسول الله، لكن المؤمنون نظروا واهتدوا،

(١) «محذوف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٥٥).

(٣) «و» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «قريش».

والكافرون بقوا في عمايتهم، وحاجوا بذلك العجب، ولذلك قال: ﴿فَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَمْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

[٣] ﴿أَمْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ استفهام إنكار جوابه محذوف؛ أي: أنرجع إذا
متنا وصرنا تراباً؟ ثم أنكروا ذلك أصلاً، فقالوا: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ إلى الحياة
﴿بَعِيدٌ﴾ عن العادة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو،
ورويس عن يعقوب: (أَيْذا) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين
الهمزة والياء، وفصل أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون بين الهمزتين بألف،
وقرأ الباقيون: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام في الفصل^(١)، وقرأ
نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتْنَا) بكسر
الميم، والباقيون: بضمها^(٢).

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.

[٤] قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من
لحومهم، وهو ردٌ لاستبعادهم.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩-٣٧٠)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣١).
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢٣٢).

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾ محفوظ من الشياطين، جامع لم يفته شيء، وهو اللوح المحفوظ.

في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمَ يَبْلَى إلا عَجَبَ الذَّنْبِ»^(١)، وهو عظم كالحردة، فمنه يركب ابن آدم.

قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحق، وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه، قال ابن عطية: وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة؟ إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود^(٢).

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفنيت، وأراد الله إعادتها كما كانت أولاً، هل تعود الأجساد الأولى، أم يخلق الله للناس^(٣) أجساداً غير الأجساد الأولى؟ فأجاب: إن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأولى، لا غيرها، قال: وهذا هو الصحيح، بل الصواب ومن قال غيره عندي، فقد أخطأ فيه؛ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث.

(١) رواه البخاري (٤٦٥١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، ومسلم (٢٩٥٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، من حديث أبي هريرة. قال ابن حجر في «الفتح» (٥٥٢/٨): قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سرٌّ لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يُظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جُعِلَ علامةً للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥٦/١٥)، ووقع فيه: «الأجساد المبعثرة» بدل: «المبعوثة».

(٣) «لنَّاسٍ» زيادة من «ت».

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ مضطرب ،
قالوا مرة : شعر ، ومرة : كهانة ، فلم يثبتوا على حال .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ معتبرين حين أنكروا البعث .
﴿ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ظرف لـ (يَنْظُرُوا) .
﴿ كَيْفَ بَيَّنَّهَا ﴾ بلا عمد ﴿ وَزَيَّنَّهَا ﴾ بالكواكب .
﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ شقوق وصدوع ، فهي مزينة سليمة من العيب .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ نصبٌ بمضمر يفسره ﴿ مَدَدْنَاهَا ﴾ دَحَوْنَاهَا على وجه الماء .
﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبلاً ثوابت ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ من كل
صنف حسن .

﴿ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ تَبَصَّرَهُ ﴾ أي : جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وَذَكَرَىٰ ﴾ أي : تذكيراً .
﴿ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ رَجَّاع إلى طاعة الله تعالى .

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ كثير البركة، وهو المطر.

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أشجاراً وثماراً ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحب الزرع الذي من شأنه أن يُحصَد.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً في السماء ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ ثمر، والطلع: أول ظهور^(١) الثمر في أكمامه قبل أن ينشق، وهو أبيض كحب الرمان ﴿نَضِيدٌ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، فما دام ملتصقاً كذلك، فهو نضيد، فإذا خرج من أكمامه وتفرق، فليس بنضيد.

﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾ نصب على المصدر ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر. ﴿بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ أرضاً جربة أنبتنا فيها الكلاء. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف^(٢).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإحياء ﴿الْخُرُوجُ﴾ من القبور.

(١) «ظهور» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢).

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قومٌ كان لهم بئر عظيمة، وهي الرس، وكل ما لم يُطَوَّ من بئر أو معدن أو نحوه، فهو رَسٌّ، وتقدم ذكرهم في سورة الحج، وفي سورة الفرقان ﴿وَتَمُودُ﴾ .

﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ والمراد بفرعون: إياه وقومه .
﴿وَأَخَوَاتِهِ﴾ لأنهم كانوا أصهاره .

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تَبَّعُ الْحَمِيرِيِّ، ذم الله قومه، ولم يذمه؛ لأنه أسلم، وتقدم ذكر قصته في سورة الدخان .

﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ وجب نزول العذاب عليهم، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد لهم . قرأ ورش عن نافع: (وَعِيدِي) بإثبات الياء وصلأ، ويعقوب بإثباتها وصلأ ووقفأ، والباقون: بحذفها في الحالين^(١) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٣-٢٣٢/٦) .

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ثم وبخهم بقوله: ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ أفعجزنا عن الإتيان به ابتداءً، فنعجز عن إعادته؟! المعنى^(١): كما لم نعجز عن ابتداء الخلق، لا نعجز عن إحيائه بعد الموت، فلما لم يؤمنوا، قيل: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْ خَلْقٍ ﴾ بعد الموت ﴿ جَدِيدٍ ﴾ وهو البعث؛ لأنهم ينكرونه.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ثم دل على قدرته تعالى، فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ ﴾ أي: تحدث ﴿ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ فلا يخفى علينا ضمائره.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ إلى الإنسان ﴿ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وهما عرقان كبيران في العنق، يقال لهما: وريدان، عن يمين وشمال، وسمي وريداً؛ لورود الروح فيه، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه؛ [لاختلاف اللفظين، وقيل: ليس هذا بإضافة الشيء إلى نفسه]^(٢)، بل هي^(٣) كإضافة الجنس إلى نوعه، والقرب: هو بالقدرة والسلطان؛ إذ لا ينحجب عن علم الله تعالى باطن ولا ظاهر^(٤).

(١) «المعنى» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) «بل هي» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «ظاهر ولا باطن».

﴿ إِذِ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (٧).

[١٧] ﴿ إِذِ يَتَلَقَّى ﴾ أي: واذكر إذ يتلقى ﴿ الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أي: يتلقن، ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ويكتبانه.

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي: مُقَاعِد، وهو المجالس الملازم، ولم يقل: قعيدان اكتفاءً بأحدهما عن الآخر.

قال ﷺ: «كاتبُ الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة، كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات؛ لعله يسبح أو يستغفر»^(١).

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ الإنسان ﴿ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ يرقب قوله ويحفظه عليه.

﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضر معه، وأراد: رقيبين وعتيدين، فاكتفى بأحدهما عن الآخر.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٨٧)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩)، والرويان في «مسنده» (١٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩٩/٩)، ومن طريقه: البغوي في «تفسيره» (٢١٩/٤)، كلهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٨/١٠): وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب.

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ شدته الزاهية بالعقل ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي :

بحقيقة الموت .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : الموت ﴿ مَا كُنْتَ مِنْهُ ﴾ أيها الإنسان ﴿ تَحِيدُ ﴾ تميل

وتهرب .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ نفخة البعث ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : النفخ .

﴿ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ للكفار بالعذاب .

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ ﴾ ملكٌ يحثها إلى المحشر .

﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ ملكٌ يشهد عليها بما عملت ، وهل الملكان الكاتبان في

الدنيا هما اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله : ﴿ سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أم غيرهما ؟ فيه

خلاف .

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ولما كانت الغفلة سائرة الكافر عن الإيمان وأهوال يوم القيامة ،

شبهت بالغطاء، فقليل: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا من الغفلة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل به:

﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ هذا ما هو مكتوب عندي مُعَدُّ محضّر.

﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِدٍ﴾.

[٢٤] ثم يقال للسائق والشهيد، أو خطاب للواحد بلفظ التثنية على

عادة العرب، والمراد: مالك؛ كأنه قيل: ألق ألق تأكيداً ﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِدٍ﴾ معاند للحق.

﴿مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

[٢٥] ﴿مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ مطلقاً^(١) ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم. روي عن يعقوب،

وقنبل: الوقف بالياء على (مُعْتَدِي).

﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في دينه.

(١) «مطلقاً» زيادة من «ت».

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: أشرك، مبتدأ ضُمن معنى

الشرط، جوابه:

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ من النار.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ هو شيطانه المقيض له تبرؤاً منه ﴿رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ﴾ ما

أضللته أنا ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الإيمان.

﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ أي: فيقول الله: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ فما ينفعكم الخصام

هنا.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ أي: خَوَّفْتُكم الرسل بما

أعددتُ لكم من العذاب هنا إن لم تؤمنوا، أو لا بد منه.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ ما يُغَيَّرُ ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ بالثواب والعقاب.

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ استفهام توبيخ لداخليتها،
وتصديق لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] .

﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ فتجيب مستفهمة تأديباً، وليكون الجواب وفق السؤال
﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ زيادة. قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (يَوْمَ يَقُولُ)
بالياء؛ أي: يقول الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة^(١)، واختلف
الناس هل يقع التقرير وهي قد امتلأت، أو هي لم تمتلئ بعد؟ فقال بكل
وجه جماعة من المتأولين، وبحسب ذلك تأولوا قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾،
فمن قال: إنها تكون ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ على معنى التقرير
ونفي المزيد؛ أي: وهل عندي موضع يزاد فيه شيء؟ وهو قول عطاء،
ومجاهد، ومن قال: إنها تكون غير ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾
على معنى السؤال والرغبة بالزيادة، وهو قول ابن عباس^(٢) .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال
جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فتقول قط قط
وعزتك، وتزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى
يُنشئ الله خلقاً فيسكنه فُضُولَ الجنة»^(٣)، وقوله: قط قط: حسبي حسبي .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٥) .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٦٥) .

(٣) رواه البخاري (٦٢٨٤)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله
وصفاته، ومسلم (٢٨٤٨)، كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون،
والجنة يدخلها الضعفاء، من حديث أنس .

﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿وَأَزَلَفَتْ﴾ قُرْبَتْ ﴿الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ﴾ أي: مكاناً غير ﴿بَعِيدٍ﴾ .

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] فإذا شاهدوها وما فيها، يقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المشاهد.

﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ من الجزاء. قرأ ابن كثير: (يُوعَدُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب^(١) ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: رجّاع عن الذنوب ﴿حَفِيفٍ﴾ حافظ لأمر الله تعالى، ولذنبه حتى يستغفر منها.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ محل (مَنْ) رفع بالابتداء والخبر؛ أي: خاف الرحمن وأطاعه، ولم يره.

﴿وَجَاءَ﴾ يوم القيامة ﴿بِقَلْبٍ﴾ سليم^(٢) ﴿مُنِيبٍ﴾ مقبل على الطاعة.

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] وخبر الابتداء ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي: فيقال لهم: ادخلوا الجنة

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٦).

(٢) «سليم» ساقطة من «ت».

﴿يَسْأَلُونَكَ أَيَّ دِينٍ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ .

﴿ذَلِكَ﴾ الدخول ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ البقاء في الجنة .

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ فيعطون ما شاؤوا مما يسألونه .

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة فوق ما طلبوا، قال جابر وأنس : هو النظر إلى وجه الله الكريم ^(١) .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ (كَمْ) للتكثير، وهي خبرية، المعنى : أهلكنا قروناً كثيرة قبل كفار مكة .

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي : طافوا في نقوبها : طرقها .


﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي : هل لهم من مفر من أمر الله عز وجل ؟

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرٍ﴾ عظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/٢٢٦) .

أي: عقل ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ﴾ أصغى لسماع كتاب الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر القلب غير غافل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾  .

[٣٨] ولما قال اليهود: يا محمد! أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت، قال: «وَمَا ذَاكَ؟»، قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تكذيباً لهم، ورداً عليهم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ^(١) إعياء؛ لأننا منزهون عن صفات المخلوقين؛ إذ لا مماسة ثم فيقع تعب، إنما أمرنا بالشيء ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٢/٢١) و(٤٣٣/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ضعيف لضعف أبي سعيد البقل، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٥٨/٨).

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود والمشركون من التشبيه والتكذيب، واختلف في الأمر بالصبر، فبعضهم يقول: نسخ بآية السيف، وبعضهم يقول: ثابت، ويرى أن الصبر مأمور به في كل حال.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ حمداً لله تعالى.
﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هي صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ هما الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء.
﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وحمزة، وخلف: (وَأِدْبَارَ) بكسر الهمزة مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الباقون: بفتحها على جمع الدُّبُر^(١).

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَأَسْمِعْ﴾ ما أخبرك به يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ﴾ هو إسرافيل - عليه السلام - ينادي بالحشر.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٧-٢٣٨).

﴿ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ إلى السماء، وهو صخرة بيت المقدس، وهو وسط الأرض، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر أو ثمانية عشر ميلاً: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء^(١). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْمُنَادِي) بإثبات الياء وصلأ، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلأ ووقفأ، وحذفها الباقيون في الحالين^(٢).

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾.

[٤٢] وتبدل من ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ هي النفخة الثانية ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالبعث ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ من القبور.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾.

[٤٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ في الدنيا ﴿ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ في الآخرة.

﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

[٤٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرف له ﴿ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) عن كعب.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٨/٦).

والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها^(١) ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع، ونصبه على الحال؛ أي: تتشقق الأرض عنهم، فيخرجون مسرعين.

﴿ذَلِكَ﴾ الخروج ﴿حَشَرٌ﴾ بعث ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ سهل، وهو كلام معادل لقول الكفرة: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك، تسلياً له ﷺ، وتهديد لهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ بمسلط تجبرهم على الإسلام، وإنما أنت داع. قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (بِجَبَّارٍ) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح^(٢).

﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ﴾ قرأ ابن كثير (بِالْقُرْآنِ)^(٣) بالنقل، والباقون: بالهمز ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أوعدت من عصائي من العذاب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٣-١٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٩).

(٣) «بالقرآن» زيادة من «ت».

روى ابن عباس: «أن المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾»^(١).

وتقدم اختلاف القراء في إثبات الياء وحذفها من (وَعِيدِ) في الحرف السابق، وكذلك اختلافهم في هذا الحرف، وكان رسول الله ﷺ يخطب بسورة (ق) في كثير من الأوقات؛ لاشتمالها على ذكر الله تعالى، والثناء عليه، ثم على علمه بما توسوس به النفوس، وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان، ثم تذكير الموت وسكرته، ثم تذكير القيامة وأهوالها، والشهادة على الخلائق بأعمالهم، ثم تذكير الجنة والنار، ثم تذكير الصبيحة والنشور والخروج من القبور، ثم بالمواظبة على الصلوات، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٥/٢٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢٢٥/٤)،
والثعلبي في «تفسيره» (١٠٨/٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٧٠/٥)،
والقرطبي في «تفسيره» (٢٨/١٧).



بإجماع المفسرين مكية، وآيها: ستون آية، وحروفها: ألف ومئتان وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾.

[١] ﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾ يعني: الرياح التي تذررو^(١) التراب ذرواً، وذرواً^(٢) نصب على المصدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وحمزة: بإدغام التاء في الذال، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام^(٣).

﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾.

[٢] ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ أي: السحاب الموقرة بالماء.
﴿وَقْرًا﴾ ثقلًا، مفعول (الحاملات).

(١) «تذررو» زيادة من «ت».

(٢) «وذرواً» سقط من «ت».

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (١/١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٨٨-٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٣).

﴿ فَالْجَرِيدَتِ يُسْرًا ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ فَالْجَرِيدَتِ ﴾ أي : السفن .

﴿ يُسْرًا ﴾ تجري في الماء جرياً سهلاً^(١) . قرأ أبو جعفر : (يُسْرًا) بضم السين ، والباقون : بإسكانها^(٢) ، ويسراً مصدر في موضع الحال ؛ أي : ميسرة .

﴿ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق ؛ من الأرزاق والأمطار وغيرها على ما أمروا به ، و^(٣) (أَمْرًا) مفعول (الْمُقَسَّمَتِ) ، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء ؛ لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته .

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] وجواب القسم ؛ ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب والعقاب .

﴿ لَصَادِقٌ ﴾ أي : لوعده صادق .

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفُقٌ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾ أي : الحساب والجزاء ﴿ لَوْفُقٌ ﴾ لا محالة .

(١) «سهلاً» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٩٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٣) .

(٣) «و» زيادة من «ت» .

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [٧].

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم، جمع حبيكة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

﴿إِنكُم لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [٨].

[٨] جوابه: ﴿إِنكُم﴾ يا أهل مكة.

﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ تصديق وتكذيب بمحمد، أو في قول مختلف في نفسه، قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إلى غير ذلك.

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ [٩].

[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ يُصْرِفُ عن الإيمان به.

﴿مَنْ أَفَكَ﴾ من صُرف عن السعادة في الأزل.

﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾ [١٠].

[١٠] ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾ أي: لعن الكذابين أصحابُ القول المختلف.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ﴾ [١١].

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: في غلبة الجهل، غافلون عما

يراد بهم.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿يَسْأَلُونَ﴾ استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: متى يوم الجزاء؟

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْنُونَ﴾ (١٣).

[١٣] قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ أي: يكون هذا الجزاء في يوم.

﴿عَلَى النَّارِ يُفْنُونَ﴾ يعذبون.

﴿ذُوقُوا فَنَتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٤).

[١٤] فإذا عذبوا، قيل لهم: ﴿ذُوقُوا فَنَتَكُمُ﴾ أي: حريقكم.

﴿هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكديباً به واستهزاء.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥).

[١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة،

والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعُيُونٍ) بكسر العين، والباقون: بضمها^(١).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٥/٦).

﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ إِنِّي مَكَّنَّا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿ءَاخِذِينَ﴾ قابِلِينَ ﴿مَّا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بسرور؛ لأنه في غاية الجودة، فليس فيه ما يُرَدُّ ﴿إِنِّي﴾ أي: المتقون ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أعمالهم.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧).

[١٧] لأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ خبر (كان).

﴿مَّا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و(ما) زائدة، و(قَلِيلًا) نعت لمصدر محذوف؛ أي: هجوعاً قليلاً؛ أي: كانوا في معظم الليل يصلون ويذكرون.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قيل: يا رسول الله! كيف الاستغفار؟ قال: «قولوا: اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم»^(١).

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ﴾ الطالب ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: يُحسب غنياً، فيحرم؛ لتعففه.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٩٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٣٢)، من حديث خباب بن الارت رضي الله عنه.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلالات على التوحيد .

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات .

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات أيضاً بتقلها من حال إلى حال، ثم إلى الزوال .

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الصنعة، فتستدلون بها على صانعها؟

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر؛ لأنه سبب الرزق .

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة؛ لأنها فوق السماء السابعة، وجميع المقدر مكتوب في السماء .

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: هذا القول .

﴿لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ فتقولون: لا إله إلا الله . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مِثْلُ) برفع اللام صفة لـ(حَقُّ)؛

لأنه نكرة لكثرة المماثل ، و(ما) زائدة تعطي تأكيداً ، وقرأ الباقون : بالنصب صفة لمصدر محذوف^(١) ؛ أي : إنه لحق حقاً مثل ما إنكم تنطقون .

قال الحسن في هذه الآية : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « قاتل الله أقواماً أقسم الله لهم بنفسه ، فلم يصدقوه »^(٢) .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام : (إِبْرَاهِمَ) بالألف ، وأبو عمرو : (حَدِيثِ ضَيْفٍ) بإدغام الثاء في الضاد^(٣) ، وضيف اسم جنس يقع للجمع والواحد ، وروي أن أضياف إبراهيم هؤلاء : جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وأتباع لهم من الملائكة صلى الله عليه وعليهم .

﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ لأنهم كرام على الله ، ولأن إبراهيم خدمهم هو وامراته ، وسماهم ضيفاً ؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف .

قال ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ »^(٤) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٣) ، و«تفسير البغوي» (٤ / ٢٣١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٢٤٦) .

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦ / ٢٠٦) .

(٣) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٩٢) ، والإدغام في «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٥٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٢٤٦) .

(٤) رواه البخاري (٥٦٧٢) ، كتاب : الأدب ، باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومسلم (٤٧) ، كتاب : الإيمان ، باب : الحث على إكرام الجار والضيف ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

[٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ عند دخولهم ﴿سَلَامًا﴾ مصدر؛ أي: سلموا سلاماً.

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ عليكم، مبتدأ وخبره. قرأ حمزة، والكسائي: (سَلَامٌ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف، وقرأ الباقون: بفتح السين واللام وألف بعدها^(١)، فنكرهم، فقال: أنتم ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: غرباء لا نعرفكم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ﴿٢٦﴾.

[٢٦] ﴿فَرَاغَ﴾ فمال^(٢) ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ سراً ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ليأكلوه، فتركوه.

﴿قَالَ﴾ إنكاراً عليهم^(٣): ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ منه؟

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٧).

(٢) «فمال» زيادة من «ت».

(٣) «عليهم» زيادة من «ت».

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ فأضمر في نفسه ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنه ظنهم أعداء؛ لعدم أكلهم، ولغرابة شكلهم.

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ روي أن جبريل مسح بجناحه العجل، فقام يمشي خلف أمه.

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ ﴾ هو إسحق عليه السلام ﴿ عَلِيمٍ ﴾ يكمل علمه إذا بلغ. قرأ ابن كثير: (وَبَشَّرُوهُ) بواو يصلها بهاء الكناية في الوصل وشبهه حيث وقع.

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرْقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ ﴾ سارة إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم. ﴿ فِي صَرْقٍ ﴾ شدة صوت؛ من الصرير.

﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ لطمته بجميع أصابعها تعجباً كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً.

﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف ألد؟ والعقيم: من منع الولد، والعقم في اللغة: المنع، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الذي بشرنا به ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ وإنما نخبرك به عنه.

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ ﴾ ذو الحكمة ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بالمصالح وغير ذلك من المعلومات .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

[٣١] ثم ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم - عليه السلام - للملائكة :

﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ والخطب : الأمر المهم ، وقلما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره ، حتى قالوا : خطوب الزمان ، ونحو هذا ، فكأنه يقول لهم : ما هذه الطامة التي جئتم لها ؟

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ .

[٣٢] ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعني : قوم لوط ، والمجرم : فاعلُ الجرائم ، وهي صعب المعاصي .

﴿ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ .

[٣٣] ﴿ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ مطبوخ بالنار ، روي أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر .

﴿ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ مُّسَوِّمَةً ﴾ معلّمة ، عليها اسمٌ من يُرمى بها ، ونصبه على الحال .

﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطلقاً، فهو لأبعد الغايات: الكفر فما دونه.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في قرى لوط، وإن لم يجر لها ذكر؛ لأن ذلك معلوم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممن آمن بلوط منجياً لهم، وذلك قوله: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٦٥].

﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

[٣٦] ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ في مدينة قوم لوط، وهي سدوم.
﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فإنهم المعترفون بها.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾

[٣٨] وتعطف على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي: وتركنا فيه

وقصته أثراً أيضاً هو آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ هو صاحب مصر .
﴿يُسْطَلِّنَ مُبِينٍ﴾ بحجة ظاهرة .

﴿فَتَوَلَّىٰ بَرَكِيهٖ وَقَالَ سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرَكِيهٖ﴾ أعرض عن الإيمان بجمعه؛ لأنهم له كالركن للبناء .

﴿وَقَالَ﴾ لموسى : هو ﴿سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ تقسيم ظن؛ أي : إنه لابد أن يكون أحدهما .

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَخُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَخُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ فطرحناهم في البحر .
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ والمليم : الذي أتى من المعاصي ونحوها ما يُلام عليه .

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أي : في إهلاكهم آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ التي لا خير فيها ، لا تلقح شجراً ، ولا تسوق مطراً ، وهي الدبور .

﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أنفسهم وأموالهم .

﴿ءَأَنْتَ﴾ مرّت ﴿عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ البالي .

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ هلاك^(١) ﴿ثَمُودَ﴾ آية .

﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم ، وهي ثلاثة أيام .

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْغَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام .

﴿فَعَتَوْا﴾ ترفعوا ﴿عَنْ﴾ امتثال ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْغَةُ﴾ بعد الأيام الثلاثة . قرأ الكسائي: (الصَّغَةُ) بإسكان العين من غير ألف ، والباقون: بكسر العين وألف قبلها^(٢) ، وهي على القراءتين: الصيحة العظيمة ، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة ، وهي التي معها النار ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليها نهاراً .

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ ما قدرُوا على النهوض عند نزول العذاب

بهم .

﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ ممن أهلكهم .

(١) في «ت»: «إهلاك» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩) ، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣) ،

و«تفسير البغوي» (٢٣٣/٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٨/٦) .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَقَوْمَ) بخفض الميم عطفاً على (وَفِي ثَمُودَ)، وقرأ الباقون: بنصبها بمضمر^(١)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إهلاك^(٢) هؤلاء المذكورين.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ بالكفر والعصيان.

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون.

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ مهذناها ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ نحن.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ ﴾ صنفين ونوعين مختلفين، وهي

إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والسماء والأرض، والسواد والبياض،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٣٤)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٨).

(٢) «إهلاك» زيادة من «ت».

والصحة والمرض، والكفر والإيمان، ونحو هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
فتعرفون الخالق فتعبدونه .

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

[٥٠] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة والطاعة ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

[٥١] ثم نهى عن عبادة كل مدعو من دون الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وكرر ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ حرصاً على هدايتهم .

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ .

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: سيرة الأمم كذلك ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أي: قبل قومك يا محمد .

﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ له: أنت ﴿سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ تلخيصه: المرسلون قبلك كُذِّبوا كما كُذِّبَتْ .

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ .

[٥٣] ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ﴾ توقيف وتعجيب من تراود نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم؛ أي: إنهم لم يتواصوا .

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جمعهم على ذلك الطغيان، والطاغي: المستعلي
في الأرض المفسد العاتي على الله.

﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَّا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿٥٤﴾.

[٥٤] ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ﴾ أي: عن الحرص المفرط عليهم، وذهاب النفس
حسرات.

﴿فَمَّا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلغت الرسالة.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وللمن
قُضِيَ^(١) له أن يكون منهم.

قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل، فلا نسخ في الآية، إلا في معنى
الموادعة التي فيها؛ فإن آية السيف نسخت جميع الموادعات^(٢).

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ابن عباس، وعلي بن
أبي طالب - رضي الله عنهما -: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا

(١) في «ت»: «قضي له».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٨٢).

لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية^(١)، فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ إذ العبادة هي مضمن الأمر، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته.

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾ لي، ولا لأنفسهم وغيرهم.

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق.

﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الشديد القوة نعتاً لـ (ذو)، المعنى: أنا غني عنكم، فاشتغلوا بما أمرتكم به تفلحوا.

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أنفسهم بالكفر ﴿ ذُنُوبًا ﴾ نصيباً من العذاب

﴿ مِثْلَ ذُنُوبِ ﴾ نصيب ﴿ أَصْحَابِهِمْ ﴾ المراد: من تقدم من الأمم المعذبة، وهذا

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٣٥/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١٨٢/٥)، و«تفسير القرطبي» (٥٥/١٧).

استعارة؛ لأن الذنوب: الدلو العظيمة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقا^(١)
الماء بالدلاء.

﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ بالعذاب، فهو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم.
قرأ يعقوب: (لِيَعْبُدُونِي) (يُطْعِمُونِي) (يَسْتَعِجِلُونِي) بإثبات الياء فيهن وصلاً
ووقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين^(٢).

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه بالعذاب، وهو
يوم القيامة، والويل: الشقاء والهم، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً،
والله أعلم.

* * *

(١) في «ت»: «القساء».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٧)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢٥٠-٢٥١).



مكية بإجماع المفسرين، وآيها: تسع وأربعون آية، وحروفها ألف وثلاث مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ثلاث مئة واثنى عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ١﴾.

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل بالسريانية، والمراد: الذي كلم الله عليه موسى - عليه السلام -، واسمه زبير، وهو بمدين.

﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ٢﴾.

[٢] ﴿وَكُتِبَ﴾ هو ما كتبه الله لموسى من التوراة، وقيل: هو القرآن ﴿مَسْطُورٍ﴾ مكتوب، والسطر: ترتيب الحروف المكتوبة.

﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣﴾.

[٣] ﴿فِي رَقٍّ﴾ جلد، وسمي رقاً؛ لأنه مرقق، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان ﴿مَّنْشُورٍ﴾ مبسوط، وهو خلاف المطوي.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ ٤ .

[٤] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، والمعمور: المأهول، وعمارته بالملائكة.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ ٥ .

[٥] ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ هو السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ٦ .

[٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، والجمهور على أنه بحر الدنيا، والواو الأولى للقسم، وباقيها للعطف.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْقَعٌ﴾ ٧ .

[٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْقَعٌ﴾ لنازل، والمراد: عذاب الآخرة للكفار.

﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٨ .

[٨] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدفعه.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ تضطرب، فتجيء وتذهب ﴿مَوْرًا﴾ مصدر.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾ كما يسير السحاب ﴿سَيْرًا﴾ ثم تفتت أثناء السير حتى تصبح آخراً كالعهن المنفوش؛ لهول ذلك اليوم.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] والفاء في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عاطفة جملة على جملة، وهي تتضمن ربطاً المعنى وتأكيده، وإثبات الويل.

﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ للرسول، وتقدم ذكر الويل في آخر الذاريات.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ﴾ والخوض: التخطي في الأباطيل تشبّه بخوض الماء ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بالنبي ﷺ.

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] وتبدل من ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ يُدْفَعُونَ بعنف.

﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ بأن تجمع أيديهم إلى أعناقهم، ونواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون في النار.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٤] فإذا جعلوا^(١) فيها، قيل لهم تبيكتا: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

[١٥] ثم قيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ العذاب ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ العذاب كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه؟!

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ادخلوها، ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿فَاصْبِرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ﴾ خبر محذوف^(٢) المبتدأ؛ أي: صبركم وجزعكم سواء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا عذابكم حتم لا بد منه جزاء أعمالكم.

(١) في «ت»: «حصلوا».

(٢) «محذوف» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ إخبار لمحمد ﷺ ومعاصريه ، لما فرغ من ذكر عذاب الكفار ، عقب ذلك بنعيم المتقين ؛ ليبين الفرق ، ويقع التحريض على الإيمان .

﴿ فَكَهَيْنَ بِمَا ءَانْتَهُم رَّبُّهُمْ وَوَقَّهَتْهُمْ رَّبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ فَكَهَيْنَ ﴾ قرأ أبو جعفر : (فَكَهَيْنَ) بغير ألف بعد الفاء ، يعني : مسرورين ، وقرأ الباقون : بالألف ، يعني : متنعمين ^(١) .

﴿ بِمَا ءَانْتَهُم رَّبُّهُمْ ﴾ من إنعامه ورضاه عنهم ﴿ وَوَقَّهَتْهُمْ رَّبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ .

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ثم يقال لهم : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ أكلاً وشرباً .

﴿ هَنِيئًا ﴾ لا تنغيص فيه ، ونصبه على المصدر .

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ معناه : إن رُتِبَ الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال ، وأما نفس دخولها ، فهو برحمة الله وتغمدته ، والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء ، وأعمال العباد الصالحة لا توجب

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥) .

على الله التنعيم إيجاباً، لكنه قد جعلها أمانة على من سبق في علمه تنعيمه،
وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال.

﴿مُتَكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

[٢٠] ﴿مُتَكِينٍ﴾ نصب على الحال. قرأ أبو جعفر: (مُتَكِينٍ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(١) ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ صُفَّ بعضها إلى بعض.

﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ قرأناهم، وليس في الجنة تزويج كالدنيا ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء، وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها.
﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين مع جمالها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿٢١﴾.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ) بقطع الألف وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، والباقون: (وَأَتَّبَعَتْهُمْ) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٦).

﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بألف بعد الياء على الجمع، وأبو عمرو وحده يكسر التاء والهاء، ويعقوب وابن عامر يضمّانهما، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد مع ضمّ التاء والهاء^(١).

﴿يَايَمَنَ﴾ المعنى: أن المؤمنين اتبعتهم ذريتهم، وهم أولادهم الصغار والكبار بسبب إيمانهم، فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم، وصغارهم بأن أتبعوا في الإسلام آبائهم بسبب إيمانهم؛ لأن الولد يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه، وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام، فقال أحمد: يحكم بإسلامه، وهو من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، واختلفوا في إسلام الصبي المميز وردّته، فقال الثلاثة: يصحان منه، وقال الشافعي: لا يصحان.

﴿أَلَحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم؛ تكرمة لآبائهم؛ لتقر بذلك أعينهم. قرأ ابن كثير، والكوفيون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع مع كسر التاء.

﴿وَمَا أَلَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير: بكسر اللام، والباقون: بنصبها^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٨).

﴿مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (مِنْ) الأولى متعلقة بـ(أَلْتَنَاهُمْ)، والثانية زائدة،
 المعنى على القراءتين: ما نقصناهم من عملهم شيئاً.
 ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من خير وشر ﴿رَهِيْنٌ﴾ مرهون، فنفس المرء
 مرهونة بعمله، ومطالبة ومجازاة به.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ﴾ [٢٢].
 ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ زِدْنَاهُمْ في وقت بعد وقت.
 ﴿بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

﴿يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيْمٌ﴾ [٢٣].
 ﴿يَنْزَعُونَ﴾ يتداولون بينهم ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرأً.
 ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيْمٌ﴾ أي: لا يُذهب عقولهم فَيَلْغُوا ويأثموا كشاربي
 خمر الدنيا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (لَا لَغْوَ وَلَا تَأْتِيْمَ) بفتح
 الواو والميم بغير تنوين، والباقون: برفعهما مع التنوين^(١).

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [٢٤].
 ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ مع ذلك للخدمة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)،
 و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦/٢٥٩).

﴿غِلْمَانُ﴾ أَرْقَاءُ ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حَسَنًا وَلَطَافَةٌ .

﴿لَوْلَوْ مَكُونُ﴾ مصون^(١) في الصَّدَفِ . قرأ أبو جعفر: (لَوْلَوْ) بإسكان الواو الأولى ورفع الثانية منونة من غير همز فيهما^(٢)، وأبو بكر عن عاصم، وأبو عمرو: بإبدال الهمز الأول، وبالهمز في الثاني، والباقون: بالهمز فيهما .

قال ﷺ: «أدنى أهل الجنة منزلة مَنْ ينادي الخادم من خدامه، فيجيبه أَلْفُ خَادِمٍ باباه: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ»^(٣) .

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢٥) .

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بعد اجتماعهم ودورانِ الكأس عليهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً؛ تلذذاً واعترافاً بالنعمة عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه .

(١) «مصون» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٩٠-٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٩/٦) .

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٢٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٣١)، من حديث عائشة رضي الله عنها . وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزبيعي (٣/٣٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٦٩) .

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذابه تعالى.

﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ اسم من أسماء جهنم، والسموم: الحار الذي يبلغ مسام الإنسان، وهو النار في هذه الآية.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل البعث ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبد موحدين ﴿إِنَّهُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: بفتح الهمزة، أي: لأنه، وقرأ الباقر: بكسرها على الاستئناف^(١) ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ دُم على تذكير المشركين ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ برحمته

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٠).

وعصمته، و(نِعَمَت) رُسُمت بالتاء، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(١) ﴿يَكَاهِنُ﴾ هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ﴿وَلَا يَجْنُونَ﴾ كما يقولون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرَئِصٌ بِهِ رَبِّبَ اَلْمُنُونِ﴾ ﴿٣٠﴾.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل أيقولون: هو ﴿شَاعِرٌ نَّرَئِصٌ﴾ ننتظر.

﴿بِهِ رَبِّبَ اَلْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ اَلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ ﴿٣١﴾.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ انتظروا هلاكي، وعيدٌ في صيغة أمر.

﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ اَلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ المنتظرين هلاككم، فُعذِّبوا بالسيف يوم

بدر.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٣٢﴾.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ القول المتناقض، وهو

قولهم له ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر، وذلك أن عظماء قريش كانوا

يعرفون^(٢) بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة

الحق من الباطل.

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «يوصفون».

﴿ أَمْ هُمْ ﴾ بل هم ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحدَّ في العناد.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ ﴾ اختلق محمد القرآن .

﴿ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المعنى : لم يمتنعوا عن الإيمان بالقرآن لأنه مختلق ، بل تكبراً .

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] إِنْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا مختلقاً ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ أي : مثل القرآن ونظمه وحسن بيانه ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في قولهم .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي : من غير مقدر .

﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ لأنفسهم ، ولا بد للخلق من خالق ، فهلاًَّ يوحدون خالقهم .

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فلا يعبدون خالقهما ^(١) .

﴿ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بخالقهما .

(١) في «ت» : «خالقهم» .

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ أي: مفاتيح خزائن رحمة ﴿رَيْكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا. قرأ أبو عمرو: (خَزَائِنُ رَبِّكَ) بإدغام النون في الراء^(١).

﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ المسلطون الجبارون. قرأ هشام عن ابن عامر، وقنبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، بخلاف عن الثاني والثالث: (الْمُصَيِّطُونَ) بالسين، وقرأ حمزة: بين الصاد والزاي، بخلاف عن رواية خلاد، وقرأ الباقر: بالصاد الخالصة^(٢).

﴿أَمْ لَهُمْ سُمٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَا تِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُمٌّ﴾ يرتقون به إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ الوحي وكلام الملائكة، فيقولوا ما شاؤوا، فإن كان كذلك.

﴿فَلَيَا تِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ فرضاً على دعواهم ﴿بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ حجة بينة.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتْ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتْ﴾ بزعمكم.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦١/٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«الكشف» لمكي (٢/٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦١-٢٦٢/٦).

﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ فيه تسفيه لهم، وإشعار بأن من هذا رأيه، فلا^(١) يُعَدُّ من العقلاء.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾^(٤٠).

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإنذار ﴿فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ﴾ أي: غرم، وهو ما يلزم أداؤه، فهم بذلك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يُسَلِّمون.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٤١).

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه، ويخبرون الناس به.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾^(٤٢).

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ مكرًا بك؛ ليهلكوك.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المهلكون^(٢) جزاء كيدهم.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يستحق العبادة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من

(١) في «ت»: «لا».

(٢) «المهلكون» زيادة من «ت».

الآلهة، وجميع ما في هذه السورة من ذكر (أم) استفهام غير عاطفة، واستفهم تعالى مع علمه بهم؛ تقييحاً عليهم، وتوبيخاً لهم؛ كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت؟ مع علمه بجهله.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم؛ ليعذبوا به.

﴿يَقُولُوا﴾ عناداً وجهلاً: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بعضه فوق بعض يسقينا.

﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ﴿٤٥﴾.

[٤٥] ﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يعانوا. قرأ أبو جعفر: (يُلَاقُوا) بفتح الياء

وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف^(١).

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك عند النفخة الأولى. قرأ ابن عامر،

وعاصم: (يُصْعَقُونَ) بضم الياء؛ أي: يهلكون، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: يموتون^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٢/٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«الكشف» لمكي (٢/٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٢/٦).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] وتبدل من ﴿يَوْمَهُمْ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من الإغناء في رد العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله .

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي : قبل المعد لهم يوم القيامة ، وهو القتل ببدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك .

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بالإمهال ، ولا يضيق صدرك . قرأ أبو عمرو : (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ) بإدغام الراء في اللام ، وروي عنه الإظهار ، والوجهان صحيحان عنه^(١) .

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحيث نراك ونلحظك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي : قل : سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك .

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُؤْمِ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي : صلِّ له ، يعني : المغرب والعشاء .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٥٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٣/٦) .

﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم؛ أي: تغيب بضوء الصبح. اتفق القراء على كسرة الهمزة في (وَأَدْبَرَ النُّجُومَ)؛ إذ المعنى على المصدر؛ أي: وقت أقول النجوم وذهابها، لا جمع دبر، كما تقدم لبعض القراء في (وَأَدْبَرَ السُّجُودِ) في سورة (ق) [الآية: ٤٠]، والله سبحانه أعلم.

* * *



مكية بإجماع من^(١) المتأولين، وآيها: اثنتان وستون^(٢) آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وخمسة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وستون كلمة، وهي أول سورة أُعلنَ بها رسول الله ﷺ وجهراً بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سجد، وسجد معه المؤمنون والمشركون، والجن والإنس غير أبي لهب؛ فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا. وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا: إن محمداً ﷺ يتقول القرآن، ويخلق أقواله، فنزلت الآية في ذلك.

وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب مالك، وتقدم التنبيه عليه في أول الشورى عند ذكر القول الآخر، وقد ذكر اختلاف الأئمة في المفصل في أول التفسير، ثم ذكر كل مذهب في محله، وهو عند أول الشورى، والحجرات، وق، وهذا المحل، والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

(١) «من» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ستون وآيتان».

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ يعني: الثريا، والعرب لا تقول النجم مطلقاً إلا للثريا.
﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ سقط عند غروبه، وقيل: المراد: الجملة من القرآن إذا
تنزلت، وذلك أنه روي أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ نجوماً؛ أي:
أقذاراً مقدرة في أوقات ما، ويجيء (هَوَى) على هذا التأويل بمعنى: نزل.
قال ابن عطية: وفي هذا المعنى بُعد وتحامل على اللغة، ونظير هذه
الآية قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف
في هذه كـالخلاف في تلك^(١)، وهو قسم بالنجم وقت هويّه، أو بالقرآن
وقت نزوله.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ عن طريق
الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو نقيض الرشد. قرأ أبو عمرو،
وورش عن نافع: بإمالة رؤوس أي هذه السورة؛ بخلاف عنهما، وافقهما
على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف^(٢).

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

[٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا يتكلم بالباطل عن هوى نفسه.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٩٥/٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٧/٤ وما بعدها).

﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى﴾ .

[٤] ﴿إِنَّهُوَ﴾ أي : نطقه ﷺ بالقرآن وما يأتيه من السماء ﴿إِلَّا وَحْيُ يُوحَى﴾ إليه ، لم يقله من تلقاء نفسه .

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ .

[٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ هو جبريل عليه السلام ، والقوى : جمع القوة .

﴿ذُومِرَ قَاسَتَوَى﴾ .

[٦] ﴿ذُومِرَ﴾ قوة شديدة في خلقه ﴿قَاسَتَوَى﴾ فاستقر جبريل .

﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ .

[٧] ﴿وَهُوَ﴾ يعني : محمداً ، المعنى : استوى جبريل ومحمداً ليلة المعراج .

﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ عند مطلع الشمس .

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّ﴾ .

[٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قَرُبَ جبريل من محمد ﴿فَدَلَّ﴾ زَادَ فِي الْقُرْبِ ، والأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل - عليه السلام - ، ومحمد ﷺ ، أو مختص بأحدهما من الآخر ، أو من سدره المنتهى .

وقال ابن عباس : «هو محمدٌ دنا وتدلّى من ربه» .

وحكي عن ابن عباس أيضاً: «هو الربُّ دنا من محمد، فتدلّى إليه؛
أي: أمره وحكمه»^(١) .

قال القاضي أبو الفضل - رضي الله عنه - في كتاب «الشفاء»: فاعلم أن
ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان
ولا قرب حدّاً، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق: «فليس بدنو حدّ، وإنما
دنوُّ النبي من ربه وقربُه منه إبانةٌ عظيم منزلة، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار
معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس،
وبسط وإكرام»^(٢) .

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/١٩٧)، و «تفسير البغوي»
(٤/٢٥١).

(٢) انظر: «الشفاء» للقاضي عياض (١/٢٠٤)، وقول ابن عباس السالف منه. وقال
القاضي في نهاية هذا الكلام: ويتأول فيه ما يتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء
الدنيا». وذكر الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/٦٥) ما يؤيد قول ابن
عباس الأخير بما روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دنا
الجبّار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. اهـ وهذا القول
متأوّل على ما ذكر القاضي عياض. ومن المعلوم أن أكثر العلماء على أن هذا
الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم، أو مختص
بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى. كما ذكر النووي رحمه الله في «شرح
مسلم» (٣/٤).

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ .

[٩] ﴿فَكَانَ قَابَ﴾ قدر ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ بل أقرب، فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، واتضح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب قرباً بالإجابة والقبول، وإتياناً بالإحسان وتعجيل المأمول، وإنما ذكر (القَوْسَيْنِ)؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، ويقال: قاب قوسين؛ يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً؛ لأنه يقاس به الأشياء.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ .

[١٠] ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ ﷺ ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ في قوله تعالى: (مَا أَوْحَىٰ) إيهام على جهة التفخيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرض الصلاة.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ .

[١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر: (كَذَّبَ) بتشديد الدال؛ يعني: ما كذب قلب محمد ﷺ.

﴿مَا رَأَىٰ﴾ بعينه، وقرأ الباقون: بتخفيفها^(١)؛ أي: ما ارتاب القلب،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٧).

وقرأ ورش عن نافع: (الْفَوَاضِلُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، تلخيصه: لم يوهم القلب العين غير الحقيقة، بل صدق رؤيتها.

واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة، وخالفها ابن عباس وجمع، وتقدم الكلام في ذلك مستوفى في أول سورة الإسراء في قصة المعراج.

﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ (١١).

[١٢] ﴿ أَفْتَمَرُونَهُ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (أَفْتَمَرُونَهُ) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف؛ أي: أتجحدونه، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها؛ أي: أتجادلونه^(١) ﴿ عَلَى مَا يَرَى ﴾ لأن المشركين أنكروا إسراءه ﷺ، ومشاهدته جبريل عليه السلام.

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (١٣).

[١٣] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ أي: رأى محمد جبريل على صورته حقيقة، وعلى قول ابن عباس ومن وافقه: رأى ربه. قرأ ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَأَاهُ) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، =

﴿ نَزَلَتْ ﴾ مرة ﴿ أُخْرَى ﴾ لأنه ﷺ عرج إلى السماء مرات بسبب الصلوات، فكان لكل عرجة نزلة.

﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ [١٤].

[١٤] وكانت الرؤيا ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة ولا غيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلا هو تعالى، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عنده، وهي الجنة التي يأوي إليها الملائكة.

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿ إِذْ يَغْشَى ﴾ يَغْطِي ﴿ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ العامل في (إِذْ) (رَأَى)، والمعنى: رآه في هذه الحال، و﴿ مَا يَغْشَى ﴾ معناه: من قدرة الله وأنواع الصفات التي يخترعها لها، وذلك مبهم على جهة التفخيم والتعظيم.

قال ﷺ: «رَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ اللَّهَ»^(١).

= و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧ و ١٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٥١٩) عن عبد الرحمن بن زيد، مرسلًا. =

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، أضاف الأمر للبصر.

﴿ وَمَا طَغَى ﴾ أي: ما جاوز ما رأى.

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ ﴾ التي يمكن أن يراها البشر الآية ﴿ الْكُبْرَى ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (مَا رَأَى) (لَقَدْ رَأَى) بإمالة الراء والهمزة، واختلف عن هشام وأبي بكر، وأمال أبو عمرو الهمزة فقط.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ وَالْعُرَى ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤية العين، لما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته، قال على جهة التوقيف: أرايتم هذه الأوثان وحقارتها، وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية ﴿ أَكَلَتْ ﴾ صنم ثقيف بالطائف. قرأ رويس عن يعقوب: بتشديد التاء، ويمد الساكنين، وقرأ الباكون: بتخفيفها، والكسائي يقف عليها بالهاء^(١).

= وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٤٣/٩)، و«تفسير البغوي» (٢٤٨/٤)، و«تفسير القرطبي» (٩٦/١٧).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٣٢/٢ و ٣٧٩)، و«معجم =

﴿وَالْعَزَى﴾ سَمُرَةٌ كَانَتْ غُطْفَانِ تَعْبُدُهَا، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَطَعَهَا، وَاجْتَثَّ أَصْلَهَا، فَخَرَجَتْ مِنْ أَصْلِهَا شَيْطَانَةٌ، فَقَتَلَهَا.

﴿وَمَنْوَةُ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى﴾.

[٢٠] ﴿وَمَنْوَةٌ﴾ اسم علم^(١) لصنم هُذَيْلٍ وَخُزَاعَةٍ، وَأَلْفَهَا مُنْقَلِبَةٌ عَنْ يَاءٍ؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَنَى يَمْنَى. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (مَنْوَةٌ) بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ، فِيمَدَ لِلاتِّصَالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا لِجَمِيعِ الْقِرَاءِ بِأَلِفِهَا اتِّبَاعاً لِلرَّسْمِ^(٢) ﴿الثَّالِثَةُ﴾ نَعْتُ لـ (مَنَاة)؛ لِأَنَّهَا ثَالِثَةُ الصَّنَمِينَ.

﴿الْأُخْرَى﴾ نَعْتُ ذِمٍّ، نَحْوُ: ﴿وَقَالَتْ أَخْرَجْنَهُنَّ لِأُولَهُنَّ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أَيُّ: ضَعُفَاؤُهُمْ لِرُؤُسَائِهِمْ؛ أَيُّ: مَنَاةُ الْحَقِيرَةِ، وَقِيلَ: اللَّاتُ وَالْعَزَى وَمَنَاةُ كَانَتَا أَصْنَاماً مِنْ حِجَارَةٍ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ يَعْبُدُونَهَا، وَاسْتَقْوَا لَهَا أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالُوا: مِنَ اللَّهِ: اللَّاتُ، وَمِنْ الْعَزِيزِ: الْعَزَى، وَمِنْ الْمَنَاةِ: مَنَاةُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَخْبَرُونَا أَلِهَازِ الْمَعْبُودَةِ قُدْرَةَ عَلَى شَيْءٍ مَا فَتَعْبُدُونَهَا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى؟! وَتَقْدِمُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

= القراءات القرآنية (١٢/٧). وذكرها البغوي في «تفسيره» (٢٥٦/٤)، من قراءة ابن عباس وأبي صالح.

(١) «علم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢٥٧/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٧).

﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ (٢١).

[٢١] ولما قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، مع كراهتهم البنات، نزل إنكاراً عليهم: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ المعنى: إذا كرهتم البنات، فكيف تجعلون لكم البنين، وله تعالى البنات؟!

﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ جائزة؛ حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قرأ ابن كثير: (ضِيزَى) بالهمز؛ من ضأزه يضأزه ضأزاً، وقرأ الباقون: بغير همز^(١)؛ من ضأزه يضيئه ضيراً.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ لا حقيقة تحتها من نفع أو ضرر ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ آلهة تخروصاً.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بتلك الأسماء ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة على تسميتهم، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة، فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في قولهم: إنها آلهة ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ الخبيثة مما زين لهم الشيطان.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ على لسان الرسل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٤).

﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ ﴾ (أَمْ) منقطعة ، والهمزة فيها للإنكار ، المعنى : ليس للكافر .

﴿ مَا تَمَنَّى ﴾ من شفاعة الأصنام .

﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ يحكم فيهما بما يريد ، فالأمر كله لله .

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا ﴾ إن شفَعوا لا يشفعون .

﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يشفع له ﴿ وَيَرْضَى ﴾ عنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴾ لأنهم قالوا : الملائكة بنات الله .

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك القول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فإنه ^(١) لا اعتبار له في المعارف الحقيقية .

﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿فَاعْرِضْ عَنْ﴾ إبلاغ ﴿مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ عن العمل بالقرآن .
﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لا يتجاوزه علمهم .
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي: هو أعلم بالفريقين ، فيجازيهم .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَبِحِزْيِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهذا معترض بين الآية الأولى ،

(١) في «ت»: «فإن» .

وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك، فاللام في (لِيَجْزِيَ) متعلق بمعنى الآية: إذا كان أعلم بهم، جازى كلاً بما يستحقه.

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وَحَدُوا رَبَّهُمْ ﴿بِالْحُسْنَى﴾ بِالْجَنَّةِ.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢).

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ الشرك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِير) بكسر الباء من غير ألف ولا همز على التوحيد، والباقون: بفتح الباء وألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع^(١).

﴿وَالْفَوَاحِشِ﴾ ما فُحِشَ من الذنوب ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع، واللمم: ما صغر من الذنوب؛ كالغمزة والنظرة واللمسة والقبلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن فعل ذلك وتاب.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من تراب.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ﴾ جمع جنين، سمي جنيناً؛ لاجتنانه؛ أي^(٢): استتاره في البطن.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٧).

(٢) «لاجتناؤه؛ أي» زيادة من «ت».

﴿ فِي بُطُونٍ أَمْهَـتِـكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (إِمْهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم،
 وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ
 الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك^(١).
 ﴿ فَلَا تُرْكُواْ أَنفُسَكُمْ ﴾ تُنَوُّوا عليها ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ وأخلص العمل.

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾.

[٣٣] كان الوليد بن المغيرة المخزومي قد سمع قراءة النبي ﷺ،
 وجلس إليه، ووعظه رسول الله ﷺ، ففزع إلى الإسلام، وطمع النبي ﷺ
 فيه، ثم إنه عاتبه رجل من المشركين، وقال له: أترك ملة آبائك؟ ارجع إلى
 دينك، اثبت عليه، وأنا أتحمّل لك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على
 أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عما همّ به
 من الإسلام، وضل ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل،
 ثم أمسك عنه وشحّ، فنزل: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾^(٢) عن الإيمان.

﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾.

[٣٤] ﴿ وَأَعْطَى ﴾ صاحبه ﴿ قَلِيلًا ﴾ من ماله ﴿ وَأَكْدَى ﴾ قطع عطيته بخلاً،
 وأصله من الكذبة: أرضٌ صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر من النفوذ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (٣٧٩/١)، و«معجم
 القراءات القرآنية» (١٧-١٦/٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٤١/٢٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢٦٢/٤)،
 والقرطبي في «تفسيره» (١١١/١٧) عن ابن زيد ومقاتل.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ أعلم من الغيب أن من تحمل ذنوب أحد، فإن المتحمل عنه ينتفع بذلك ﴿فَهُوَ﴾ لهذا الذي علمه ﴿يَرَى﴾ الحق، وله فيه بصيرة؟!

﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿أَمْ﴾ هو جاهل ﴿لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ يعني: أسفار التوراة. قرأ أبو جعفر: (يُبَيِّنًا) بإبدال الهمز، والباقون: بالهمز^(١)^(٢).

﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (أَبْرَاهَامَ) بالألف، والباقون: بالياء^(٣) ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ أي: تمم ما أمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.

عن أبي ذر الغفاري^(٤) - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! كم من كتاب أنزل الله - عز وجل -؟ قال: «مئة كتاب، وأربعة كتب،

(١) «الباقون: بالهمز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/ ٧).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/ ٧).

(٤) «الغفاري» زيادة من «ت».

أنزل الله^(١) على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل الله^(٢) التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً: أيها الملك المبتلى المغرور! إني لم أبعثك فتجمع الدنيا بعضُها إلى بعض، ولكن بعثتك، تردُّ دعوة المظلوم، فإني لا أردّها، وإن كانت من كافر، وكان فيها أمثال منها: على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

ويأتي ما نقل من صحف موسى آخر سورة (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى).

﴿الْأَنْزُرُ وَزِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾^(٣٨).

[٣٨] ثم بين تعالى ما في صحفهما، فقال: ﴿الْأَنْزُرُ وَزِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحمل حاملة حمل غيرها بأن تؤخذ بإثمها، وفي هذا إبطال قول من قال للوليد بن المغيرة: إنه يحمل عنه الإثم.

(١) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

(٢) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩).

[٣٩] وتعطف على ﴿ أَلَّا نَزِرُ ﴾ ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ عمل ونوى، أي: كما لا يؤخذ أحد بذنب غيره، لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت، فلكون النواوي له كالنائب عنه. واختلف الأئمة فيما يُفعل من القرب؛ كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة^(١)، ويُهدى ثوابه للميت المسلم، فقال أبو حنيفة وأحمد: يصل ذلك إليه، ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته، وقال الشافعي ومالك: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية، وفي الحج، وأما في غير ذلك من الطاعات؛ كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره، لا يجوز، ويكون ثوابه لفاعله، وعند المعتزلة: ليس للإنسان جعلُ ثواب عمله في شيء من الأعمال لغيره، ولا يصل، ولا ينفعه.

واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج، فقال أبو حنيفة ومالك^(٢): يسقط عنه الحج بالموت، ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك، وقال الشافعي وأحمد: لا يسقط عنه، ويلزم الحج عنه من رأس ماله.

واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه، هل يصح أن يحج عن غيره؟ فقال أبو حنيفة ومالك: يصح، ويجزىء عن الغير مع الكراهة، وقال الشافعي وأحمد: لا يصح، فلو فعل، وقع عن نفسه.

وأما الصلاة، فهي عبادة بدنية، لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق، وعند أبي حنيفة: إذا مات وعليه صلوات، يعطى لكل صلاة

(١) «والصدقة» زيادة من «ت».

(٢) «ومالك» زيادة من «ت».

نصف صاع بر، أو صاع من تمر، أو شعير، أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين، وليس للمدفع إليه عدد مخصوص، فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات، ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين، ثم لا بد من الإيصاء بذلك، فلو تبرع الورثة بذلك، جاز من غير لزوم، وهو من مفردات مذهبه، وهو^(١) خلاف^(٢) للثلاثة.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ في ميزانه يوم القيامة.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾.

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ أي: يُجْزَى^(٣) العبدُ سعيه ﴿الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾ الأكمل، والقراءة بفتح (أَنَّ) على أن^(٤) هذا كله في صحف موسى.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أي: الانتهاء، وهو رجوع الخلائق إليه تعالى بعد الموت، فيجازيهم.

(١) «وهو» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «خلافاً».

(٣) «أي يجزى» زيادة من «ت».

(٤) «على أن» زيادة من «ت».

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ذكر الضحك والبكاء؛ لأنهما صفتان تجمعان أوصافاً كثيرة من الناس؛ إذ الواحدة دليل السرور، والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فبه تعالى بهاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده.

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا.
﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث، فلا يقدر على الإماتة والإحياء غيره.

﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ من كل حيوان.

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ تراق في الرحم.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾ الخلقة ﴿الْآخِرَى﴾ للبعث بعد الموت. وتقدم اختلاف القراء في (النَّشْأَةَ) في سورة العنكبوت.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس بالكفاية والأموال.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ (٤٩).

[٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء، وهما

شعريان، يقال لأحدهما: العبور، وهي اليمانية، وللأخرى: الغميصاء، والمراد هنا: العبور، وهي أشد ضياء، عبدها أبو كبشة من خزاعة، وخالف قريشاً في عبادة الأوثان، فلذلك كانوا يسمون النبي ﷺ: ابن أبي كبشة؛ لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعري. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنَّهُ هُوَ) بإدغام الهاء في الألف الأربعة؛ بخلاف عن رويس^(١).

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ (٥٠).

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو،

ويعقوب: (عاد الأولى) بإدغام التنوين في اللام وتشديدها مضمومة بلا همز بعدها، على أنهم لم يحركوا التنوين؛ لالتقاء الساكنين، بل أدغموه في لام التعريف بعد أن حركوا اللام بحركة الهمزة التي هي فاء الفعل حتى ساغ

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي

(ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠).

الإدغام فيه، وقرأ الباقون وهم: ابن كثير، والكوفيون، وابن عامر: بكسر التنوين؛ لاجتماع الساكنين، وإسكان اللام، وتحقيق الهمزة بعدها^(١)، وهذا حكم الوصل، وأما حكم الابتداء، فيجوز في مذهب أبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وأبي جعفر إذا لم يهمزوا الواو ثلاثة أوجه: (الأولى) بإثبات همزة الوصل وضم اللام بعدها، الثاني: (لُؤْلَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل قبلها اكتفاء عنها بتلك الحركة، الثالث: (الأُولَى) ترد الكلمة إلى أصلها، فتأتي بهمزة الوصل وإسكان اللام وتحقيق الهمزة المضمومة بعدها، وعن قالون في الابتداء بها في وجه همز الواو [ثلاثة أوجه: الأول: (لُؤْلَى) بهمزة الوصل وضم اللام وهمزة ساكنة على الواو]^(٢)، والثاني: (لُؤْلَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل وهمز الواو، الثالث: (الأُولَى) كوجه أبي عمرو الثالث، وعن أبي جعفر في هذه الأوجه الثلاثة خلاف، وكلهم يقف على (عاداً) بالالف؛ لأنها بدل من التنوين؛ لأنه اسم رجل، وعاد الأولى هم قوم هود، أهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، فكانوا عاداً الأولى.

﴿وَتَمُودًا مِمَّا بَقِيَ﴾

[٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ هم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة. قرأ عاصم،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤١٠-٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢٢-٢١).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

وحمزة، ويعقوب: بغير تنوين: اسم للقبيلة، وقرأ الباقر: بالتنوين^(١): اسم للأب، منصوب بأهلكنا مقدرة، وكل من نَوَّنَ وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوصة ﴿فَمَا أَتَى﴾ منهم أحداً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أهلكناهم أيضاً ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ لطول دعوة نوح إياهم، وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى﴾^(٥٣).

[٥٣] ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾ قرى قوم لوط. قرأ أبو جعفر: (وَالْمُؤَنَفَكَةَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقر: بالهمز، واختلف عن قالون^(٢). ﴿أَهْوَى﴾ أسقط؛ لأن جبريل - عليه السلام - رفعها إلى السماء، ثم أسقطها مقلوبة إلى الأرض.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٧).

﴿فَغَشَّيْنَاهَا مَا غَشَّى﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿فَغَشَّيْنَاهَا﴾ ألبسها الله ﴿مَا غَشَّى﴾ ولم يذكر المغشى؛ تهويلاً لشأنه .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾ أي: أنعمه الدالة على الوجدانية أيها الإنسان ﴿نَتَمَارَى﴾ تتشكك، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: غيره. قرأ يعقوب: (رَبِّكَ تَمَارَى) بقاء واحدة مشددة حيث قرأها بالوصل، وأما إذا ابتداء بقوله (تَتَمَارَى)، أظهر التاءين جميعاً؛ لموافقة الرسم والأصل، وبذلك قرأ الباقر^(١)؛ فإن الإدغام إنما يتأتى في الوصل، وهذا بخلاف الابتداء بقاءات البزي في البقرة؛ فإنها مرسومة بقاء واحدة، فكان الابتداء كذلك موافقة للرسم، فلفظ الجميع في الوصل واحد، والابتداء مختلف؛ لما ذكر.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مِّنَ النُّذُرِ﴾ أي: الرسل .
﴿الْأُولَى﴾ يعني: من جنسهم أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢٤).

﴿ أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ ﴾^(٥٧) .

[٥٧] ﴿ أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ ﴾ قربت القيامة .

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾^(٥٨) .

[٥٨] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي : كاشف مزيل لها إذا جاءت ،
والهاء للمبالغة .

﴿ أَفَئِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ﴾^(٥٩) .

[٥٩] ﴿ أَفَئِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ ﴾ أي : القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ تكذيباً . قرأ أبو عمرو :
(الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ) بإدغام التاء في التاء^(١) .

﴿ وَتَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾^(٦٠) .

[٦٠] ﴿ وَتَضَحَكُونَ ﴾ استهزاء ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ مما فيه من الوعيد .

﴿ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾^(٦١) .

[٦١] ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾ لاهون .

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤ / ٦) .

﴿ فَاسْجُدْ لِلَّهِ وَاعْبُدْهُ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ فَاسْجُدْ لِلَّهِ ﴾ سجود التلاوة، أو صلوا المفروضات ﴿ وَاعْبُدُوا ﴾ وُحِّدُوا، وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وهو قول عمر بن الخطاب؛ لأنه صح عن رسول الله ﷺ أنه سجد بالنجم، وليس يراها مالك - رحمه الله -؛ لما روي عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - : «أنه قرأ على النبي ﷺ: ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ، فلم يسجد فيها»^(١) ، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة هل هو واجب أو مسنون عند سجدة مريم، والله سبحانه أعلم.

* * *

•

(١) رواه البخاري (١٠٢٢)، كتاب: أبواب سجود القرآن، باب: من قرأ السجدة ولم يسجد، ومسلم (٥٧٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة.



مكية، وقال بعضهم: إلا قوله: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ الآية، وآيها: خمس وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وثلاثة وعشرون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة واثنان وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

[١] ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ دَنَتِ الْقِيَامَةُ ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

[٢] روي أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقيتين حتى رأوا حِراءَ بينهما^(١)، ورئي فرقتين: فرقة على قُعَيْقَعَانَ، وفرقة على أَبِي قُبَيْسٍ^(٢)، فقالت قريش: سحرهم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّارَ،

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: انشقاق القمر، ومسلم

(٢٨٠٢)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، من حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية»، كما في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) وذكره القرطبي في =

فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناها^(١)، فنزلت الآية:

﴿وَإِنْ يَرَوْا ﴿ءَايَةً﴾ قَرِيشَ ﴿ءَايَةً﴾ دَالَّةً عَلَىٰ مَعْجَزَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛
كانشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن الإيمان بها.

﴿وَيَقُولُوا﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ﴾ أي: ذاهب، سوف يبطل؛ من قولهم:
مر: إذا ذهب، وقيل: معناه: دائم متماّد، ومعنى تسمية ما جاءت به
الأنبياء معجزة: هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بها.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو في
النار. قرأ أبو جعفر: (مُسْتَقَرٌّ) بخفض الراء نعتاً لـ (أَمْرٍ)؛ أي: اقتربت
الساعة، واقترب كل أمر مستقرّ يستقرّ ويتبين حاله، وقرأ الباقر: برفعها
على المعنى الأول^(٣).

- = «تفسيره» (١٧/١٢٧) عن ابن عباس . وقيعان وأبو قيس هما جبلا مكة .
- (١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/٨٥)، ومن طريقه: الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٦٢). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢٦٦)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٥٥).
- (٢) «في» زيادة من «ت» .
- (٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢٩).

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾.

[٤] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ في القرآن ﴿ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴾ المتقدمة عن الأمم الماضية.

﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ مُتَّعِظٌ، زجرته وازدجرتَه: نهيته.

﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾.

[٥] ﴿ حِكْمَةٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا حكمة.

﴿ بَلِغَةٌ ﴾ تامة قد بلغت الغاية.

﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ نفي واستفهام توبيخ. وقف يعقوب (تُغْنِي) بإثبات الياء، والنذر: جمع نذير^(١).

﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴾.

[٦] ﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: لا تذهب نفسك عليهم حسرات، وتم القول في قوله: (عَنْهُمْ)، ثم ابتداء وعيدهم فقال:

﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ هو إسرافيل عليه السلام، ونصب (يَوْمَ) بـ: اذكر مقدرة. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (الدَّاعِي) بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب والبزي: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْثِرُ﴾ فطبيع، تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهّد مثله. قرأ ابن كثير: (نُكِرَ) بإسكان الكاف، والباقون: بضمها^(١).

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.

[٧] ﴿خُشَعًا﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (خَاشِعًا) بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين بعدها مخففة على الواحد، وقرأ الباقر: (خُشَعًا) بضم الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف^(٢)، جمع خاشع، حال العامل فيها (يَدْعُو)، وصاحب الحال ضميرٌ محذوف تقديره: يدعوه الداعي، ولم يؤنث خاشع؛ لأن تأنيثه غير حقيقي.

﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وخص الأبصار بالخشوع؛ لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ لكثرتهم وما بهم من الخوف والحيرة.

﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ مُنْبَثٌّ لا يدرون أين يذهبون.

= (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧-٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص:

٢٠٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٧/ ٣٠-٣١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ حال من (يَخْرُجُونَ)؛ أي: مسرعين مادي أعناقهم.

﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ إلى صوت إسماعيل. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الدَّاعِي) بإثبات الياء، وابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(١).

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب شديد.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً؛ أي: كذبوه تكذيباً بعد تكذيب، فكان كلما ذهب قرن مكذب، تبعه قرن مكذب.

﴿وَقَالُوا﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ انتهر وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿فَدَعَا﴾ نوح ﴿رَبَّهُ﴾ منتصراً عليهم ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ لي منهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٢/٧).

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ فَفَتَحْنَا ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم:

بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها^(١) ﴿ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ كثير سريع الانصباب، لم ينقطع أربعين يوماً.

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ أي: جعلنا ﴿ الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ كلها تنبع. قرأ ابن كثير،

وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عُيُونًا) بكسر العين، والباقون: بضمها^(٢) ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أي: ماء الأرض وماء السماء، فصارا ماء واحداً.

﴿ عَلَى أَمْرٍ ﴾ أي: حال ﴿ قَدْ قُدِرَ ﴾ مضى عليهم، وهو الغرق.

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ أي: نوحاً ﴿ عَلَى ﴾ سفينة ﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ﴾ هي خشباتها

العِراض.

﴿ وَدُسُرٍ ﴾ جمع دِसार؛ أي: المسامير التي تشد بها الألواح.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣/ ٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٣٣/ ٧).

﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۝١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي : بحفظنا وحمايتنا ﴿ جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ يعني : فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمن جُحِدَ أمره، وهو نوح ﷺ .

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۝١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا ﴾ أي : أبقينا السفينة بباقردي من بلد الجزيرة حتى أبصرها أوائل هذه الأمة ، أو أبقينا الفعلة بقوم نوح .
﴿ آيَةً ﴾ يُعتبر بها ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ معتبرٍ خائفٍ مثل عقوبتهم .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۝١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ استفهام تعظيم ، ووعيد لقريش ، والنذر هنا جمع نذير ، المعنى : كيف كان عاقبة إنذاري لمن لم يحصل به كأنتم أيها القوم . قرأ ورش عن نافع : (وَنُذْرِي) في الأحرف الستة بإثبات الياء وصلأً ، ويعقوب : بإثباتها وصلأً ووقفأً ، والباقون : بحذفها في الحاليين^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٨٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥-٣٤/ ٧) .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ سهّلناه للتلاوة والحفظ عن ظهر قلب .

﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ استدعاء وحض على ذكره وحفظه ؛ لتكون زواجه وعلومه وهدايته حاضرة في النفس ، وقيل : معناه : هل من طالب علم ، فيعان عليه .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهي قبيلة ، وتقدم قصصها .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ شديدة الهبوب .

﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ﴾ شؤم ﴿ مُسْتَمِرٌّ ﴾ صفته ؛ أي : دائم الشؤم .

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ تقلعهم عن أماكنهم ؛ لأنهم كانوا يدخلون

الشعاب ، ويحفرون الحفر يندسون فيها ، فكانت الريح تقلعهم ، وتصرعهم على رؤوسهم ، فتدق رقابهم ، فيبين الرأس عن الجسد .

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ ﴾ أصول ﴿ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ منقلع ، وشبهوا بالنخل ؛ لطولهم ،

وذكر منقعر حملاً على لفظ (نخل)، ولو حمل على المعنى، لأنث؛ ك ﴿أَعْبَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٢١).

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ كرهه للتحويل.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ تقدم تفسيره.

﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذْرِ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذْرِ﴾ بالإنذار الذي جاءهم به صالح عليه السلام.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَتْ ثُمُودُ) بإدغام التاء في الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا﴾ وانتصابه بفعل يفسره.

﴿نَتَّبِعُهُ﴾ ونحن جماعة كثيرة، فكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس

بملك؟

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي

(ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٥).

﴿ إِنَّا إِذْ أَلَفْنَا ضَلِيلَ ﴿ خَطَا ﴾ وَسُغُرِ ﴿ جنون إن اتبعناه .

﴿ أَلْفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿ ٢٥ ﴾ .

[٢٥] ﴿ أَلْفَى الذِّكْرُ ﴿ الوحي ﴿ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴿ ونحن أحقُّ به منه .

واختلاف القراء في الهمزتين من (أَلْفَى) كاختلافهم فيهما من (أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) في سورة ص [الآية : ٨] ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ ﴿ في قوله ، ﴿ أَشِرُّ ﴿ متكبر بَطَر .

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿ ٢٦ ﴾ .

[٢٦] ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴿ قرأ ابن عامر ، وحمة : (سَيَعْلَمُونَ) بالخطاب على

معنى : قل يا صالح لهم ، وقرأ الباقر : بالغيب ؛ أي : يقول الله : سيعلمون^(١) .

﴿ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿ وقوله : (غَدًا) تقريب يريد به الزمان

المستقبل ، لا يوماً بعينه^(٢) .

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿ ٢٧ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ ﴿ مخرجوها ، وذلك أنهم تعنتوا على صالح ،

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«تفسير البغوي» (٤/٢٧٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧-٣٦/٧) .

(٢) من قوله : «لهم عقب . . .» (ص : ٤٥٢) إلى هنا سقط من «ش» .

فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله لهم: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾.

﴿فِنَّةَ لَهُمْ﴾ اختباراً لهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظر هلاكهم ﴿وَأَصْطَرِ﴾ على أذاهم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْضَرٌ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة، فيومٌ لهم ويومٌ لها.

﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُحْضَرٌ﴾ يحضره من كان نوبته، هم أو الناقة.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

[٢٩] فهموا بقتلها ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف.

﴿فَتَعَاطَى﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة؛ أي: قتلها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ﴾ (٣١).

[٣١] ثم بين عذابهم فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ هي صيحة

جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ﴾ هو الرجل يجعل لغنمه

حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم، فهو هشيم، وقيل: هو ييس الشجر إذا تحطم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ﴿٣٢﴾ .

﴿ ٣٢ ﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

﴿ ٣٣ ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

﴿ ٣٤ ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴿ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى .

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ ﴾ يعني: لوطاً وابنتيه، والاستثناء منقطع .

﴿ نَجَّيْنَاهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ وهو السدس الآخر من الليل .

﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ نِعْمَةٌ ﴾ أي: جعلناه نعمة عليهم ﴿ مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ حيث أنجيناهم .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ كما أنعمنا على آل لوط ﴿ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ أَنْعَمْنَا، وهو

مؤمن .

﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ ﴾ لوط ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب .

﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ شكوا في الإنذار .

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ . فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ﴾ ليخبثوا بهم ، فصدهم وأغلق بابه ،

فعالجوا فتحه ، فقالت الملائكة : خلّ بيننا وبينهم ، ففتحته ، فصفقهم جبريل بجناحه .

﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ مسحناها ، فصاروا عمياً لا يبصرون ، فثمّ قالت

الملائكة إخباراً عنه تعالى : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي : وما أنذركم به لوط .

﴿ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ (٣٨) .

[٣٨] ﴿ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً ﴾ نصب على الظرف ، وصرفت ؛ لتكثيرها ؛

أي : حل بهم وقت الصبح ﴿ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ دائم متصل .

﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ كرر ذلك في كل قصة؛

لأن التخويف والوعظ متى كررا، كانا أوقع في القلوب، وأردع للنفوس .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ هما موسى وهارون . واختلاف القراء

في الهمزتين من (جاء آل) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥] .

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْنَدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ كَذَّبُوا ﴾ أي: كذب فرعون وقومه ﴿ بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعني: الآيات

التسع، وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وحل عقدة من لسانه، وانفلاق البحر .

﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ ﴾ غالب في انتقامه ﴿ مُقْنَدٍ ﴾ قادر على

إهلاكهم .

﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ أَكْفَارُكُمْ ﴾ يا قريش ﴿ خَيْرٌ ﴾ أشد وأعظم ﴿ مِنْ أُولَئِكُمْ ﴾

المذكورين من قوم نوح إلى فرعون؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار .

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي: الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ جهلاً منهم ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ أي: ممتنع لا نضام، ووحيد منتصر؛ لأنه وصف للفظ (جميع).

﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾.

[٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾^(١) قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (سَنَهْزِمُ) بالنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب (الجمع) مفعولاً، وقرأ الباقر: بالياء^(٢) ورفعها (الجمع) رفع على غير تسمية الفاعل، المعنى: ينصر تعالى رسوله، ويهزم جمع المشركين.

﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، فهزموا ببدر.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٩/٢٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٧٠/٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢٧٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/٧).

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالتعذيب ﴿وَالسَّاعَةِ﴾ أي: عذابها .

﴿أَذَى﴾ أعظم داهية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشدُّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر .

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين .

﴿فِي ضَلَالٍ﴾ في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نيران في العقبى .

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] وسعر مطروف ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم :

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: حر النار؛ فإن مسها سبب للتألم بها، وسقر:

علم لجهنم، ولذلك لم يصرف .

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب لفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: بتقدير

سابق .

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ بشيء نريد تكوينه .

﴿ إِلَّا وَحِدَةً ﴾ أي: كلمة واحدة ﴿ كَلِمَةٍ ﴾ كنظر سريع ﴿ يَابَصَرَ ﴾
بالعين.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ﴿٥١﴾
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم^(١).
﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ متعظ فيخاف.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ﴿٥٢﴾
﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ ﴾ مبتدأ، نعته ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ أي: العباد، مكتوب خبره.
﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ في كتب الحفظ.

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴾ ﴿٥٣﴾
﴿ ٥٣ ﴾ ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الخلق وأعمالهم وأجالهم.
﴿ مُسْتَطَرٌّ ﴾ مكتوب محفوظ.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ﴿٥٤﴾
﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ﴾ بساتين ﴿ وَنَهَرٍ ﴾ أي: أنهار، وتوحيده
على أنه اسم الجنس، وهي أنهار الماء واللبن والعسل والخمر في الجنة.

(١) «ممن قبلكم» زيادة من «ت».

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ ﴿٥٥﴾

[٥٥] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ مكان مرضي مُقَرَّبِينَ . قرأ أبو عمرو: (مَقْعَدِ صِدْقٍ) بإدغام الدال في الصاد^(١) .

﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ عزيز الملك ﴿مُقْنَدٍ﴾ قادر^(٢) لا يعجزه شيء ، وهذا إشارة إلى الرتبة والقربى ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٦١)، و«لقرءات الشاذة» لابن خالويه (ص:

١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٢/٧).

(٢) «قادر» زيادة من «ت» .



مكية على الأصح، نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠]، وفي السيرة: أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش، فضربوه، وذلك قبل الهجرة^(١)، وآيها: ثمان وسبعون آية^(٢)، وحروفها: ألف وست مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وإحدى وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ ①.

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مبالغة الرحمة، وهو اسم لا يوصف به غيره سبحانه، وقال الجمهور: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ جزء آية، وهو مبتدأ.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ②.

[٢] خبره ﴿عَلَّمَ﴾ محمداً ﷺ ﴿الْقُرْآنَ﴾ بواسطة جبريل عليه السلام،

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣١٤/١)، و«تفسير القرطبي» (١٧/١٥١).

(٢) في «ت»: «سبعون وثمان آيات».

وقيل: مَنْ به وعَلَّمه الناسَ، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمه»^(١). قرأ ابن كثير: (الْقُرْآنَ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾.

[٣] ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، كلها نص^(٣) على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أسماء كل شيء، والبيان: هو إظهار المعنى وإيضاحه عما كان مستوراً قبله، وقيل: المراد بالإنسان: اسم الجنس، وبالبيان: النطق والفهم والإبانة عن ذلك، وذلك هو الذي ميز به من سائر الحيوان، وهذه الأفعال الثلاثة مع ضمائها أخبار مترادفة للرحمن، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد؛ كما تقول: زيد أغناك

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٥/٧).

(٣) في «ت»: «نصب».

بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثرَك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد،
فما تنكر من إحسانه.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ رفع بالابتداء، وهذا ابتداء تعديد نِعَم، المعنى:
الشمس والقمر يجريان ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ بحساب معلوم، ومنازل معدودة؛
ليعرف الإنسان بذلك الأوقات، والحسبان - بالضم -: مصدر حَسَبْتُ
الحساب - بفتح السين - أحسبه - بضمها - حسباً وحساباً وحِسْبة.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

[٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما ليس له ساق من النبات؛ كاليقطين، وقيل: المراد:
نجوم السماء.

﴿وَالشَّجَرُ﴾ ماله ساق تبقى في الشتاء ﴿يَسْجُدَانِ﴾ وسجودهما سجود
ظلهما، وفي النجم بالغروب ونحوه، وثنى ضمير (يسجدان) نظراً إلى
لفظهما، وسمي نجماً؛ لأنه نجم؛ أي: ظهر وطلع، وسمي الشجر؛ من
اشتجار غصونه، وهو تداخلها.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿رَفَعَهَا﴾ سقفاً لمصالح العباد.
﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أمر بالعدل.

﴿ أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ لثلاثا تجاوزوا العدل .

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ﴾ أي : وزنكم بالميزان المعروف ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾

بالعدل .

﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ لا تنقصوا الموزون ، خسرت الشيء - بالفتح - ،

وأخسرتة : نقصته .

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ نصب بفعل يفسره .

﴿ وَضَعَهَا ﴾ بسطها ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ الخلق الذين بثهم فيها .

﴿ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ فِيهَا فَنَكِهَةٌ ﴾ يعني : أنواع الفواكه ﴿ وَالنَّخْلُ ﴾ عطف على

(فاكهة) .

﴿ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أوعية ثمر النخل ، وهو الطلع ، جمع كِمٍّ ، وكل ما ستر

شيئاً ، فهو كم ، ومنه كُمُّ القميص .

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ هو البر والشعير ونحوهما ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التبن وورق النبات اليابس.

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ هو الرزق في قول ابن عباس والأكثرين، وقيل: هو المشموم. قرأ ابن عامر: (وَالْحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) بنصب الثلاثة الأسماء عطفاً على (الأرض)؛ أي: وضع الأرض، وخلق الحب، وخلق الريحان، وكذا كتب (ذَا الْعَصْفِ) في المصحف الشامي بالألف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالْحَبُّ)^(١) و(ذُو) بالرفع، (وَالرَّيْحَانُ) بخفض النون عطفاً على (الْعَصْفِ)، وقرأ الباقر: برفع الأسماء الثلاثة عطفاً على (النَّخْلُ)^(٢)؛ أي: والحب ذو العصف، وذو الريحان، فحذف (ذو)، وأقيم (الريحان) مقامه، و(ذُو الْعَصْفِ) في مصاحفهم بالواو، فذكر تعالى قوت الناس والأنعام.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٣).

[١٣] ثم خاطب الجن والإنس فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ روى الأصبهاني عن ورش: [(فَبِأَيِّ) أنعم بأي أنعم ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾]

(١) «والحب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/ ٧).

بالإبدال حيث وقع بالفاء، واختلف عنه فيما تجرد عن الفاء نحو^(١) [بَائِي] أَرْضٍ تَمُوتُ (بَائِكُمُ الْمَفْتُونُ)، وقرأ الباقر: بتحقيق الهمز^(٢)، وكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة؛ تقريراً للنعمة، وتذكيراً بها، وتوبيخاً لمنكريها، ومن عادة العرب إذا ذكروا النعم أن يفصلوا بين كل نعمتين بما ينبه عليهما؛ نحو: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ [ألم تكن جائعاً فأطعمتك، أفتنكر هذا؟]^(٣)

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾.

[١٤] ويدل على أنه خطاب للثقلين قوله بعد: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ ﴾ من طين يابس له صلصلة ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ كالطين المطبوخ، نعت لصلصال، المعنى: جعل آدم أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً.

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾.

[١٥] ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ هو أبو الجن^(٤).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) جاء على هامش «ت»: «الجان بنو الجن، عن الضحاك، أو هو مسيخ الجن كما»

﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ هو لهب النار الصافي الذي لا دخان فيه .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاض عليكم في أطوار خلقتكما

حتى صيركما أفضل المركبات؟

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء

ومغربيهما، وتقدم الكلام عليهما، وعلى قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

[الشعراء: ٢٨] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: ٥] في أول

سورة الصافات .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي

لا تحصى؛ كاعتدال الهواء، واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل

فصل فيه .

= أن القردة والخنازير مسيخ الإنس، عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -،
أو بنو إبليس كما قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل رحمهم الله تعالى كذا في
«شذور العنود» لابن الجوزي قوله: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ﴾ الآية، وفي
الأولين نظر» .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿ مَرَجَ ﴾ أرسل ﴿ الْبَحْرَيْنِ ﴾ الملح والعذب متجاورين .

﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ لا فصل بينهما في رأي العين .

﴿ يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (٢٠) ﴿ فَيَأْتِيَا الْآءَ رِيكُمَا تُكْذِبَانِ ﴾ (٢١) .

[٢٠] ﴿ يَنْهَمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى .

﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يختلطان ، ولا يطغيان على الناس بالغرق .

[٢١] ﴿ فَيَأْتِيَا الْآءَ رِيكُمَا تُكْذِبَانِ ﴾ .

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْحَاتُ ﴾ (٢٢) ﴿ فَيَأْتِيَا الْآءَ رِيكُمَا تُكْذِبَانِ ﴾ (٢٣) .

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، ويعقوب :

(يُخْرِجُ) بضم الياء وفتح الراء مجهولاً ، وقرأ الباقون : بفتح الياء وضم الراء معلوماً^(١) ، وثنى الضمير ، وإنما يخرجان من الملح ؛ لأنهما لما التقيا ، صارا كالشيء الواحد .

﴿ اللَّوْلُؤُ ﴾ الدر . قرأ أبو جعفر ، وأبو عمرو : (اللَّوْلُؤُ) بإبدال الهمز

الأول ، وهو الساكن ، فيسكنان الواو ، والباقون : بالهمز^(٢) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٦) ، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠-٣٨١) ، و«معجم القراءات القرآنية»

(٤٨-٤٧/٧) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩٤) ، و«معجم =

﴿وَالْمَرَجَاتُ﴾ الخرز الأحمر، قال ابن عباس: «إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهها، فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة»^(١).

[٢٣] ﴿فَيَأْتِيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الواو ﴿الْمُنشَآتُ﴾ صفة الجواري. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الشين؛ أي: المحدثات السير، وقرأ الباقيون: بالفتح^(٢)؛ أي: المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال، جمع علم.

﴿فَيَأْتِيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٥] ﴿فَيَأْتِيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها.

= القراءات القرآنية (٤٨/٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٢/٢٧). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦٩٦/٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢٨٦-٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٧).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض^(١) ﴿فَانٍ﴾ هالك. روي عن قتبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (فاني) و(آني) و(داني).

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ﴾ أي: ذات ﴿رَبِّكَ﴾ ويعبر بالوجه عن الجملة.
﴿ذُو﴾ صفة (وجه)، ومعنى ذي ﴿الْجَلَالِ﴾ الذي يعظمه ويجله المؤمنون^(٢) عن سمات المحدثات ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ الذي يكرم عبيده بالنعمة عليهم. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (وَالْإِكْرَامِ) بالإمالة حيث وقع^(٣).

﴿فَيَأْتِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿فَيَأْتِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يبقى وهو وجه ربك.

﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الكل محتاجون إليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾

(١) «أي: الأرض» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الموحدون».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٠/٧).

نصب على الظرف ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل حين ووقت يُحدثُ أموراً ويُجدد أحوالاً.

﴿فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يسعف به سؤالكما.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) ﴿فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢).

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَيَفْرُغُ) بالياء؛ لقوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، و(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)، و(وَلَهُ الْجَوَارِ)، فأتبع الخبر الخبر، وقرأ الباقون: بالنون^(١) إخباراً منه تعالى عن نفسه، وهو وعيد من الله سبحانه للخلق بالمحاسبة، وليس المراد منه الفراغ عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس، سمياً بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض أحياءً وأمواتاً، وكتب (أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) في النور [الآية: ٣١] و(يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) في الزخرف [الآية: ٤٩]، و(أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) هنا بغير ألف، وما سواها: (يَا أَيُّهَا)، و(يَا أَيُّهَا) بالألف. قرأ ابن عامر (أَيُّهَ) بضم الهاء على الإتيان لضممة الياء قبلها، وقرأ الباقون: بفتحها، ووقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٠-٥١).

(أَيُّهَا) بالألف على الأصل خلافاً للرسم، ووقف عليها الباقون بالحذف
إتباعاً للرسم^(١).

[٣٢] ﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٢).

[٣٣] ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾
أي: جوانب ﴿أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هاربين من قضائه تعالى ﴿فَأَنْفُذُوا﴾
فاخرجوا ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ لا تقدرُونَ على الخروج^(٢) ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة
وقهر، وأنى لكم ذلك؟!

﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣).

[٣٤] ﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قدم هنا الجن على الإنس، وقال في
سورة الإسراء ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ﴾ [الآية: ٨٨]، والتقديم يقتضي
الأفضلية، ولكن الجن خلق قبل الأنس، ففي هذه السورة ترتيب الخلقة،
لا ترتيب الفضيلة، وفي سورة الإسراء عكسه، وكذا قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١)،

و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢-٥١/٧).

(٢) في «ت»: «النفوذ».

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴿آل عمران: ١٨﴾، وأولو العلم أفضل من الملائكة، ولكن قدمهم لتقدم الخلقة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ فَإِيَّاهُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ﴾ لهب بلا دخان. قرأ ابن كثير: بكسر الشين، والباقون: بضمها^(١)، وهما لغتان، وجمع الضمير في (اسْتَطَعْتُمْ) نظراً إلى معنى (الثَّقَلَيْنِ)، وثناه في (عَلَيْكُمَا) نظراً إلى اللفظ ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ صفة شواظ ﴿وَنُحَاسٌ﴾ هو الدخان. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بخفض السين عطفاً على النار، والباقون: بالرفع عطفاً على الشواظ^(٢)، المعنى: إذا خرجتم من قبوركم، يرسل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقانكما إلى المحشر ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ لا تمتنعان من ولوج النار.

[٣٦] ﴿فَإِيَّاهُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)،

و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٢-٥٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: حمراء؛ من الورد المعروف ﴿كَالَّذِينَ الْأَدِيمِ الْأَحْمَرِ، وَأَلْوَانُهُ تَخْتَلِفُ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا الْيَوْمُ خَضِرَاءُ، وَيَكُونُ لَهَا يَوْمَئِذٍ لَوْنٌ آخَرٌ إِلَى الْحُمْرَةِ.

﴿فَيَأْتِيَاءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٨] ﴿فَيَأْتِيَاءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يكون بعد ذلك.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

[٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تنشق السماء ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ لأنهم يعرفون، فالمؤمن يعرف بغيرته وتحجيلة، والكفار بسماهم على ما يأتي بعد.

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] قال: «لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم: لم عملتم كذا وكذا؟»، وعنه أيضاً: «لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤالاً تقرير وتوبيخ»^(١).

(١) نظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٩٠)، وعنده: «لا يسألون سؤال شفقة ورحمة».

﴿فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بما أنعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم .

﴿يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤١] ﴿يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ﴾ بسواد الوجه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ﴾ المجرم ﴿بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي : يجمع بين ناصيته وقدميه من وراء ظهره ، ثم يلقي في جهنم .

[٤٢] ﴿فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ثم يقال لهم : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون .

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بين النار يحترقون بها .

﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار بلغ النهاية في الحرارة يُصب عليهم .

﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فكل ما ذكر الله - عز وجل - من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فإنه مواعظ وتخويف، وكل ذلك نعمة منه تعالى؛ لأنه يزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٤٦) ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٧).

[٤٦] ثم ذكر ما أعدّه لمن اتقاه وخافه، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب^(١) ﴿جَنَّاتٍ﴾ جنة عدن، وجنة النعيم.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾^(٤٨) ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٩).

[٤٨] ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أغصان، جمع فتن، وهو الغصن المستقيم طويلاً.

[٤٩] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾^(٥٠) ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٥١).

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ في الأعالي والأسافل بالماء الزلال، إحداهما السلسبيل، والأخرى التسنيم.

(١) «أي: مقامه بين يدي ربه للحساب» زيادة من «ت».

[٥١] ﴿فَيَأِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فَيَأِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان : رطب ، ويابس ، ونحوهما .
قرأ يعقوب : (فِيهِمَا) بضم الهاء ، والباقون : بكسرهما^(١) .

[٥٣] ﴿فَيَأِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿فَيَأِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٤] ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بطانة ، وهي التي تلي الظهارة .

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غُلِظَ من الديباج ، وظهائرها من سندس ، وهو مَارَقٌ منه ، وقيل : إن الإستبرق فارسي معرب . قرأ ورش عن نافع ، ورويس عن يعقوب : (مِنْ اسْتَبْرَقٍ) بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها ، والباقون : بإسكان النون وكسر الألف وقطعها^(٢) .

﴿وَحَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ أي : ما يجتنى منهما ، وهو الثمر .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٤٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٥ / ٧) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١ / ٤٠٨-٤٠٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٤٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦ / ٧) .

﴿ دَانٍ ﴾ قريب المتناول للقائم والقاعد والنائم .

[٥٥] ﴿ فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ اُطْرُفٌ لَمْ يَطْمِئُنَّنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي : فيهما وفي غيرهما من الجنان ﴿ قَصِرَتْ اُطْرُفٌ ﴾

خافضات^(١) الأعين من النظر إلى غير أزواجهن ، ولا يردن غيرهم .

﴿ لَمْ يَطْمِئُنَّنَّ ﴾ يمسسهن ، والطمئ : الجماع بالتدمية ، ومنه قيل

للحائض : طامئ ؛ كأنه قال : لم يُدْمِهِنَّ بالجماع .

﴿ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ قرأ الكسائي بخلاف عنه : (يَطْمِئُنَّنَّ) بضم الميم

في هذا الحرف والحرف الثاني ، وروي عنه التخيير في أحدهما ، بمعنى أنه

إذا ضم الأول كسر الثاني ، وإذا كسر الأول ضم الثاني ، والوجهان ثابتان

عنه من التخيير وغيره ، وقرأ الباقون : بالكسر^(٢) ، وفي هذا دليل على أن

الجن يغشى كالإنسي .

[٥٧] ﴿ فَيَايَا آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

(١) في «ت» : «غاضات» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٢١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٧) ،

و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦-٥٧) .

﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ .

[٥٨] ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ في حمرة الوجنة وبياض الوجه وصفائهما .

عن رسول الله ﷺ: «لكل رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها»^(١) .

وروي: أن المرأة تلبس سبعين حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجاة البيضاء^{(٢)(٣)} .

[٥٩] ﴿فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾ .

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠)، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . واللفظ الذي ساقه المؤلف هو للبخوي في «تفسيره» (٢٧٥/٤) .

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٦٤)، عن ابن مسعود موقوفاً .

ورواه البزار في «مسنده» (١٨٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢١)، وفي «المعجم الأوسط» (٩١٥)، عن ابن مسعود مرفوعاً . وانظر: «مجمع الزوائد» للهيتمي (٤١١/١٠) و(٤١٨/١٠) .

(٣) في «ش»: «لكل رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجاة البيضاء، ويرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها . كما روي أن المرأة تلبس سبعين حلة» . وما أثبت من «ت»، وهو الموافق لمراجع التخريج .

[٦٠] ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ ﴾ بالتوحيد^(١) ﴿ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ بالجنة .

[٦١] ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ ٦٢ ﴾ .

[٦٢] ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا ﴾ أي : من دون الجنتين الأوليين ؛ أي : أمامهما .

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ أخريان فالأوليان جنتا السابقين ، والأخريان^(٢) جنتا أصحاب اليمين .

[٦٣] ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ مُدْهَمَّتَانِ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ ٦٤ ﴾ .

[٦٤] ﴿ مُدْهَمَّتَانِ ﴾ قد علا لونهما في دهمة وسواد من شدة الخضرة والري ، نعت (جَنَّتَانِ) .

[٦٥] ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ .

[٦٦] ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان .

[٦٧] ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

(١) «بالتوحيد» زيادة من «ت» .

(٢) في «ت» : «الأولتان» و«الأخرتان» .

﴿ فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ۞ ﴾

[٦٨] ﴿ فِيهِمَا فَكِّهَةٌ ۞ ﴾ وعطف على (فاكهة) ﴿ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ ﴾ وإن كانا منها؛ تخصيصاً وبياناً لفضلهما، فكأنهما قد صارا جنسين آخرين نحو ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمره الرمان فاكهة ودواء، واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة، فأكل رطباً أو رماناً، لم يحنث؛ لأنه لا يجعلهما من الفاكهة، وكذا الحكم عنده في العنب، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً لصاحبيه والأئمة الثلاثة.

[٦٩] ﴿ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ ۞ ﴾

[٧٠] ﴿ فِيهِنَّ ۞ ﴾ يعني: الجنان الأربع ﴿ خَيْرَاتٌ ۞ ﴾ أي: خيرات - بالتشديد -، فخفف؛ لأن خيراً الذي بمعنى أخيراً لا يجمع، فلا يقال فيه: خيرون، ولا خيرات.

﴿ حَسَنَاتٌ ۞ ﴾ المعنى: فاضلات حسنات خلقاً وخلُقاً.

[٧١] ﴿ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ۞ ﴾

[٧٢] ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ ۞ ﴾ مخدّرات مستورات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ جمع خيمة، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «هي دُرٌّ مجوف»^(١)، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ.

[٧٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أصحاب الجنتين.

﴿وَلَا جَانٌّ﴾ كحور الأولين، وتقدم تفسيره، ومذهب الكسائي فيه.

[٧٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ نصب على الاختصاص أو الحال ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾

هو ما تدلَّى من الأسرة من عالي الثياب والبسط، وقيل: هي رياض الجنة، قال ابن عطية^(٢): والأول أصوب وأبين^(٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦١/٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٢٨/١٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٢٨/١٠).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٣٦/٥).

﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ هي بسط حسان فيها صور وغير ذلك، منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب، وقيل: العبقرى: هي الزرابي، واحداثها عبقرية، والطنافس الشخان، والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته، قالت: عبقرى، قال ابن عطية^(١): ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا من الناس يَفْري فَرِيَّةً»^(٢).

[٧٧] ﴿فَيَأِيءَ الْآءَ رَتِيكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

﴿نَبِّرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

[٧٨] ﴿نَبِّرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما ظنك بذاته.

﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. قرأ ابن عامر: (ذُو الْجَلَالِ) بواو بعد الذال كالحرف الأول نعتاً للاسم، وكذلك هو في المصاحف الشامية، وقرأ الباقون: (ذِي الْجَلَالِ) بياء بعد الذال نعتاً للرب، وكذلك هو في مصاحفهم^(٣)، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه، قال ﷺ: «أَلْطُؤَا

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٥٩).

بِيا ذا الجلال والإكرام»^(١)، والدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٢)، وقال: حديث غريب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (١٧٧/٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٨٣٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه.



مكية بإجماع من يعتد به من المفسرين، وقيل: فيها بعض آيات مدنية،
وليس بثابت، وآيها: ست وتسعون آية، وحروفها: ألف وسبع مئة وثلاثة
أحرف، وكلمها ثلاث مئة وثمان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾.

[١] ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة، وسماها واقعة؛ لتحقيق وقوعها،
وتنصب (إذا) بمضمر مثل (اذكر)، وقال بعض المفسرين: الواقعة: صخرة
بيت المقدس تقع عند القيامة^(١).

﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴾.

[٢] ﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا ﴾ لمجيئها ﴿ كَاذِبَةٌ ﴾ كذب؛ يعني: أنها تقع صدقاً.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٣٨/٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠٢/٨)،
و«روح المعاني» للألوسي (١٢٩/٢٧)، قال ابن عطية: وهذا ضعيف. وقال
الألوسي: وليس بشيء.

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ خَافِضَةٌ ﴾ قوماً إلى النار ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ آخرين إلى الجنة .

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] وتبدل من ﴿ إِذَا وَقَعَتْ ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ حُرُكَتْ ﴿ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ تحريكاً شديداً .

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَبُسَّتِ ﴾ فَتَّتْ ﴿ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول .

﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً ﴾ أي ^(١) : غباراً ﴿ مُنْبَثًّا ﴾ متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس .

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً ﴿ ثَلَاثَةً ﴾ .

(١) «أي» ساقطة من «ت» .

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ثم فسر الأزواج فقال: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، ثم عَجَبَ نبيه ﷺ فقال:

﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ كأنه قال: ما هم، وأي شيء هم؟! وقوله (فأصحابُ الميمنة) ابتداء، و(ما) ابتداء ثان، وأصحاب الميمنة خبر (ما)، والجملة خبر الابتداء الأول، في الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد و^(١) ما زيد!

﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ الذين يؤتونها بشمالهم.

﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤم^(٢)، ومنه سمي الشام واليمن؛ لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها.

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ إلى الإيمان من كل أمة هم ﴿ السَّابِقُونَ ﴾ إلى الجنة.

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «الشومي».

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١).

[١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى الله.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ قد أعليت مراتبهم.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ جماعة كثيرة غير محصورة العدد ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية من لدن آدم - عليه السلام - إلى زمان نبينا محمد ﷺ، واشتقاقها من الثَّلَّ، وهو القطع.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، ولا يخالف ذلك قوله - عليه السلام -: «إِنَّ أُمَّتِي يَكْثُرُونَ سَائِرَ الْأُمَمِ»^(١)؛ لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة، وتابعو هذه أكثر من تابعيهم، ولا يردده قوله في أصحاب اليمين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ لأن كثرة الفريقين لا ينافي أكثرية أحدهما، وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة، وقيل: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الأنبياء من آدم إلى محمد، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني: الصحابة؛ لأن الأولين هم الأنبياء السابقون، وهم مئة

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): لم أقف عليه.

ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فالصحاباء بالنسبة إليهم قليل، وهذا قول حسن صحيح للمناظرة، المعنى: جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ منسوجة بالذهب مشتبكة بالدرّ والياقوت .

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴾ حالان من الضمير في (على). قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِئِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمة ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ غلمان ﴿ مُخَلَّدُونَ ﴾ مبقون معهم .

﴿ يَا كُوبُ وَابَارِيقُ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ يَا كُوبُ ﴾ الكوب: إناء لا عروة ولا خرطوم له ﴿ وَابَارِيقُ ﴾ هي آنية لها ذلك ﴿ وَكَأْسٍ ﴾ يشربونها من خمر جارية ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ منبع لا ينقطع أبداً .

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ ﴾ لا يفرقون ﴿ عَنْهَا ﴾ بسكر ولا غيره كخمر الدنيا .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٧).

﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ قرأ الكوفيون: بكسر الزاي؛ أي: لا يَنْفَد شربهم^(١)،
وقرأ الباقون: بالفتح^(٢)؛ أي: لا تغلبهم على عقولهم.

﴿وَفَلَكِهِ مِمَّا يَخَيَّرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَفَلَكِهِ مِمَّا يَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارون.

﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

[٢١] ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون، قال ابن عباس: «يخطر على قلبه

لحم الطير، فيصير بين يديه على ما اشتهى^(٣)»^(٤).

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: بخفض

الاسمين عطفاً على (جَنَّاتِ النَّعِيمِ)؛ أي: هم في جنات النعيم، ومحاذة

حور عين، وقرأهما الباقون: بالرفع^(٥)؛ أي: وعندهم حورٌ عين وتفسير

حور عين^(٦) أي: بيضٌ ضخامُ العيون.

(١) في «ت»: «شربهم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٤-٦٥/٧).

(٣) في «ت»: «أشهى».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٤/٤).

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣٠٤/٤)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٥/٧).

(٦) «وتفسير حور عين» ساقط من «ت».

﴿كَأَمْثِلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿كَأَمْثِلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ المخزون في الصدف، وخص المكنون من اللؤلؤ؛ لأنه أصفى لوناً، وأبعد عن الغير. وتقدم مذهب أبي جعفر، وأبي عمرو في إبدال همزة (اللؤلؤ) في سورة الرحمن [الآية: ٢٢].

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن هذه الرتب والنعم هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأنه روي أن المنازل والقسم في الجنة هي منقسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله، لا بعمل عامل.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ إثماً؛ أي: ما يحدث الإثم.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ استثناء منقطع؛ أي: قولاً، وتبدل من (قِيلًا).
﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ أي: يفشون السلام بينهم، ويسلمون سلاماً بعد سلام، فلا يسمع إلا السلام.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هم المسلمون.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿فِي سِدْرٍ﴾ هو شجر النبق ﴿مَخْضُودٍ﴾ لا شك فيه.

﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾ هو الموز في قول أكثر المفسرين ﴿مَّنْضُودٍ﴾ متراكم بالثمرة من أسفله إلى أعلاه.

﴿وَزُلْزُلٍ مَّدْودٍ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿وَزُلْزُلٍ مَّدْودٍ﴾ أي دائم.

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يجري على الأرض أين شاؤوا بلا تعب.

﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرة الأجناس.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ عنهم .

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على الأسرة، في الحديث: «ارتفأها كما بين السماء والأرض»^(١) .

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ ابتدأنا خلقهن، في الحديث: «هم اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شُمُطاً رُمُصاً»^(٢) ﴿إِنِشَاءً﴾ خلقاً جديداً .

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، والإمام أحمد في «المسند» (٧٥/٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد .

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن تفسير سورة الواقعة، من حديث أنس، بلفظ: «إن من المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً»، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث .

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ﴾ بعد أن كنَّ عجائز ﴿أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن، وجدوهن أبكاراً، ولا وجع ثمَّ.

﴿عُرْيَا أَتْرَابًا﴾.

[٣٧] ﴿عُرْيَا﴾ قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الراء تخفيفاً، والباقون: بضمها على الأصل^(١)، وهي جمع عَرُوب؛ أي: عواشق متحبيات لأزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ جمع تَرَبُّب؛ أي: مستويات في السن، بنات ثلاث وثلاثين، وسن أزواجهن كذلك.

قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدًا مُرْدًا بِيضاً جَعَاداً مُكْحَلِينَ، أبناء ثلاث وثلاثين، على طول آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع»^(٢).

وروي أن الرجل يرى وجهه في وجه زوجته؛ لصفائه.

وقيل: الضمير عائد على الحور العين المذكورات قبل، قال ابن عطية: وهذا فيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣٠٨/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٧/٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩٥/٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٥٤٥)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ نحوه.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٤٤/٥).

﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾ هم المسلمون، واللام صلة (أَنشَأْنَاهُنَّ).

﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وهاتان الفرقتان في أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الثلتان من أمتي»^(١)، فعلى هذا: التابعون بإحسان، ومن جرى مجراهم ثلثة أولى، وسائر الأمة ثلثة أخرى في آخر الزمان، وقيل: الأولون سالف الأمم منهم جماعة عظيمة أصحاب يمين، والآخرون هذه الأمة منهم جماعة عظيمة أهل يمين، قال ابن عطية: بل جميعهم إلا من كان من السابقين^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ هم الكفار.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩١/٢٧) وقال: من وجه غير صحيح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٤٥/٥).

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ ٤٢ .

[٤٢] ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ ماء في

غاية الحر .

﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴾ ٤٣ .

[٤٣] ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴾ دخان أسود .

﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ٤٤ .

[٤٤] ﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ كغيره من الظلال ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ حسن .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ ٤٥ .

[٤٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ منعمين .

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ ٤٦ .

[٤٦] ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ يقيمون .

﴿ عَلَى الْحِنثِ ﴾ الذنب ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ بجعل الشريك لله تعالى .

﴿ وَكَانُوا يَقُولُوكَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ إِنَّا نَالِمَبْعُوثُونَ ﴾ ٤٧ .

[٤٧] ﴿ وَكَانُوا يَقُولُوكَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ إِنَّا نَالِمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب . واختلف القراء في (أَيْذَا) (أَيْنًا)،
 فقرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، ويعقوب: بالاستفهام في الأول،
 والإخبار في الثاني، وقرأ الباقر: بالاستفهام فيهما، وهم على أصولهم
 في التحقيق والتسهيل، وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ
 الْمُؤْمِنُونَ﴾ واختلفوا في كسر الميم وضمها من (متنا)، فقرأ نافع، وحمزة،
 والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بالكسر، والباقر: بالضم^(١).

﴿أَوَّابًا وَأَوَّلُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

[٤٨] ﴿أَوَّابًا وَأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون، وتقدم تفسيره، ومذاهب القراء
 فيه، وتوجيه قراءتهم في سورة الصافات.

﴿قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾.

[٤٩] ثم أمر الله نبيه أن يُعلمهم بأن العالم محشور مبعوث إلى يوم
 القيامة، فقال: ﴿قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم القيامة.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦٨/٧).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾.

[٥١] ثم خاطب أهل مكة بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث.

﴿لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾.

[٥٢] ﴿لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ (مِنْ) الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس، وتقدم ذكر شجرة الزقوم في سورة الصافات.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾.

[٥٣] ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ من جماعة الشجر، و(مِنْ) للتبويض ﴿الْبُطُونَ﴾ من شدة الجوع. قرأ أبو جعفر: (فَمَالُونَ) بضم اللام بغير همز، والباقون: بكسر اللام والهمز.

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾.

[٥٤] ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ على الزقوم؛ لغلبة العطش ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ الماء الحار.

﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ﴾.

[٥٥] ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وحمزة:

(شُرِبَ) بضم الشين اسم للمشروب، والباقون: بالفتح على المصدر^(١)،
و(الهم): إبل يصيبها داء يقال له الهيام، تشرب الماء فلا تروى، ولا تزال
تشرب حتى تهلك.

﴿ هَذَا نَزُّهُمَّ يَوْمَ الدِّينِ ﴾.

[٥٦] ﴿ هَذَا نَزُّهُمَّ ﴾ رزقهم المعد لهم ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء بأعمالهم.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾.

[٥٧] ثم احتج عليهم في البعث بقوله: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا ﴾ فهلا^(٢)
﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ بالبعث؛ لأنكم إذا نظرتم النظر الصحيح، علمتم أن القادر على
الإنشاء قادرٌ على الإعادة.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾.

[٥٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ تصبؤون في أرحام النساء من المني الذي يكون
منه الولد.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣١١/٤)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦٩/٧).

(٢) «فهلا» زيادة من «ت».

﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٩ .

[٥٩] ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ تجعلون المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَنْتُمْ) في الأحرف الأربعة كاختلافهم فيهما من (أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتَا) في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢] .

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ .

[٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون: بتشديدها^(١)، وهما لغتان؛ أي: قضينا .

﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ وأقننا موت كل بوقت معين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين .

﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ .

[٦١] ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ﴾ أي: نجعل ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾ نخلقكم .

﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أوصاف لا يصلها علمكم، ولا يحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير، تأول هذا؛ لأن الآية تنحو إلى الوعيد^(٢) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)،

و«تفسير البغوي» (٣٠٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/٧) .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٤٨/٥) .

﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ ﴾ الخلق في الرحم . وتقدم اختلاف القراء في (النشأ) في سورة العنكبوت [الآية : ٢٠] .
﴿ فَلَوْلَا ﴾ ﴿ فَهَلَاءَ ﴾ ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ تعتبرون فتؤمنون . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم : (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال ، والباقون : بتشديدها^(١) .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ تثيرون من الأرض ، وتلقون فيها من البذر .

﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ تنبتونه ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ المنبتون .

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ ﴿ فَتَاتَا ﴾ ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تعجبون . قرأ البرزي عن ابن كثير بخلاف عنه : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) بتشديد التاء .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧ / ٧١) .

﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ إِنَّا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (أئنَّا) بهمزتين محقتين، إحداهما استفهام إنكار للعذاب الواقع بهم، وقرأ الباقر: بهمزة واحدة إخبار بمعنى الإنكار والجحود أيضاً، والقول مضمر على القراءتين؛ أي: يقولون: إنا^(١).

﴿ لَمُغْرَمُونَ ﴾ معذبون، والغرام: العذاب.

﴿ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مُحْرَمُونَ ﴾ ممنوعون من الرزق.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ ﴾ العذب ﴿ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ أي: تشربونه.

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ السحاب ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ بقدرتنا.

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ شديد الملوحة، وثبت اللام جواباً^(٢) لـ(لو).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)،

و«تفسير البغوي» (٣٠٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٢/٧).

(٢) في «ت»: «وجوباً».

في (لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)، وحذفت في هذا الحرف اختصاراً؛ لدلالة الموجودة عليها.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تقدحونها من زنادكم.

﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ التي يُقدح منها النار، وهي المرخ والعفرار، وتقدم ذكرهما في آخر سورة (يس) ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ الشجرة. قرأ أبو جعفر: (الْمُنْشُونَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ ﴿٧٣﴾.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ أي: النار ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم.

﴿وَمَتَاعًا﴾ منفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: المسافرين الذين ينزلون القواء، وهي القفر.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٢).

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [٧٤]

[٧٤] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ الباء زائدة؛ أي: نزه ربك.

﴿ الْعَظِيمِ ﴾ والعظيم صفة للاسم، أو الرب.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ [٧٥]

[٧٥] ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ معناه: أقسم، و(لا) زائدة، وقيل: قوله: (فلا) رد لما قاله الكفار في القرآن أنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: أقسم

﴿ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ قرأ السوسي عن أبي عمرو: (أُقْسِمُ) بإسكان الميم عند الباء حيث وقع، وتقدم الكلام عليه في الكهف، وقرأ حمزة والكسائي^(١) وخلف: (بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد، والباقون: بفتح الواو وألف بعدها على الجمع^(٢)، والمراد: نجوم القرآن حين نزلت فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً، وهذا قول ابن عباس، وقال جماعة: المراد: مغارب النجوم ومساقطها.

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [٧٦]

[٧٦] ثم اعترض بين القسم وجوابه بموصوف وصفته، وهو:

(١) «الكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٣).

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ ثم اعترض بين الموصوف وصفته بقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ لأن صفته ﴿عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾.

[٧٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ على الله؛ لكثرة ما فيه من التنزيه والمواعظ والأحكام.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾.

[٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ﴾ صفة قرآن ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مصون، وهو اللوح المحفوظ.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ أي: ذلك الكتاب المكنون ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام الموصوفون بالطهارة، وقيل: قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ إخبار مضمنه النهي، وضمة السين تعود إلى القرآن؛ أي: لا يمس المصحف من بني آدم إلا الطاهر من الكفر والجنابة والحدث الأصغر، وضعف ابن عطية هذا القول^(١).

وأما حكم مسّ المصحف بعلاقة^(٢)، فقال أبو حنيفة: يجوز للجنب والمحدث والحائض حمل المصحف بعلاقة^(٣)، ولا بأس أن يمسّه

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٥٢/٥).

(٢) «بعلاقة» ساقطة من «ت».

(٣) «بعلاقة» زيادة من «ت».

بكمه، وقال مالك: لا يجوز لمحدث حدث الوضوء فما فوقه أن يمس المصحف، ولا يحمله بعلاقته، ولا على وسادة، ولا بأس بحمله^(١) في خرجه وعدله، ولا بأس بحمل الصبيان المصحف على غير طهارة، ولا تمسه حائض، وقال الشافعي: يحرم بالحدث والجنابة حمل المصحف، ومس ورقه، وكذا جلده، وخريطة وصندوق فيهما مصحف، وما كتب لدرس قرآن؛ كلوح، والصبي المحدث لا يمنع، ويباح قلب ورقه بعود، وحمله في أمتعة، ويحرم بالحيض ما يحرم بالجنابة، وقال أحمد: يحرم على المحدث والجنب مس المصحف وبعضه من غير حائل، حتى جلده وحواشيه^(٢)، وهو أشبه؛ لشمول اسم المصحف له، وله حمله بعلاقته، وفي غلافه، وفي كفه، وتصفحه به، وبعود، ومسه من وراء حائل، ويباح لصغير مس لوح فيه قرآن، وحكمه في المصحف كالرجل، ولا تمسه حائض مطلقاً.

وأما قراءة القرآن للجنب والحائض، فقال أبو حنيفة: لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا بأس أن يقرأ شيئاً منه ولا يريد به القرآن؛ كالبسمل، والحمدلة، والحائض كالجنب، وقال مالك: لا يجوز للجنب أن يقرأ الكثير من القرآن، ولا بأس بقراءة اليسير؛ كآية والآيتين ونحوهما، وعنه في قراءة الحائض روايتان: المشهور جواز القراءة لها، وقال الشافعي: يحرم على الجنب والحائض قراءة القرآن، ويحل أذكاره بغير قصد قرآن، وقال أحمد: يجوز للجنب قراءة بعض آية، ولو كرر، ما لم يتحیل^(٣)

(١) «بحمله» زيادة من «ت».

(٢) «وحواشيه» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «يحتمل».

على قراءة محرم عليه، وله قولٌ ذكر وما وافق قرآنًا ولم يقصده، ويحرم على الحائض مطلقاً.

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾.

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: القرآن منزَّلٌ.

﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة؛ كما يقال للمقدور: قَدَر، وللمخلوق: خَلَق، على قول من يجيزه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الزمر.

﴿أَفِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ﴾ ﴿٨١﴾.

[٨١] ﴿أَفِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن.

﴿أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون مكذبون، وأصله الجري في الباطل خداعاً.

﴿وَتَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾.

[٨٢] ونزل لما قيل: مطرنا بنوء كذا: ﴿وَتَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ شكركم.

﴿أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيب.

قال ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا»^(١)، فالسنة أن يقول: مُطَرْنَا بفضل الله وبرحمته.

(١) رواه مسلم (٧٢)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ الروح ﴿ الْحُلُقُومَ ﴾ الحلق .

﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ يا حاضري الميت ﴿ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ إليه ولا تنفعونه .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ علماً وقدرة منكم ﴿ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴾

الملائكة .

﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ كررت للتأكيد ﴿ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴾ مملوكين أذلاء .

﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ أي : تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما تدعون من عدم القدرة عليكم ، فأجاب عن

قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ وعن قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴾

بجواب واحد ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَا تِئْتِيَكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ٣٨] أجيباً بجواب واحد .

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ثم بين طبقات الخلق عند الموت، وبين درجاتهم، فقال: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ الميت ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ إلى رحمة الله تعالى.

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ [٨٩].

[٨٩] وجواب (أمّا): ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (فَرَوْحٌ) بضم الراء؛ أي: فله حياة طيبة لا موت فيها، وقرأ الباقر: بالفتح^(١)؛ أي: فله راحة من كل تعب.

﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ رزق طيب ﴿ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ ذات تنعم، وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَجَنَّةً) بالهاء.

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٩٠].

[٩٠] ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ الميت ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾.

﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٩١].

[٩١] ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي: سلامة لك من الاغتمام لهم، فلا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١٧/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٤-٧٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾.

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ وهم الكفار أصحاب الشمال والمشأمة.

﴿فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ﴾.

[٩٣] ﴿فَنَزَّلُ﴾ هو أول شيء يُقدم للضيف ﴿مِنَ حَمِيمٍ﴾.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

[٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) بإدغام التاء في الجيم^(١)، والتصلة: أن يباشر بهم النار، والجحيم: معظم النار وحيث تراكمها.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

[٩٥] ولما كمل تقسيم أحوالهم، وانقضى الخبر بذلك، أكد تعالى الأخبار بأن قال لنبيه ﷺ مخاطبة تدخل معه أمته فيها:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أخبرنا به ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ عبارة فيها مبالغة؛ لأنها بمعنى واحد؛ كما تقول في أمر تؤكد: هذا يقين اليقين، أو صواب

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٥).

الصواب؛ بمعنى: أنه نهاية الصواب، فهي عبارة مبالغة وتأکید، معناها: أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

[٩٦] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار، وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة، وعبادة الله والدعاء إليه.

وروي أنه لما نزل ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال: اجعلوها في سجودكم»^(١)، وكان ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى»^(٢).

واختلف الأئمة في ذلك، فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً، ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة، وأدنى الكمال ثلاث، وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة، وقال مالك: يكره لزوم ذلك؛

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٨٧١)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، والترمذي (٢٦٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، والنسائي (١٠٠٨)، كتاب: الافتتاح، باب: تعوذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب، من حديث حذيفة - رضي الله عنه -.

لئلا يعد واجباً فرضاً، والاسم هنا بمعنى الجنس؛ أي: بأسماء ربك،
والعظيم: صفة الرب.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر
أبدأ»^(١)، قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة، وحفظ الناس في الآخرة،
وفهم ذلك غنى لا فقر معه، ومن فهمه، شغل بالاستعداد^(٢)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»
(١٨٨/٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به شجاع
أبي طيبة.

والحديث إسناده ضعيف، ومثته منكر. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف»
للزيلي (٤١٣-٤١٤) وبيان وجوه ضعف هذا الحديث.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٣٨/٥).



مدنية، وقيل: مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾.

[١] ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ التسييح هنا: هو التنزيه المعروف في قولهم:

سبحان الله، وهو إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام، وأن التسييح مما ذكر دائم مستمر، وهو تسييح حقيقة، وجاء في فاتحة هذه السورة، وفي الحشر، والصف على لفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن تسييح هذه الأشياء غير مختص بوقت دون وقت، بل كانت مسبحة أبداً في الماضي، وستكون مسبحة أبداً في المستقبل.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقات.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقدرته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ بلطفه وتدبيره.

﴿لَمْ يُلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿لَمْ يُلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأن ملك البشر مجاز ﴿يُحْيِي﴾ الموتى للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تام القدرة.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ السابق للأشياء قبل وجودها الذي ليس لوجوده بداية مفتوحة .

﴿وَالْآخِرُ﴾ الدائم الباقي بعد فناء الأشياء الذي ليس له نهاية منقضية .

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الغالب العالي على كل شيء .

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ بلطفه وغوامض حكمته وباهي صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفي .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تقدم القول فيها في سورة (فصلت)، قال بعض المفسرين: الأيام الستة من أيام القيامة، وقال الجمهور: بل من أيام الدنيا، قال ابن عطية: وهو الأصوب^(١) .

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٧).

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءٌ يليق بعظمته ، وتقدم الكلام فيه في سورة طه) ، وفي (الأعراف) أيضاً .

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من المطر والأموات وغير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزرع ونحوه .

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الملائكة ، والرحمة ، والعذاب ، وغير ذلك .
 ﴿وَمَا يَرْجُ فِيهَا﴾ من الأعمال صالحها وسيئها .
 ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ بعلمه وقدرته وإحاطته .
 ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه .

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

[٥] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرف فيه كما أراد .

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ خبر يعم الموجودات . قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب : (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم ، والباقون : بضم التاء وفتح الجيم ^(١) .

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

[٦] ﴿يُولِجُ﴾ يُدْخِلُ ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيه تنبيه على

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٩) .

العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر، وذلك متشعب^(١) مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من الأسرار والمعتقدات، وذلك أغمض ما يكون.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٧] ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإيمان. ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ من أموال متقدمكم، وفيه تزهد وتنبيه على أن الأموال إنما تصير للإنسان من غيره، ويتركها لغيره، روي أنها نزلت في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، والإشارة بقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ إلى عثمان - رضي الله عنه -، وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٨] وقوله^(٢): ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾

(١) «متشعب» زيادة من «ت».

(٢) «وقوله» زيادة من «ت».

توطئة لدعائهم، وإيجاب لأنهم أهل هذه الرتب الرفيعة، فإذا تقرر ذلك، فلا مانع من الإيمان، وهذا كما تريد أن تندب رجلاً إلى عطاء، فتقول له: أنت يا فلان من قوم أجواد، فينبغي أن تكرم، وهذا مطرد في جميع الأمور إذا أردت من أحد فعلاً خَلَقْتَهُ بخلق أهل ذلك الفعل، وجعلت له رتبتهم، فإذا تقرر في هؤلاء أن الرسول يدعوهم، وأنهم ممن أخذ ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإيمان .

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ بالإيمان حين الإخراج من ظهر آدم على ما مضى في سورة الأعراف. قرأ أبو عمرو: (أَخَذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء مجهولاً، (مِيثَاقُكُمْ) بالرفع فاعل، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والحاء، ونصب (مِيثَاقُكُمْ) مفعولاً^(١)، والآخذ على كل قول هو الله تعالى .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن دتم على ما بدأت به .

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنَزِّلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي، والباقون: بفتح النون وتشديد الزاي^(٢) ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ يعني: القرآن .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٢٢/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٩/٧) .

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٠/٧) .

﴿لِيُخْرِجَكُمُ﴾ الله بالقرآن^(١) ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾
الإيمان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث نبهكم بالرسل والآيات. قرأ نافع،
وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (لَرَوْوْفٌ)
بالإشباع على وزن فَعُول، والباقون: على وزن فَعُل^(٢)، والرافة: أشد
الرحمة.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي
مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ
وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وأنتم تموتون وتركون أموالكم
﴿وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه زيادة تذكير بالله وعبرة، ثم بين فضل من
سبق بالإنفاق في سبيل الله والجهاد فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَتْلِ﴾ نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقوا نفقات كثيرة حتى
قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً، فنزلت الآية مبينة أن
النفقة قبل الفتح أعظم أجراً، والمراد: فتح مكة الذي أزال الهجرة، وهذا
هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن

(١) «الله بالقرآن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص: ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٠/٧).

جهادٌ ونية»^(١)، وروي أنها نزلت في أبي بكر - رضي الله عنه - ونفقاته^(٢).

﴿أُولَئِكَ﴾ المنفقون قبل الفتح ﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾ أي: من بعد الفتح.

﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ المثوبة ﴿الْحُسْنَى﴾ وهي الجنة. قرأ ابن عامر: (وَكُلُّ) بالرفع مبتدأ، خبره (وَعَدَ)، وكذلك هو في المصاحف الشامية وقرأ الباقون: بالنصب، وكذلك هو في مصاحفهم^(٣)، وهي الوجه؛ لأن وعد ليس يعوقه عائق عن أن ينصب المفعول المتقدم^(٤).
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم ظاهره وباطنه فيجازيكم عليه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَكْرَمَ كَرِيمًا﴾.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من ذا الذي ينفق في سبيل الله رجاء أن يعوضه؟ والقرض الحسن: الإعطاء لله.

﴿فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ فيعطيه أجره أضعافاً مضاعفة. قرأ عاصم. (فَيُضَاعِفُهُ) بإثبات الألف بعد الضاد مخففاً ونصب الفاء، وقرأ ابن عامر، ويعقوب:

(١) رواه البخاري (٢٦٣١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٢٣/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٠/١٧).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٢٤/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨١-٨٠/٧).

(٤) في «ت»: «المقدم».

بحذف الألف وتشديد العين ونصب الفاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر:
 بحذف الألف وتشديد العين ورفع الفاء، وقرأ الباقون: بإثبات الألف
 مخففاً ورفع الفاء^(١)، فالقراءة بالنصب جواب الاستفهام؛ كأنه قال:
 أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وبالرفع؛ أي: فهو يضاعفه.

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ هو الذي يقترن به رضا وإقبال.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمْ الْيَوْمَ
 جَاءَتْكُمْ تَحْرِيًّا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ العامل في (يَوْمَ) قوله: (وَلَهُ أَجْرٌ
 كَرِيمٌ)، والرؤية في هذه الآية رؤية عين.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ وهو نور حقيقة؛ لأن كل مؤمن يُعطى يوم القيامة نوراً،
 فيطفأ نور كل منافق، ويبقى نور المؤمنين.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وخص بين الأيدي بالذكر؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى
 النور.

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: وعن أيمنهم، خص ذكر جهة اليمين تشريفاً، وناب
 ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم، وقيل: وبأيمنهم: كتبهم
 بالرحمة، وتقول لهم الملائكة:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)،
 و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٧/٨١-٨٢).

﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ﴾ أي: دخول جنات.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ مخاطبة
لمحمد ﷺ.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُوا نَفْسٍ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ
ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ
قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] وتبدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
انْظُرُوا نَفْسٍ مِنْ نُورِكُمْ﴾ قرأ حمزة: (انْظُرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر
الظاء؛ بمعنى: أمهلونا، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء^(١)؛
أي: انتظرونا نستضيء من نوركم، وابتدأوها لهم بضم الهمزة.

﴿قِيلَ﴾ أي: فيقول لهم المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ طرداً لهم
وتهكماً.

﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فاطلبوا لأنفسكم نوراً؛ فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس
من نورنا، فيرجعون، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ليلقوهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي: حائل بين الجنة والنار، وقيل: هو الأعراف
﴿لَهُ﴾ أي: ولذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ أي: داخل الباب من جهة المؤمنين

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)،
و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٣).

﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الجنة ﴿وَزُفَرُهُ﴾ خارجة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من جهة شقه الخارج نحو الكفار ﴿الْعَذَابُ﴾ وهو النار.

وقال عبد الله بن عمر، وكعب الأحبار، وعبادة بن الصامت، وابن عباس: هو سور بيت المقدس الشرقي، وفيه باب يسمى باب^(١) الرحمة، باطنه فيه المسجد الأقصى، وظاهره من جهة المشرق واد يقال له: وادي جهنم^(٢).

قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد^(٣)، والله أعلم.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١٤).

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في

الدنيا؟

﴿قَالُوا﴾: يعني المؤمنين ردًّا عليهم:

﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمر الله

(١) «يسمى باب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨٣/٢٣)، و«تفسير البغوي» (٣٢٥/٤).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٦٢/٥).

﴿وَعَرَّيْكُمْ الْأَمَانِي﴾ الكاذبة بطول الأمل . قرأ أبو جعفر : (الْأَمَانِي) بإسكان الياء ، والباقون : برفعها مشدداً^(١) .

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموت ، ودخول النار . واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية : ٦٥] .

﴿وَعَرَّيْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي : غرکم الشیطان بأن الله لا يعذبكم .

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾^(١٥) .

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ بدل ؛ بأن تنقذوا^(٢) أنفسكم من العذاب . قرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، ويعقوب : (تُؤْخَذُ) بالتاء على التانيث ، والباقون : بالياء على التذكير^(٣) ؛ لأن الفداء بمعنى الفدية .

﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم^(٤) المشركون ، والخطاب الأول للمنافقين .

﴿مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ أي : أولى بكم ﴿وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ النار .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٤) .

(٢) في «ت» : «تفدوا» .

(٣) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٨) ، و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٦-٣٢٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٤-٨٦) .

(٤) «وهم» ساقطة من «ت» .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُوتٌ ﴾ [١٦]

[١٦] ونزل عتاباً للمؤمنين: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾ أي: يحين؛ من أنى يأتي: إذا جاء إناءه؛ أي: وقته.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ تعالى إذا ذكر، وتلين وتخضع؟ قال ابن عباس: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن»^(١) ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وهو القرآن. قرأ نافع، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (نَزَلَ) بتخفيف الزاي، والباقون: بالتشديد^(٢).

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل القرآن، وهم اليهود والنصارى. قراءة العامة: (وَلَا يَكُونُوا) بالغيب عطفاً على (تَخْشَعَ)، وقرأ رويس عن يعقوب: بالخطاب^(٣) التفاتاً أو نهياً للمؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ أي: الزمانُ بطول أعمارهم ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ بميلهم

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٢٦-٣٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٢٤٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٦).

إلى الدنيا، وإعراضهم عن مواعظه تعالى ﴿وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذا ضرب مثل، واستدعاء إلى الخير؛ أي: لا يبعد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه؛ فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يردها إلى الخشوع، وترجع هي إليه بعد نفورها منه؛ كما تحيا الأرض بعد أن كانت غبراء.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي يكمل عقلكم.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما؛ من التصديق بالإسلام، وقرأ الباقر: بتشديدها منهما^(١)؛ من الصدِّق، وأصله: المتصدقين والمتصدقات، أدغمت التاء في الصاد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٧).

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو الصدقة بطيب نفس، وصحة نية على مستحقها^(١).

﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ القرض. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعَّفُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف^(٢).

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٣).

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ والصادق: الكثير الصدق، وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، وتم الكلام عند قوله: (هُمُ الصَّادِقُونَ)، ثم ابتداء فقال:

﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾ مبتدأ، ظرفه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبره ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر ما عملوا من العمل الصالح ﴿وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط، وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم.

(١) في «ت»: «مستحقها».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٧/٧).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾.

[٢٠] ولما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حَقَّرَ أمر الدنيا، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: إن الحياة الدنيا، و(ما) صلة؛ أي: الحياة في هذه الدار.

﴿لَعِبٌ﴾ باطل ﴿وَلَهُوَ﴾ فرح، ثم ينقضي ﴿وِزِينَةٌ﴾ منظر يتزينون به ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يفخر به بعضكم على بعض.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ فازهدوا فيها، فما مثلها إلا.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزراع؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض، كفروه؛ أي: غطوه ﴿نَبَاتُهُ﴾ الهاء للغيث؛ أي: أعجب الكفار ما نبت بالمطر.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فتاتا ويفنى.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكافرين ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ للمؤمنين.

قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَانٌ) بضم الراء، والباقون: بكسرها^(١).
﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ لمن ركن إليها، ولم يشتغل بطلب
الآخرة.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ﴾ أي: السموات ﴿وَالْأَرْضِ﴾ لو وصل بعضها ببعض، ولم يذكر
الطول؛ لأن عرض كل ذي عرض أقل من طوله.

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ قوله (أُعِدَّتْ) دليل على أنها مخلوقة
الآن معدة.

﴿ذَلِكَ﴾ الموعود ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ من غير إيجاب.
﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك، والمراد منه:
التنبيه لأعظم^(٢) حال الجنة، وذلك لأن ذا الفضل العظيم إذا أعطى عطاء
مدح به نفسه، وأثنى بسببه على نفسه، فإنه لا بد أن يكون ذلك العطاء عظيماً.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٨/٧).

(٢) في «ت»: «على عظم».

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ أي : ما حدث من حادث .

﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ من قحط ونقص في النبات والثمار ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ كمرض وفقد ولد .

﴿ إِلَّا ﴾ مكتوبة ﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ .

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ أي : نخلقها ؛ يعني : المصيبة والأرض والآنفس .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعني : تحصيل الأشياء كلها في كتاب .

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ معناه : فعل الله هذا كله ، وأعلمكم به ، ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا ، فلا تحزنوا على فائت ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا ﴾ الفرح المبطر ﴿ بِمَا ءَاتَكُمْ ﴾ منها . قرأ أبو عمرو : (أَتَاكُمْ) بقصر الهمزة ؛ لقوله : (فَاتَكُمْ) ، فجعل الفعل له ، وقرأ الباقر : بالمد^(١) ، أي : أعطاكم الله .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس ، فيه دليل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٢٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٨) ، و«تفسير البغوي» (٣٢٩/٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٩٨٨/٧) .

والفخر، وأما الفرح بنعم الله، المقترن بالشكر والتواضع، فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بأموالهم وأفعالهم الحسنة من إيمانهم وغير ذلك، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل: هو رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ وهذا غاية الذم أن يبخل الإنسان، ويأمر غيره بالبخل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (بِالْبُخْلِ) بفتح الباء والخاء، والباقون: بضم الباء وإسكان الخاء^(١).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في ذاته. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ) بغير (هو)، وكذا هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقر بزيادة (هو)، وكذلك هو في مصاحفهم^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٩/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٢٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٩/٧-٩٠).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء. قرأ أبو عمرو: (رُسُلَنَا) (بِرُسُلِنَا) بإسكان السين فيهما، والباقون: بضمها^(١) ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ الوحي ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل.

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ أخرجنا ﴿الْحَدِيدَ﴾ من المعادن؛ لأن العدل إنما يكون

بالسياسة، والسياسة مفتقرة إلى العدة، والعدة مفتقرة إلى الحديد.

﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ قتال ﴿شَدِيدٌ﴾ لأنه يقاتل به ويمتنع ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ فيما

يحتاجون إليه.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: يعلمه موجوداً، فالتغيير ليس في علم الله، بل في

هذا الحادث الذي خرج من العدم إلى الوجود ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: دينه

بآلات الحرب في مجاهدة الكفار ﴿وَرُسُلُهُ﴾ أي: وينصر رسله ﴿بِالْغَيْبِ﴾

أي: بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه، فأمن بها؛ لقيام الأدلة عليها، قال

ابن عباس: «يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ»^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٩٠/٧).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٤٧٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [٢٦] .

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ ذكر رسالتهما؛ تشریفاً لهما بالذكر، ولأنهما من أول الرسل، ثم ذكر نعمه على ذريتهما، فقال ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ يعني: الكتب الأربعة؛ فإنها جميعاً في ذرية إبراهيم عليه السلام. قرأ هشام (أبراهام) بالالف، والباقون: بالياء، وقرأ نافع (النُّبُوَّة) بالمد والهمز، والباقون: بتشديد الواو بغير همز.

﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ فمن الذرية ﴿ مُهْتَدٍ ﴾ روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُهْتَدِي) ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ خارجون عن الطاعة.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [٢٧] .

[٢٧] ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا وأزدفنا؛ مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول ﴿ عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ وكان آخر نبي من بني إسرائيل، وأول أنبيائهم موسى عليه السلام.

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ وهي أشد الرحمة، وكانوا متوادين بعضهم لبعض؛ كما قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. قرأ قنبل بخلاف عنه: (رَأْفَةً) بالمد

مثل: رَعَاةٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ والرحمة في القلب لا تَكْسِبُ للإنسان فيها.

﴿وَرَهْبَانِيَّةٌ﴾ هو ترهبهم في الجبال والصوامع، ورفض النساء، والرهبان: الخائف؛ مأخوذ من الرهب، وهو الخوف، (وَرَهْبَانِيَّةٌ) عطف على (وَرَحْمَةٌ).

﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾ نعت؛ أي: جعلنا عليهم رَأْفَةً ورحمة ورهبانية مبتدعة، والمعتزلة تعرب (وَرَهْبَانِيَّةً) أنها نصب بإضمار فعل يفسره (أَبْتَدَعُوهَا)، وليست بمعطوفة على الرأفة والرحمة، ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله، فيعربون الآية على مذهبهم، ابتدعوها من قبل أنفسهم، روي أنهم اختلفوا ثلاث فرق: فرقة قاتلت الملوك على الدين فقتلت وقتلت، وفرقة قعدت في المدن يدعون إلى الدين ويبينونه ولم تقاتل، فأخذتها الملوك فنشرتها بالمناشير، وقتلوا، وفرقة خرجت إلى الفياضي، وبنت الصوامع والديارات، وطلبت أن تسلم على أن تعتزل، فتركت، ولذلك تسمت بالرهبان، فهذا هو ابتداعهم.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لم نفرض الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكنهم ابتدعوها.

﴿أَبْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وهو امتثال أمره تعالى، واجتناب نهيه. وتقدم مذهب أبي بكر في ضم الرأء من (رُضْوَانِ).

﴿فَمَارَعَوْهَا﴾ ما حفظ الرهبانية هؤلاء المعتدون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ لأنهم قصروا فيما ألزموا أنفسهم من الرهبانية، ورجعوا عنها، ودخلوا في دين ملوكهم، ولم يبق على دين النصرانية إلا اليسير، فأمنوا بمحمد ﷺ

قال ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي، فَقَدْ رَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي، فَأُولَئِكَ هُمُ الْهَالِكُونَ»^(١).

﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِنْهُمْ﴾ أَي: مِنَ الْعِيسِيِّينَ .
 ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ مِنَ الْعِيسِيِّينَ التَّارِكِي الرِّهْبَانِيَّةِ الْكَافِرُونَ بِمُحَمَّدٍ
 وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿فَسِقُونُ﴾ خَارِجُونَ عَنْ حَالِ^(٢) الْإِتْبَاعِ
 وَفِي هَذَا التَّوِيلِ لَزُومِ الْإِتْمَامِ لِكُلِّ مَنْ بَدَأَ بِتَطَوُّعٍ وَنَفْلِ، وَأَنَّهُ يُلْزَمُهُ أَنْ
 يَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَاخْتَلَفَ الْأُئِمَّةُ فِيمَا إِذَا أَنْشَأَ صَوْمًا أَوْ صَلَاةً تَطَوُّعًا، فَقَالَ
 أَبُو حَنِيفَةَ: لَمْ يَجْزِ لَهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ، فَإِنْ أَفْسَدَهُ، فَعَلِيهِ الْقَضَاءُ؛ لِقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣٣]، وَقَالَ مَالِكٌ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ اعْتَبَرَ
 الْعَذْرَ، فَقَالَ: إِنْ خَرَجَ مِنْهُ لِعَذْرِ، فَلَا قَضَاءَ، وَإِلَّا، وَجِبَ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ
 وَأَحْمَدُ: مَتَى أَنْشَأَ وَاحِدًا مِنْهُمَا، اسْتَحَبَّ إِتْمَامَهُ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْهُ، لَمْ يَجِبْ
 عَلَيْهِ قَضَاءٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّطَوُّعَ حَجًّا أَوْ عَمْرَةً، فَيُلْزَمُ إِتْمَامَهُ،
 فَإِنْ أَفْسَدَهُ، وَجِبَ قِضَاؤُهُ بِالِاتِّفَاقِ؛ لَوْجُوبِ الْمَعْنَى فِي فَاسِدِهِ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢٨).

[٢٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِمُوسَى وَعِيسَى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٠٥٣١)، وَفِي «الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ» (٦٢٤)،
 وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٧٧/٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (١٦٣/١): فِيهِ عَقِيلُ بْنُ الْجَعْدِ، قَالَ الْبَخَارِيُّ:
 مَنكَرُ الْحَدِيثِ.

(٢) «حَالُ» زِيَادَةٌ مِنْ «ت».

محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كَهْلَيْنِ﴾ حَظِينَ ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بِالْإِيمَانِ بِالْكَتَابِينَ .
 ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلَى الصِّرَاطِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ﴾ .

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
 الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ أي: ليعلم^(١) ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ و(لا) صلة . قرأ
 ورش عن نافع، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لَيْلًا) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة،
 والباقيون: بالهمز، والمراد: أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا .
 ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا ينالون شيئاً ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ .

روي أنه لما نزل هذا الوعد للمؤمنين، حسدهم أهل الكتاب على ذلك،
 وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها، وتزعم أنها أحباء الله، وأهل رضوانه،
 فنزلت هذه الآية معلمة أن الله فعل ذلك، وأعلم به؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم
 ليسوا كما يزعمون^(٢) .

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ في تصرفه وملكوته ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ لا اعتراض
 عليه؛ فإنه قادر مختار، يفعل بحسب الاختيار .

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ، والعظيم^(٣) لا بد أن يكون إحسانه

(١) «أي: ليعلم» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٢٦٨) .

(٣) «والعظيم» زيادة من «ت» .

عظيماً، والمراد منه : تعظيم حال محمد ﷺ في نبوته وشرعه وكتابه .
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «واسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها، فإذا علقت على المقاتل في الصف، لم ينفذ إليه حديد»^(١)، والله أعلم .

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٥٦/٥). قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير»: «اشتمل هذا المقدار من أول السورة على معاني ست عشرة صفة من أسماء الله الحسنى، وهي: الله، العزيز، الحكيم، الملل، المحيي، المميت، القادر، الأول، الآخر، الظاهر الباطن، العليم، الخالق، البصير، الواحد، المدبّر. وقول ابن عباس يعني مجموع هذه الأسماء.



مدنية، وحكى النقاش أن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ الآية، مكي^(١)، آيها: اثنتان وعشرون آية^(٢)، وحروفها: ألف وسبع مئة واثنان وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ أي: علم^(٣) ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾ تحاورك.

﴿فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، وعاصم، ويعقوب: (قَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام.

نزلت في خولة بنت ثعلبة لما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار، فأرادها، فأبت عليه، فقال: أنت علي كظهر أمي، فكان

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٧٢/٥).

(٢) في «ت»: «عشرون وآيتان».

(٣) «أي: علم» زيادة من «ت».

أولَ ظهار في الإسلام، ثم ندم، وكان الظهار في الجاهلية يُحرَّم، فأخبرت رسولَ الله ﷺ بذلك، فقال لها: «قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْهِ»، فقالت: والله ما ذكر طلاقاً، وراجعتُه في الكلام، وشكت إلى الله الفاقة وشدة الحال^(١)، فهذه مجادلتهَا.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَاوِرُكُمْ﴾ أي: مراجعتكما القول ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما تناجيه ﴿بَصِيرٌ﴾ لمن يشكو إليه.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قرأ عاصم: (يُظَاهِرُونَ) بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرهما وألف بينهما في الموضعين؛ من ظاهر يُظَاهِر، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها، وتخفيف الهاء وفتحها، أصله: يَتَظَاهَرُونَ، أدغمت التاء في الظاء، وقرأ الباقر: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بلا ألف قبلها، أصله: يَتَظَهَّرُونَ، أدغمت التاء في الظاء^(٢)،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٣٧/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٧٣/٥)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٠/١٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩-٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٣٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٨٩٧/٧).

والمعنى على القراءات كلها؛ أي: يحرمون أزواجهم بالظهار، والظهار: أن يشبه امرأته أو عضواً منها بظهر من تحرم عليه على التأيد، أو إلى أمد، أو بها، أو بعضو منها، فإذا قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كبد أختي، ونحو ذلك، أو حرام، فيحرم عليه وطؤها حتى يكفر بالاتفاق.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: ليس قول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كشيء من أعضائها، ويجعلها كأمه في الحرمة بصحيح.

﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ حقيقة ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾ والمرضعات، وزوجات النبي ﷺ ملحقات بالوالدات في الحرمة، وأما المظاهرات، فأبعد شبيهاً بالوالدات. واختلاف القراء في الهمز من (اللائي) كاختلافهم فيه في حرف سورة الأحزاب [الآية: ٤].

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المظاهرون ﴿يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ هو جعل الزوجة أما تنكره الحقيقة ﴿وَزُورًا﴾ باطلاً.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ﴾ عما سلف من الظهار ﴿غَفُورٌ﴾ لمن تاب.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ تقدم اختلاف القراء في (يُظَاهِرُونَ).

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: يريدون العود إلى التماس، وهو كناية عن الجماع، فعند الإمام أحمد: العود: هو الوطء، وعند أبي حنيفة ومالك: هو العزم على الوطء، وعند الشافعي: هو أن يمسكها عقب الظهار زماناً

يمكنه أن يفارقها، ولم يفعل، فإن طلقها عقب الظهر في الحال، أو مات أحدهما في الوقت، فلا كفارة عليه.

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ والكفارة على الترتيب يجب عليه عتق رقبة سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق، مؤمنة عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا يشترط الإيمان.

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ﴾ يتجامع المظاهر والمظاهر منها، فإن أقدم على الجماع قبل التكفير، استغفر الله تعالى، وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالاتفاق.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ التغليظ بالكفارة ﴿ تُوعُظُونَ بِهِ ﴾ لتنزجروا عن الظهر.
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

[٤] ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ ليس فيهما رمضان، ولا يوما العيدين وأيام التشريق عند الثلاثة، وعند أحمد: إن تخلل صومها صوم رمضان، أو فطر واجب كيوم العيد، لم ينقطع التتابع.

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ﴾ فلو أصاب المظاهر منها ليلاً أو نهاراً عمداً أو سهواً، انقطع التتابع عند الثلاثة، وقال الشافعي وأبو يوسف: إن جامع ليلاً عمداً، أو نهاراً، ناسياً، لم يستأنف، وله وطء غيرها من نسائه بالاتفاق.

﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصومَ لعذر ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ .

والمخرج في الكفارة ما يجزىء في الفطرة، فقال أبو حنيفة: لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر أو شعير، والصاع عنده ثمانية أرطال بالعراقي، وعند أبي يوسف: خمسة أرطال وثلث، وقال مالك: لكل مسكين مد من عيش أهل البلد، فإن كان الشعير والتمر، أعطي لكل مسكين منه عدل الحنطة بمد هشام، وقدره مد وثلثان بمد النبي ﷺ، وهشام هذا الذي أضيف إليه المد هو هشام بن إسماعيل المخزومي، كان أميراً على المدينة من قبل هشام بن عبد الملك، وقال الشافعي: لكل مسكين مد مما يكون فطرة، وهو البر، والأرز، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، وقدر المد رطل وثلث بالبغدادي، وهو مد رسول الله ﷺ، وقال أحمد: المخرج في الكفارة ما يخرج في الفطرة، وهو البر، والشعير، ودقيقهما، أو سويقهما، وهو بر أو شعير يحمص، ثم يطحن، والتمر، والزبيب، والأقط، وهو شيء يعمل من اللبن المخيض، ولا يجزىء من البر أقل من مد، وهو رطل وثلث بالبغدادي، ولا من غيره أقل من مدين لكل مسكين، وتقدم ذكر الصاع والمد والكلام عليها مستوفى بآتم من هذا في سورة المائدة عند ذكر كفارة اليمين، وفي سورة التوبة عند ذكر زكاة الفطر.

فإن دفع الكفارة إلى مسكين واحد في ستين يوماً، جاز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي ومالك، وقال أحمد: إن لم يجد غيره، أجزأه، وإلا فلا، ولو غداهم وعشاهم، جاز عند أبي حنيفة بشرط شبعهم^(١) في الأكلتين، وعند الثلاثة: لا يجوز.

(١) «بشرط شبعهم» زيادة من «ت».

ويجوز دفع الكفارة لكافر، وإخراج القيمة عند أبي حنيفة؛ خلافاً للثلاثة.

ومن كفر بالإطعام، جاز له الوطء في خلاله عند أبي حنيفة والشافعي؛ خلافاً لمالك وأحمد، ونقل بعض المفسرين عن مالك أن من كفر بالإطعام، جاز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس، ولم يقل في الطعام: قبل أن يتماسا، ومنقول مذهب مالك خلاف ذلك، فقد جزم علماء مذهبه في كتبهم أنه لا يجوز الوطء في خلال الإطعام كالصيام، فإن وطئ، بطل ما مضى من إطعامه، ولزمه ابتداؤها، وصرح ابن عطية المالكي في «تفسيره» عن مالك أنه قال: إطعام المساكين أيضاً هو قبل التماس حملاً على العتق والصوم^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول من الله عز وجل، ثم شدد بقوله:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فالتزموها، وقفوا عندها.

﴿وَاللَّكَفْرِ يَبْغِي عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لا يقبلونها.

واختلفوا فيمن ظاهر من أمته، فقال مالك: يصح، وقال الثلاثة: لا يصح، وعليه عند أحمد كفارة يمين.

واتفقوا على صحة الظهار من العبد، ويكفر بالصيام، وقال مالك: إن عجز عنه، فبالإطعام إن أذن له سيده، فإن منعه، انتظر القدرة على الصيام.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٧٥/٥).

ويصح من الأجنبية عند مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي :
لا يصح منها، ويصح من الذمي عند الشافعي وأحمد، ويكفر بالمال،
وعند أبي حنيفة ومالك لا يصح منه .

ومن كرر الظهار قبل التكفير، فكفارة واحدة عند مالك وأحمد، وعند
أبي حنيفة بكل ظهار كفارة، ومذهب الشافعي إن كرره في امرأة متصلاً،
وقصد تأكيداً، فظهار واحد، أو استثنافاً، فالأظهر التعدد، وإنه بالمرة
الثانية عائد في الأولى، والله أعلم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَةً بَيِّنَةً وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

[٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي : يحاربونهما، ويخالفون أمرهما .

﴿ كُبِتُوا ﴾ أهلكوا ﴿ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم الماضية .

﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَةً بَيِّنَةً ﴾ تدل على صدق ما جاء به الرسول .

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ نزلت هذه الآيات في المنافقين، وقوم من
اليهود كانوا في المدينة يتمنون المكروه في رسول الله ﷺ والمؤمنين،
ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه
الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم^(١) .

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/٢٧٦) .

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ العامل فيه قوله : (مُهَيَّنٌ) .

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ توبيخاً لهم .

﴿أَحْصَاهُ﴾ حفظه ﴿اللَّهُ﴾ عليهم ﴿وَسُوهُ﴾ لتهاونهم به .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ شهيد ، لا يغيب عنه شيء .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلياً وجزئياً .

﴿مَا يَكُونُ﴾ قرأ أبو جعفر : (تَكُونُ) بالتاء على التأنيث ؛ لتأنيث النجوى ، وقرأ الباقون : بالياء على التذكير^(١) ؛ لأن تأنيث نجوى غير حقيقي ، وللفصل بـ(من) ، المعنى : ما يقع .

﴿مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ وجر (ثَلَاثَةٍ) بإضافة النجوى إليها ، وهي التناجي سراً .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣٤٢/٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٥/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٩/٧) .

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وخصوا بهذا العدد؛ لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للمناجاة ثلاثة خمسة غيظاً للمؤمنين.

﴿وَلَا أَذَى﴾ أقل ﴿مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ قرأ يعقوب: (أَكْثَرَ) بالرفع عطفاً على موضع (مِنْ نَجْوَى)؛ لأن التقدير: ما يكون نجوى، وقرأ الباقون: بالنصب عطفاً على العدد المخفوض ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ عالماً بهم. ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ لأن علمه تعالى لا يتفاوت باختلاف الأمكنة. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ تفضيحاً لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ وَيَنْتَجِبُونَ بِالْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [٨].

[٨] كان بين النبي ﷺ واليهود مودعة، فكانوا هم والمنافقون إذا رأوا بعض المسلمين تناجوا، فيظن المسلم أنهم يريدون قتله، فيترك الطريق خوفاً منهم، فنهاهم ﷺ عن التناجي، فلم ينتهوا فتزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾^(١) أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها.

﴿وَيَنْتَجِبُونَ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (وَيَنْتَجِبُونَ) بنون ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وضم الجيم على وزن ينتهون مستقبل انتجوا، وقرأ الباقون: بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٤٥-٣٤٦).

الجميم مستقبل تَنَاجَوْا^(١)، ومعناها: الحديث سراً.

﴿بِالْآثِمِ﴾ أي: بما هو إثم ﴿وَالْعُدُونَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ لأنه ﷺ نهاهم فلم ينتهوا. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَمَعْصِيَةٍ) بالهاء.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ﴾ أي: اليهود ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك يا محمد، والسام: الموت، وتقدم حكم سلام الذمي، والرد عليه، ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة النساء.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذا خرجوا: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبياً، لدعا علينا حتى يعذبنا الله بما نقول له.

﴿حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ﴾ عذاباً ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَيْئَسَ الْمُصِيرُ﴾ جهنم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَجُوا بِالْآثِمِ وَالْعُدُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩] ثم نهى الله المؤمنين أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، فقال:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَجُوا﴾ قرأ رويس: (تَلْتَجُوا) على وزن تنتهوا^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠١-١٠٢/٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٧).

﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كفعل المنافقين واليهود.
 ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْيَمِّ﴾ وهو ما يتضمن خيراً للمؤمنين ﴿وَالنَّقْوَى﴾ أي: اتقاء
 معصية الرسول.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تذكير بالحقير الذي معه الحساب.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ المحرمة ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ بتوهمهم. قرأ نافع: (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ
 الباقون: بفتح الياء وضم الزاي^(١).

﴿وَلَيْسَ﴾ التناجي ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئة الله.
 ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه؛ فإن
 ذلك يحزنه»^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (١٠٣/٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦/٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
 بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٥٩٣٢)، كتاب: الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر
 من ثلاث فلا بأس بالمسارعة والمناجاة، ومسلم (٢١٨٤)، كتاب: السلام، باب:
 تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، من حديث ابن مسعود رضي الله
 عنه بلفظ نحوه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١).

[١١] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ مجلس
 النبي ﷺ. قرأ عاصم: (الْمَجَالِسِ) بألف على الجمع؛ لأن لكل جالس
 مجلساً، معناه: ليفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الباقر: بغير ألف على
 التوحيد إرادة الجنس^(١).

﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا﴾ ارتفعوا وانهضوا حتى توسّعوا لإخوانكم ﴿فَانْشُرُوا﴾
 قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ) بإشمام الضم حيث وقع،
 والباقر: بإخلاص الكسر^(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر،
 وعاصم، (انْشُرُوا) (فَانْشُرُوا) بضم الشين في الحرفين؛ بخلاف عن أبي بكر
 راوي عاصم، وقرأ الباقر: بالكسر فيهما^(٣).

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ بإيمانهم وطاعتهم النبي ﷺ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)،
 و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٧/١٠٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٥)، و«النشر في
 القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٧/١٠٤).

﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أيضاً على غيرهم من المؤمنين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ هنا وثم بما جمعوا من العلم والعمل^(١).

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ تهديد لمن لم يمثل الأمر.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٢] ولما أكثر الناس على النبي ﷺ السؤال حتى أسأموه، نزل:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قبل ﴿نَجْوَاكُمْ﴾ إذا أردتم مناجاته ﴿صَدَقَةٌ﴾ على مستحقيها.

﴿ذَلِكَ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لطاعتكم ﴿وَأَطْهَرٌ﴾ لذنوبكم فلما نزلت هذه الآية، ارتدع الأغنياء عن السؤال سُخَّاءً، والفقراء عدماً، فنزل رخصة:

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمناجاتكم النبي ﷺ بلا صدقة ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث أباح لكم السؤال، وكان ذلك المنع عشر ليال.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أخفتم الفاقة ﴿أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتٍ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَشْفَقْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ءَأَنْتَ

(١) «والعمل» زيادة من «ت».

فَعَلَّتْ هَذَا بِإِلهَتِنَا ﴿ في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢] .

﴿ فَإِذْ لَمْ ﴾ أي: فإن لم ﴿ تَفْعَلُوا ﴾ ما أمرتم به .

﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوز عنكم ، ولم يعاقبكم بترك الصدقة ، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنبٌ تجاوز الله عنه .

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الواجبة .

﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ المفروضة ، ولا تفرطوا فيهما ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

في جميع الحالات ، فهو كفارة ذلك ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ونزل في قوم من المنافقين تولَّوا قوماً من اليهود ، وهم المغضوب عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ ﴾ ^(١) أي: المنافقون ﴿ مِنْكُمْ ﴾ أيها المسلمون .

﴿ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ من اليهود ، كما قال تعالى : ﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النساء: ١٤٣] .

﴿ وَيَحْلِفُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ عَلَى الْكَذِبِ ﴾ وهو قولهم: والله إنا مسلمون .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٤٩-٣٥٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٣٠٧) .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في حلفهم .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ نوعاً من العذاب ﴿شَدِيدًا﴾ في غاية الشدة .

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٦) .

[١٦] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ ترساً يقيهم السيف ﴿فَصَدُّوا﴾

المسلمين بحلفهم ﴿عَنْ﴾ قتلهم ونهبهم ؛ فإنه جهاد في ﴿سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ

عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم .

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧) .

[١٧] ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ مقيمون ؛ لأن الصعبة تدل على الملازمة .

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا

إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ العامل فيه (أَصْحَابُ) ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي : لله

تعالى ثم إنهم مسلمون .

﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ هنا ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ على فعل نافع من أيما نهم الكاذبة كما انتفعوا بها في الدنيا. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها^(١).

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ البالغون الغاية في الكذب؛ حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة، ويحلفون عليه.

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.

[١٩] ﴿ اسْتَحْوَذَ ﴾ غلب واستولى ﴿ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ بطاعتهم إياه.

﴿ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ معناه: تملَّكهم من كل جهة، وغلب على نفوسهم، وهذا الفعل مما استعمل على الأصل؛ فإن قياس التعليل يقتضي أن يقال: استحاذ، وحكي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ: (اسْتَحَاذَ)^(٢).

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ جنوده.

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لتفويتهم على أنفسهم النعيم، وعرضها للعذاب.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٧).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٣٨/٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ معناه: يكونون في حد غير الحد الذي شرع الله ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ﴾ أَنَا وَرُسُلِي ﴿إِن كَفَرَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿لَأَعْلَبَ﴾ أَنَا وَرُسُلِي ﴿بالحجة كُلِّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَرُسُلِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصر رسله ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب في مراده.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢).

[٢٢] ونزل في قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وأبي بكر حيث أراد مبارزة ابنه يوم بدر، ومصعب بن عمير وقتله

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٧).

أخاه عبيد بن عمير بأحد، وعمر وقتله خاله العاص بن هشام بيدر، وعلي
وحمزة وقتلها الوليد بن عتبة وشيبة وعتبة ابني ربيعة بيدر:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١)

عاداهما وخالفهما. تلخيصه: من صح إيمانه، لم يواد المشركين، بل
يقتلهم، ويقصدهم بالسوء ﴿وَلَوْ كَانُوا إِبَاءَهُمْ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح
﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ كأبي بكر ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ كمصعب بن عمير.
﴿أَوْ عَشِيرَتُهُمْ﴾ كعمر وعلي وحمزة.

﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون.

﴿كَتَبَ﴾ ثَبَّتَ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ﴾ قواهم.

﴿بِرُوحٍ﴾ أي: بنصر ﴿مِنْهُ﴾ هو جبريل عليه السلام.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾
بطاعتهم.

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بقضائه.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه، والحزب: الفريق الذي يجمعهم
مذهب واحد.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ببغيتهم، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١٢/٤).

مُحتَوَى المجلد السّادِس

٥	تفسير سورة ص
٥٠	تفسير سورة الزمر
٩٤	تفسير سورة غافر
١٤٢	تفسير سورة فصلت
١٦٩	تفسير سورة الشورى
٢٠٤	تفسير سورة الزخرف
٢٤٢	تفسير سورة الدخان
٢٦١	تفسير سورة الجاثية
٢٧٩	تفسير سورة الأحقاف
٣٠٨	تفسير سورة محمد ﷺ
٣٣٠	تفسير سورة الفتح
٣٥٨	تفسير سورة الحجرات
٣٧٧	تفسير سورة ق
٣٩٧	تفسير سورة الذاريات
٤١٥	تفسير سورة الطور
٤٣٢	تفسير سورة النجم

٤٥٧	تفسير سورة القمر
٤٧٥	تفسير سورة الرحمن
٥٠٠	تفسير سورة الواقعة
٥٢٨	تفسير سورة الحديد
٥٥٢	تفسير سورة المجادلة
٥٦٩	محتوى المجلد السادس

* * *